

سلسلة الرسائل الجامعية (٤٠)

الحرب النفسية

« أضواء إسلامية »

د / فهمي النجار



دار الفضة
الرياضة السعودية

سلسلة الرسائل الجامعية (٤٠)

الحرب النفسية

(أضواء إسلامية)

د / فهمي النجار

وزارة التربية والتعليم
الرياضة السعودية

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وبعد:

تجتاز الأمة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية مرحلة خطيرة في حياتها لم تشهدها أمة من أمم الأرض.. فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب، وتناهبوا أرضها وشعبها وفكرها ومقدساتها، وفرقوا شملها، وداسوا كرامتها، وسلطوا عليها شذاذ الأفاق، بعد أن صنعوا منهم دولة، وزودوهم بأفتك الأسلحة لينهشوا من لحمها، كلما شعروا بالجوع.. دون أن يجرأ أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات، واسترجاع الكرامات..

وما هو أشد وأدهى، تعرض هذه الأمة إلى حرب نفسية رهيبه من قبل أعدائها العريقين في عداوتهم، والذي يمثلهم الثالثون اليهودي والصليبي والشبوعي، مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وبكافة أنواع الأسلحة من دعابة كاذبة، أو شائعة مغرضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف وإرهاب، حتى عمليات غسل الدماغ لم ينسها هذا العدو البغيض، وهدفه الأول والأخير تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدها وإضعافها وضمأن تبعيتها له في كل أمر من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية.

لذا نحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم طبيعة هذه الحرب النفسية ومعرفة أساليبها وأسلحتها، وتقويم خطرها تقويماً صحيحاً نستطيع - بإذن الله -

أن تفوت على العدو أهدافه، ونحبط مخططاته، وشن عليه حرباً نفسية مضادة لرد كيده في نحره.

ولقد كان اختياري لهذا الموضوع متبعاً من هذه الحاجة الماسة إلى فهم هذه الحرب، وعلى الرغم من صعوبة الطريق، وصعوبة المسلك ووحشته، سرت فيه أتلمس مواضع الخطى كمن يسير في ليل دامس دون سراج ولا دليل..

وليس مثل هذا الموضوع سهل التهيئة، ولا يسير المعالجة، وذلك لثقله الباحثين فيه بشكل عام، وندرة أو عدم الباحثين فيه من خلال التصور الإسلامي وموازينته. وقد انتجأت إلى القرآن وإلى السنة النبوية الشريفة، وإلى كتب السيرة والتاريخ، وفيها وجدت بعض ما أصبوا إليه، مما دفعني إلى متابعة الطريق، حتى نهايته بإذن الله وتوفيقه ورعايته.

وقد وجدت من خلال تهيئة لهذا الموضوع أن الحرب النفسية تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الإنسان، فرأيت أنه لا بد من دراسة هذا السلوك والقوى المؤثرة فيه، وإمكانية تغييره وتوجيهه وتعديله؛ فكانت بداية البحث دراسة علم النفس الاجتماعي بصفته القاعدة النظرية للحرب النفسية، وأتبعته بدراسة قصيرة لعلم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، وتوصلت بعد ذلك إلى ماهية الحرب النفسية وتعريفاتها وأهدافها.. وهذا هو موضوع الفصل الأول من الرسالة.

- وهل الحرب النفسية حديثة العهد أم لها جذور في الماضي؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقيمت نظرة تاريخية على الحرب النفسية قبل الإسلام، وفي العهد الإسلامي الأول، وفي حياة الرسول ﷺ في مكة ثم في المدينة وما لاقاه ﷺ من المشركين والمنافقين واليهود، من دعاية كاذبة وشائعة وإرهاب

وتخويف، ثم أقيمت نظرة على الحرب النفسية عبر التاريخ الحديث والمعاصر... وهذا موضوع الفصل الثاني من الرسالة.

والحرب النفسية لا تحارب بالمدافع والأسلحة المادية المختلفة، وإنما تحارب بأسلحة أمضى وأشد.. إنها تحارب بسلاح الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، وهناك أسلحة أخرى، إلا أن هذه أخطرها وأشدّها ضرراً، وإن طعنتها لا يرأب صدعها، ولا يرتق فتقها.. وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الرسالة، أسلحة الحرب النفسية.

- وحتى يطلق الفارسي على نماذج تطبيقية للحرب النفسية العدو سلاح الدعاية ليقوم المسلم بخطرها وبعد العدة لها، أسهبت في تحليل الدعاية العدو لما نعبته نحن المسلمين اليوم منه، ولما نكتوي يوماً من ناره، ونحترق من أواره.

- وقد بينت كيف أن الدعاية اليهودية استطاعت بتخطيط رهيب أن تشع من شذاذ الأفاق أمة، وتقيم لهم دولة، ومار هذا المخطط في خمس مراحل، كل مرحلة تؤدي إلى التي بعدها حتى الوقت الحاضر.. وقد سيطرت على فلسطين كلها وأصبحت قوة بحسب لها حساب في ميزان الحروب.

- ووضحت المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي وموقف اليهودية من الإسلام على أنه عقيدة، فلجأت إلى التحريف والتشويه، فلجأ مفكروهم إلى تحريف الإسلام وتعاليمه في داخل فلسطين المحتلة من طريق كتب التعنيم، وخارجها عن طريق المؤلفات الفكرية العامة.. وكذلك بينت كيف أن اليهودية سخرت النصرانية لمصلحتها، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.. وأخيراً بينت وسائل الدعاية اليهودية وسيطرتها في الداخل والخارج على الإعلام الدولي ووكالات الأنباء.

- والنموذج الثاني للدعاية هو الدعاية الشيوعية .. نشأتها، وأسلوبها الخبيث، ووسائلها، وموقفها من الإسلام منذ بداية الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م وحتى الوقت الحاضر.. وكيف استطاعت هذه الدعاية بتخطيط خبيث القضاء على معالم الإسلام، وحاولت القضاء على العقيدة الإسلامية في البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، وتحمرت الدول الإسلامية، بعد القضاء على الاتحاد السوفيتي وتفككه.

- والنموذج الثالث الذي بحثه هو الدعاية الغربية أو الصليبية، وقد بينت أسسها وموقفها من الإسلام، ومراحلها، قبل الحروب الصليبية وبعدها، وفي الوقت الحاضر، ودور كل من الاستشراق والتبشير في هذه الدعاية، ووسائلها الخبيثة في هذا المجال، ومبطلتها على وكالات الأنباء التي تزود العالم أجمع بالأخبار من خلال تفسيرها وتشويهها وتزييفها للحقائق، ودس السم في الدسم، وما إلى ذلك من أساليب حاقدة.

وفي الفصل الرابع من البحث بينت أن الحروب النفسية المدونة لم تتوقف ضد امتنا، لا في سنينها السمان، سنين العزة والكرامة، ولا في سنينها العجاف، سنين الذل والمهانة.

فالخرب النفسية أضافت إلى حربها ضد عقيدة الأمة وفكرها وكتابها حرباً نفسية خاصة ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر وضد دعواتها ورجالها فحاولت تشويه صورتهم وتلطيح سمعتهم في نظر الناس جميعاً، وحرضت عليهم الأنظمة، وبينت خطة أعداء الإسلام في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية.

وفي هذا الفصل أيضاً وضحت المبادئ الأولية للحرب النفسية من خلال التصور الإسلامي، ميناً أسسها وأهدافها وأسلحتها، وكيفية مقاومة الحرب النفسية

العدوة. معتمداً في كل هذا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسيرة انصحابه الكرام..
رضي الله عنهم.. والتاريخ الإسلامي ..

ولا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقه من الدراسة والبحث.. فهو لا يزال محتاجاً
لـى مزيد من الجهد والعرق حتى تعم فائدته بإذن الله.. إلا أنني قد أكون والله الحمد
فتحت باباً للدخالين فيه وحركت الهمم للبحث فيه.. وكل ما أرجوه أن يزيد هذا
البحث في وعي أبناء هذه الأمة ويزيد في اهتمامهم بقضاياها.

وإني أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح رئيس قسم
السنة بالجامعة. والمشرف على الرسالة، وكل من الدكتور مالك بدري أستاذ علم
النفوس الاجتماعي بالجامعة، والدكتور محمد فريد عزت أستاذ الإعلام بجامعة الملك
عبد العزيز اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة..

وكذلك أقدم شكري وامتناني لكس من الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي
والأستاذ عبد الرحمن البياتي اللذين استعدت من نوجيهاتهما التربوية والنفسية
وفتحا لي بيتهما ومكثتهما لتزويدي بالمراجع اللازمة فلهما مني الشكر والحرقان..
والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول:

ماهية الحرب النفسية؟؟ .

المبحث الأول: علم النفس الاجتماعي.

- مفهوم علم النفس الاجتماعي.
- السلوك الاجتماعي.
- السلوك عند الغزائي والمدرسة السلوكية.
- الدوافع الاجتماعية للسلوك .
- الغرائز عند مكلوجال وفرويد.
- الغريزة في الإسلام .
- تعديل الدوافع.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في السلوك:

- ١- التربية .
- ٢- العقيدة.
- ٣- الرأي العام .
- ٤- الإعلام.

المبحث الثالث: أولاً- علم النفس العسكري.

ثانياً- الحرب النفسية.

الفصل الأول

ماهية الحرب النفسية

المبحث الأول - علم النفس الاجتماعي:

يعد علم النفس الاجتماعي القاعدة النظرية والتطبيقية للحرب النفسية، لذلك رأيت أن أجعله المبحث الأول لي؛ حتى أستند على أساس متين من العلم النظري... وحتى يكون القارئ الكريم صورة واضحة للحرب النفسية وأسسها النظرية والعملية.

مفهوم علم النفس الاجتماعي:

إن دراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع، وتأثره وتأثيره فيه. كانت متأخرة نسبياً عن دراسة الظواهر النفسية هذا الإنسان وما وراء هذه الظواهر من عمليات عقلية، مما عرف بعلم النفس النظري.

ولقد سار علماء النفس شوطاً بعيداً في دراسة الإنسان دراسة اجتماعية لأهميتها ولا اتصال علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع أولاً، من حيث تداخل موضوعاتهما، «بالإضافة إلى قرابة علم النفس الاجتماعي من علم الشعوب «الأنثولوجي» وتداخله مع علم السياسة وارتباطه بالفلسفة وعلم الإنسان «انثروبولوجي». ولكن بينما نجد المتخصص في هذه العلوم يهتم بالنتائج النهائية للتفاعل الاجتماعي أو بالتعميمات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والمواقف الاجتماعية، بصرف النظر عن السلوك الفردي للأشخاص، فإن المتخصص في علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الإنساني»^(١).

(١) علم النفس الاجتماعي - حامد زهران - ص ١٩ ط ١ ١٩٧٧ م.

ولعلنا من خلال التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع التوصل إلى مفهومه وإلى تبيان أهميته في الحياة المعاصرة، ومن هذه التعريفات: أن «علم النفس الاجتماعي هو ذلك الميدان من علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث هي تؤثر في أقرانها وتتأثر بها، وأن عالم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الاجتماعي كما يقع في الأحداث الاجتماعية المختلفة»^(١).

وأيضاً: «إن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة»^(٢).

ولكن ألا يهتم علم الاجتماع أيضاً بالسلوك الاجتماعي، ويحاول فهمه وتفسيره؟ غريب: أنه على الرغم من أن علم الاجتماع الغربي قد توصل إلى تفسيرات ظنية، وعمم أموراً بناها على استقرارات جزئية ناقصة خلال ملاحظته ودراسه للشعوب وليس هذا موضوع بحثنا إلا أنه اهتم بالإنسان وسلوكه، فهو إذا يفترب في تعريفه من علم النفس الاجتماعي.

فعلم الاجتماع يعرفه «جنزبرغ» أنه هو «الذي يدرس التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة وما يتحكم فيها من شروط وما ينشأ عنها من نتائج»^(٣).

إلا أن «أو للربخ» حاول تحديد ميدان علم الاجتماع وتمييزه عن علم النفس الاجتماعي فقال: «إن علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية فهو لا يهتم بالسؤال عن كيفية تأثير الظواهر الاجتماعية على الفرد ولا عن استجاباته للتأثيرات الاجتماعية، وإنما يتركز انتباه علم الاجتماع حول التشابه والانتظام في حالة العقل والسلوك وإنتاج الفرد»^(٤).

(١) مبادئ علم النفس - ج. جيلفورد - ترجمة يوسف مراد - مجلد ١ ص ٢٩٩.

(٢) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي - مصطفى سويف ص ٤٤.

(٣) علم الاجتماع - مويس جنزبرغ - ترجمة فؤاد زكريا ص ١٠.

(٤) علم النفس الاجتماعي - عبد الحميد عبد الرحيم ص ١٤-١٥.

ومع ذلك لا يمكن عزل علم الاجتماع عن علم النفس الاجتماعي كما يرى الدكتور صلاح محيىم « وأن مجال علم النفس الاجتماعي هو كـمجال سائر العلوم الإنسانية الأخرى، ينصب على الحقيقة الإنسانية في كل مظاهرها»^(١).

ونخلص إلى تعريف جامع كما هو عند الدكتور عبد السلام زهران: « وعلم النفس الاجتماعي يمكن تعريفه بأنه فرع من فروع علم النفس يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية، وهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل - وهدفه هو بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة»^(٢).

وبالقائنا نظرة على هذه التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي نجدها من حيث المنهج والاهتمامات يمكن الاستفادة منها في التصور الإسلامي للفرد والجماعة، ولكن الحذر الشديد من نتائج هذه الدراسات، لأنها نبئت، في الأساس، في الحياة الغربية المادية، ومبنية على آراء (دوركهايم) ونظرياته الظنية في الفرد والمجتمع، وفي الدين والعقائد، وآراء « فرويد» في علم النفس.. وما زال فكر هذين الاثنين يتغلغل في فكر أكثر علماء الاجتماع وعلماء النفس الغربيين.. وإن صورة المجتمع الغربي الحالي وما فيها من تحلل للأسرة والأخلاق لروح المنفعة.. والروح العدائية لغيرهم من الشعوب، بالإضافة إلى الاستغلال السيئ لعلم النفس الاجتماعي في الإعلام خاصة؛ والأسلوب « المكيفلي» في الدعاية والحرب النفسية، إن هذه الصورة المقيئة نُن تكون أساساً لمجتمع صالح.

وبالقائنا نظرة على تعريفات علم النفس الاجتماعي من خلال التصور الإسلامي، نجد أن الإسلام يدرس سلوك أو أخلاق الإنسان لا تبعاً لاستجابات

(١) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - د. صلاح محيىم وعبد وريزق ص ٢٠

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٩ و ١٠ .

المثيرات فقط بل تبعاً لمبواعث اعتقادية.. فالأخلاق في الإسلام مبنية على مبادئ من القرآن والسنة.. والالتزام المسلم بهذه المبادئ تدفعه إلى التحرك والعمل وفق هذه المبادئ ولا يحتاج إلى مثير خارجي. ولا مانع من وجود المثير لتسلوك. فالمسلم قد يثيره منظر فقير فيصدق عليه، أو منظر عاجز فيعيّنه، ولكن تصدقه على الفقير وإعاضته للعاجز، هذا السلوك يستند على مبادئ الإسلام وخلق القرآن وإنما كان الفعل موجوداً.. إذاً حتى المثيرات لا تحرك الإنسان بفعل إيجابي إذا لم تستند على مبادئ.. وقد لا تكون هناك استجابة مطلقاً إذا تعارض المثير مع هذه المبادئ، فالمسلم الصائم يثيره منظر الطعام ولكنه لا يستجيب له. لأن عقيدته تنهيه عن تناول الطعام أثناء الصيام.

والنظرة الإسلامية تميز عن المفهوم الماركسي أيضاً لعلم النفس الاجتماعي.

فعلم النفس الاجتماعي - كما يقول بوري شيركوفين - « يدرس ذلك الجزء من الوعي الاجتماعي، الذي يتكون ويؤدى وظيفته كنتيجة إجمالية للانعكاس المباشر لحقائق الواقع الاجتماعي في وعي الناس أو لتفسيرهم النفسي للمعلومات عن هذه الحقائق»^(١).

وهذا التعريف ينبثق من التصور الماركسي المادي للأفكار والعقائد.. فانوعي الاجتماعي يتكون من الانعكاس المباشر لحقائق الواقع. والظواهر المادية في وعي الناس... أما الحقائق الإلهية.. وآيات الله عز وجل.. وتأثيرها في النفس البشرية.. وأثر ذلك في الأخلاق والسلوك - وهذا ما نتمده واضحاً في التاريخ الإسلامي.. في حياة الصحابة والتابعين، والفتوحات الإسلامية - كل هذه الحقائق الواقعية عمروا عنها وصمّوا آذانهم منها.

(١) علم النفس الاجتماعي وفضايا الإعلام والدعاية بوري شيركوفين - ص ٢٤ - دار دمشق

ففي التصور الإسلامي: الخلق أو السلوك أو الواقع الاجتماعي ينبعث من مبادئ الإسلام وهدى القرآن، أو هو نتيجة إيجابية لهذه المبادئ، وليس الواقع الاجتماعي مكون هذه المبادئ.. ولا حاجة للتدليل على هذا، إذ الحياة الواقعية في الإسلام.. لكي تسمى حياة إسلامية يجب أن تصاغ وفق مبادئ الإسلام.. وابتعادها عن هذه المبادئ يُبعدها عن الإسلام ذاته.. وبعدها عن الحياة الحقيقية، وعن الحضارة الصحيحة التي يريدنا الإسلام، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا غَشِيَكُمْ﴾ ﴿١٠٥:١٠٤﴾ والذين لا يطيعون الله ورسوله هم بمرتبة الدواب.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا غَشِيَكُمْ﴾ ﴿١٠٥:١٠٤﴾
 ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٠٥:١٠٤﴾
 ﴿عِنْدَ اللَّهِ لَصُمُ الْأَبْكَامُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٥:١٠٤﴾

وأن القرآن كان هو الهادي إلى سبيل الأخلاق، والسلوك اليومي.. كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - عندما منلت عن خلق رسول الله ﷺ أجابته: «كان خلقه القرآن»^(١).

ولاشك أن دراستنا للتفاعل الاجتماعي المبني على الكتاب والسنة، ونتائج هذا التفاعل يبين لنا عظمة هذه المبادئ، وكذلك ينير لنا الطريق في دراستنا للرأي العام الإسلامي وتكوينه، والدعوة فيه.. وكذلك يجعلنا ندرك كيف استطاع أعداء الإسلام، عندما درسوا المجتمع الإسلامي، ودرسوا المحرك الأساسي لهذا المجتمع، عرفوا كيف يستخدمون هذا المجتمع.. من الداخل.. عندما يسوا من تدميره من الخارج عن طريق القوة العسكرية.

(١) جزء من حديث رواه مسلم بطوله باب «حياة الليل والنوم».

السلوك الاجتماعي:

رأينا في تعريفات علم النفس الاجتماعي، اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي بين الفرد والفرد الآخر في المجتمع، وبين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى. وما ينبع ذلك من نأثر ونأثير، والسلوك الفردي والاجتماعي هو مظهر هذا التفاعل، ولهذا لا بد من دراسة هذا السلوك، وبيان ماهيته، وكيف يتكون؟ وما هي القوى المحركة له؟ وما هي العوامل المؤثرة فيه؟

يُعرف السلوك بـ « أنه المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي » و« إن الخاصية الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي بعض النباتات، هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها المنبهات»^(١).

ويعرف بعضهم السلوك بشيء من التفصيل قائلاً: « هو أي نشاط جسمي أو عقلي اجتماعي أو انفعالي يصدر من الكائن الحي نتيجة لعلاقة « دينامية » وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به. والسلوك عبارة عن استجابة أو استجابات لمثيرات معينة ويجب التفريق بين السلوك على أنه استجابة كلية وبين النشاط (الفيولوجي) كاستجابات جزئية. والسلوك خاصية أولية من خصائص الكائن الحي، وتدرج السلوك بين البساطة والتعقيد، وأبسط أنواع السلوك « السلوك الانعكاسي ومن أعقد أمثاله « السلوك الاجتماعي » فالسلوك الانعكاسي محصور في الفرد ولا يحتاج إلى استخدام المراكز العقلية الأولى في الجهاز العصبي، ومعظمه وراثي، ولا إرادي وغير اجتماعي، أما السلوك الاجتماعي فإنه يتضمن علاقات بين أفراد الجماعة وبين الفرد والبيئة الاجتماعية، ويحتاج إلى تشغيل المراكز العقلية العليا. وهذا السلوك مُتعلم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. ويتضمن اتصالاً اجتماعياً، وهو إرادي ومحدود اجتماعياً»^(٢).

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٣١ (نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية).

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٦.

من هذين التعريفين للسلوك نتيين أن السلوك: نشاط جسمي أو عقلي أو انفعالي أو اجتماعي. وخاصيته الأساسية هي الحركة.. وبكلمة أخرى السلوك: عمل يصدر من الكائن الحي نتيجة منبهات، وهذه المنبهات إما أن تكون منبهات خارجية من المجتمع. وإما منبهات داخلية من ذات الإنسان. وما المنبه في الواقع سوى الباعث على العمل، وهذا الباعث يتكون في البيئة الاجتماعية عن طريق التنشئة الاجتماعية، وكيفما يكون المجتمع يكون سلوك الأفراد، فإن كان المجتمع أخلاقياً ويسير وفق مبادئ الخير والنصح نشأ الأفراد خيِّرين صالحين في سلوكهم في المجتمع، وإن كان المجتمع جاهلياً لا يسير على مبادئ الهداية، والوحي الإلهي نشأ الأفراد ذوي سلوك جاهلي غير أخلاقي..

فالطفل مثلاً في المجتمع الإسلامي ينشأ منذ صغره في البيت والمدرسة والحي.. على الأخلاق الإسلامية، التي نسب على هدى الله، أو على مبادئ السلوك الأساسية من الصدقة، العدل، الأجساد، إنباء ذمة القوم، والمحافظة بالعدل، التمسك عن الفحشاء والمنكر والبقي.. فينشأ في هذه البيئة النظيفة على هذه الأخلاق، صادقاً عادلاً وفيماً... إلخ.

ومقابل ذلك إذا نشأ هذا الطفل في مجتمع جاهلي، بعيداً عن وحي الله بعيداً عن الأخلاق الأساسية للخير والنصح.. هذا الطفل سينشأ إنساناً أتانياً نسبه المنافع المادية والغرائز الحيوانية والهوى البغيض.. سينشأ متحللاً أخلاقياً، يعيش كالبهائم الضالة لا يعرف له وجهة..

ونخلص إلى القول إلى أن السلوك في تصورنا الإسلامي عمل، أو حركة لها هدف وتبع من مبادئ العقيدة والخير المستمدة من هدى الله.. في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي وقفها يصوغ المسلم حياته، وسلوكه فيها، ويشترك وفق

مبادئها.. وإن خرج على هذه المبادئ، لا يعد مسلماً صادقاً في إسلامه ولا مؤمناً مخلصاً في إيمانه.

وفي التأثير على هذا السلوك يمكن التحكم بالإنسان، وبما أن الحرب النفسية تسعى إلى تغيير سلوك الفرد بعوامل نفسية واجتماعية مختلفة كالإدعائية والشائعات وغيرها.. وبما أن السلوك أساسه عقل الإنسان ونفسه، لذا كان هدف الحرب النفسية هو عقل الإنسان وقلبه وليس جسمه، فهي تسعى إلى الهزيمة الداخلية للعدو وهزيمة نفسه وروحه قبل هزيمة جسمه.

السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية:

رأبنا أن علماء النفس يُميزون بين نوعين من السلوك وهما:

١- السلوك العقلي الراجحي (وهو يتضمن السلوك الاجتماعي).

٢- السلوك الآلي أو الانعكاسي.

أما الغزالي - رحمه الله - فقد ميز بين ثلاثة أنواع من السلوك وهي:

١- الفعل الطبيعي: وهو مجرد التغيير الآلي.. وذلك كاشتراق الماء إذا وقف

الإنسان فيه بجسمه^(١).

٢- الفعل الضروري: وهو التغيير الحيوي (البيولوجي) والآلي وذلك كالرعد

أو النفس، وهو يعطي هذا الفعل أحياناً الصفة الإرادية ولكنه ينزعها عنه غالباً

فيبين أنه في الواقع ليس إلا سلوكاً آلياً لا إرادة أو عقل فيه، ويشرح ذلك بقوله:

« فلو قصد عين إنسان بإبرة طبق الأجنان اضطراباً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم

يقدر»^(٢).

(١) إحياء علوم الدين - الغزالي ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق - الجزء والصفحة نفسها.

٣- السلوك العقلي الإرادي، وذلك كالكتابة والمشي والتنطق .. ويشرح الغزالي الفرق بين نوعي الفعل الاضطراري والإرادي، بمثل ما يشرح به علماء النفس الفرق بين السلوك الأكي والعقلي، ذلك أن الفرق بينهما في نظره يبدو « في أن الأفعال الاضطرارية تصدر عن الإنسان دون سابق إرادة أو علم ودون قدرة على ردها، أما الأفعال الاختيارية فإنها تصدر بعد سابق معرفة واختيار»^(١).

وكذلك نجد ابن تيمية - رحمه الله - يقسم السلوك أو الحركة إلى ثلاثة أنواع:

١- الحركة القسرية: وهي التي مبدؤها من غير المتحرك.

٢- الحركة الطبيعية: وهي التي مبدؤها من المتحرك ولكن دون شعور منه.

٣- والحركة الإرادية وهي التي مبدؤها من المتحرك ويشعور منه ويتضح هذا التقسيم بقوله: « الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية الكرهية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية»^(٢).

ويؤكد الغزالي وابن تيمية أن للسلوك دوافع وبواعث وغايات وأهداف.. وأن هذه الدوافع داخلية تنبع من ذات الإنسان إلا أنها تستثار بمثيرات خارجية أو بمثيرات داخلية تتعلق بالحاجات الجسدية والميول الطبيعية.. مثل الجوع، والمل الجنسي، والخوف من الله، والمحبة وغير ذلك.

وهكذا نجد أن السلوك عند الغزالي وابن تيمية حركة لها هدف، وليس سلوكاً ساكناً من النوع الذي حددته بعض المدارس السلوكية الارتباطية.

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) در- تعارض العقل والنقل - لابن تيمية ج ٩ ص ٣٧٣، ٣٧٤ - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - وكذلك انظر فتاوى ابن تيمية (ط الرياض) ج ١٠ ص ٤٩٥، وانظر أيضاً كتاب: العقل، للمؤلف - وهو الكتاب الأول من سلسلة الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية ص ١٦٦ - ط ١٤٢٥ هـ بالرياض.

فالمناهج السلوكية ترى أن الكائن الحي ما هو إلا آلة معقدة، وتدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل بها ولا شعور، أما العوامل النفسية الباطنية كالإرادة والرغبة والتفكير فلا أثر لها في العقل أو النتائج، وبعبارة أخرى فالكائن الحي لا تحركه عوامل داخلية بل منبهات خارجية^(١).

وهناك أمور أخرى يخالف فيها الغزالي المدرسة السلوكية التي يتزعمها « جون برروس واطسن » ومفتاح مذهبه « إذا عرفت المنبه فيمكنك أن تتنبأ بالاستجابة »^(٢). فالإنسان في نظر المدرسة السلوكية آلة يمكن التنبؤ بحركاتها عندما تعرف تركيبها، ويؤكد علم النفس السلوكي دراسة الحركات المقابلة للقياس في الكائن الحي من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسبقها، ويعتقد السلوكيون أن حقائق علم النفس يمكن بحثها موضوعياً، وأن وصف الشعور ليس أمراً جوهرياً.

بينما نجد الغزالي وابن تيمية يؤكدان أن السلوك فردي يختلف من إنسان لآخر باختلاف العوامل الفطرية والاكْتسابية. ونشاط النفس عند الغزالي أو صفاتها ليست منفصلة عنها « وهياتها لا تتماثل ولو تماثلت لأشبهه علينا زيد بعمره »^(٣).

والغزالي يؤكد التصور الإسلامي في الإنسان من حيث إمكانية تعديل سلوكه أو تهذيبه أو التسمو به في مجال الأخلاق ليصل بالإنسان إلى ما يرضي الله تعالى.

لذلك كان تعريف السلوك عند الغزالي بأنه « تهذيب الأخلاق والأعمال بالمعارف عن طريق الاشتغال بعمارة الظاهر والباطن »^(٤).

(١) الدراسات النفسية عند المسلمين - عبد الكريم العثمان - ص ١٦٣ مكتبة وهبة ط ١ - ١٣٨٢ هـ.

(٢) سيامين علم النفس - ج. جيلغورد - المجلد الثاني - ص ٩٧٦ - دار المعارف ط ١٩٦٢ م.

(٣) إحياء علوم الدين - الغزالي ج ٤ ص ٥ - وكذلك : رسالة : مسألة فيما إذا كان في العبد حجة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه - تحقيق د. محمد رشاد سالم - ضمن كتاب ، دراسات وبحوث إسلامية - القاهرة - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.

(٤) الروضة التديبة - الغزالي - ص ١٣٨.

لذا فإن السلوك الإنساني عند أبي حامد على مستويين: مستوى يقترب فيه من باقي الكائنات الحية. ومستوى آخر يحقق فيه مثله العليا ويقترب فيه من المعاني الربانية والسلوك الملائكي ، ويشير المستوى الأول بنحكم الدوافع والعوامل الاندفاعية، بينما يتميز السلوك الثاني بتحكم الإرادة وسيطرة العقل^(١) .

الدوافع الاجتماعية للسلوك:

يعد موضوع الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك الاجتماعي بصفة عامة من الموضوعات المهمة في علم النفس، لأن دوافع السلوك بطبيعة الحال تفسره^(٢) .

لذلك فإن دراستنا للدوافع الاجتماعية تساعدنا على أمور أهمها^(٣):

(أ) فهم السلوك الاجتماعي للفرد وللجماعة.

(ب) توجيه السلوك البشري الوجهة التي نريدها.

(ج) وضع معايير اجتماعية للسلوك تتضمن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والحرص على بنائها من خلال عملية التربية.

(د) تحصيل الأفراد والجماعات ضد الحرب النفسية وتعريفهم بأساليبها.

هذا تخطيط الإعلام وجميع وسائله السمعية والبصرية، بشكل يؤدي دوره كاملاً في التأثير المرغوب في سلوك الفرد والجماعة .

وقد مر معنا أن السلوك حركة تنتج عن منبهات داخلية وخارجية .. وما هذه المنبهات سوى الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك، وتشمل الغرائز الفردية والاجتماعية.. أما المنبهات الخارجية فتشمل جميع المؤثرات الاجتماعية، أو العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك .

(١) الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان ص ١٦٤ .

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ١٠٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٠٩ .

ومن هنا كان اهتمام خبراء الحرب النفسية بموضوع الدوافع الاجتماعية، واستغلالها وتوجيهها الوجهة المطلوبة عن طريق أسلحة الحرب النفسية المتعددة.. وبوساطة وسائل الإعلام المتعددة.

إن اهتمام علماء النفس في الدوافع ومحاولة دراسة هذا الجزء المهم من الحياة النفسية لم يبدأ إلا حديثاً عند علماء الغرب.. بينما نجد الغزالي ومن بعده ابن تيمية كانا من أوائل علماء الإسلام في دراسة الدوافع وتأثيرها في الفرد، وتعديلها وإصلاحها، وسبقا بها العلماء المحدثين بقرون عديدة^(١)، وإن دلّ هذا على شيء، فإنه يدل على أن للغزالي ولابن تيمية خبرة عميقة بالنفس البشرية وأحوالها.

والدوافع عند الغزالي هو كل ما يدفع إلى النشاط النفسي أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً، وإذا كان الغالب على الدوافع أن يكون غير مشعور به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإذا قوي واستقر بتأثير التجارب الانفعالية كان عاطفة فنز الغزالي يستعمل الدوافع بالمعنى الشعوري غالباً^(٢) ودوافع السلوك عند الغزالي على نوعين :

١- مشيرات خارجية: وذلك كهيجان الرغبة لصورة امرأة^(٣) أو هيجان الشهوة بسبب كثرة الأكل، ومداخل هذه المثيرات هي الخواص الخمس^(٤).

٢- بواعث داخلية تتمثل في الخواطر وحركاتها والخيالات الحاصلة التي تبقى في النفس إذ ينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال^(٥).

(١) عاش الغزالي في القرن الخامس الهجري ٤٥٠ هـ (الحادي عشر الميلادي)، وعاش ابن

تيمية في القرن السابع الهجري ٦٦١ - ٧٢٨ هـ (الثالث عشر الميلادي).

(٢) الدراسات النفسية - عبد التكرم عثمان ص ١٧٠ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٤٠ .

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٥ .

(٥) الإحياء ج ٣ ص ٢٥ .

وإن معالمتنا لكتاب الإحياء تبين لنا أن الغزالي يتكلم عن نوعين من الدوافع الأساسية:

أ) دوافع فطرية: مفروزة في الإنسان منذ أن خلقه الله.. مثل شهوة النساء والطعام والزينة.

ب) دوافع مكتسبة: وهي دوافع يكتسبها الإنسان في الحياة، مثل شهوة المال والرياسة والجاه والاجتماع.

والتقسيم نفسه نجده عند ابن تيمية أيضاً حيث قسم الدوافع إلى فطرية ومكتسبة. وقد استفاض في بيان الدوافع الفطرية أو الغرائز في الإنسان في كتابه الغتاي ودره تعارض العقل والنقل^(١).

والدوافع المكتسبة عند الغزالي لا تقل أهمية عن اندوافع الفطرية، يقول «ومهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما، أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة. وإذا ظهر ذلك لم تسمح له نفسه بترك الدنيا رأساً ونسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور»^(٢).

وتحدث الغزالي عن قوة بعض الدوافع وترتيب ظهورها في الإنسان بقوله: «أما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو يحتاج إليه، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة التكاثر، على الترتيب» ثم يظهر فيه، مميّزاً عن البهائم، العقل والإرادة - والقدرة على دفع الشهوات^(٣).

(١) انظر: الفتاوى ١٠/٧٢، ٥٧١، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٦٠٧، ٥٨٨، ٦٤/٣٨، ٢٠٧، ٢٠٨.

٢٠٩، ودره تعارض العقل والنقل ٨/٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) الإحياء ج ٣ ص ٧٦.

(٣) الإحياء ج ٤ ص ٦٢.

ومن هذا النص نفهم أن الغزالي يشير إلى أن الدوافع فطرية في الإنسان وتظهر خلال مراحل العمر من المصبا وحتى الرشد.

والمحور الذي تدور حوله دوافع الإنسان هو حب البقاء . وكلما اقترب الدافع من هذه الحاجة كلما كان أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً ، والغزالي يشرح ذلك فيقول: « ولذلك كان أغلب أحوال النفس، الشره والشهوة والجماع على اعتبار أنها الأصلح للحياة»^(١) .

وكما يقول في مكان آخر : « وكانت شهوة البطن والفرج أهم ميول الدنيا^(٢) على اعتبار أنها الأصلح والألصق ببقاء الحياة وكل ما سواهما فهو تبع لها.

والغزالي بعد الميل إلى الطعام أساساً للميول والدوافع لصلته الوثيقة بحب البقاء وكذلك يقول : « أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن»^(٣) .

ويظهر لنا واضحاً أن الميول لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لغيرها أي لتحقيق البقاء، فليل إلى التملك والميل إلى الاجتماع، وكذلك باقي الشهوات الدنيوية إنما يشتغل القلب بها « لبقاء المركب الذي هو البدن»^(٤) .

الغرائز عند مكدوجال وفرويد:

تعد درس الغرائز كثير من علماء النفس الغربيين أمثال مكدوجال وفرويد، إلا أن ما يجب أن ننبه إليه أن هؤلاء حينما يعرضون هذه الغرائز يعدونها حقائق موجودة في الكائن الحي الإنساني، وهذا جيد، ولكن السيئ في دراستهم أن هذه الغرائز يجب أن تترك دون ضبط، طليقة من كل قيد يقبدها، مثل الدين والمجتمع والعقل. لأن هذا هو واقع الحياة، وأن أي كف لهذه الغرائز يعرض الإنسان للأمراض النفسية، وهذا ما ستراه عند « فرويد » بشكل خاص.

(١) الإحياء ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) الإحياء ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٧٧ .

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٢٩ .

ونود التويه إلى أن ما نعرضه من آراء « مكدوجال وفرويد » في حاجة إلى أن يُتلقى بانتباه شديد لأنه ليس إلا حلوساً أو افتراضات يحكمها الهوى وتدفعها الرغبة وتتحرك من خلال غرض مرسوم. فهي ليست خالصة للعلم وحده، لأن العلم في هذه الأمور ما زال قاصراً في ميادين كثيرة وخاصة ما يتعلق منها بالنفس البشرية^(١) يقول الكسيس كاريل في كتابه المشهور « الإنسان ذلك المجهول » : « وواقع الأمر أن جهلنا مطبق. فأغلب الأسئلة التي يلقىها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري نظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنة مازالت غير معروفة^(٢) » إذاً ليس أمامنا من حقائق إلا ما قدمه لنا الدين الحق في مفهوم المفطرة وفوائدها والسنن الثابتة التي لا تتغير.

قال تعالى: ﴿ فطَرْتُ اللَّهَ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [الاحقاف: ٢٢]

ومستعرض لرأي الإسلام في الغرائز بعد عرض رأي كل من مكدوجال وفرويد.

يُعرف مكدوجال الغريزة بقوله: « إنها استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى شئ معين يدركه إدراكاً حسيّاً، ويشعر بانفعال خاص عند إدراكه، وعلى العمل أخيراً، أو الشعور بدافع إلى العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا الشئ، وعلى هذا فـللغريزة ثلاثة مظاهر: مظهر معرفي، ومظهر انفعالي، ومظهر نزوعي^(٣) .

(١) ارجع كتاب «الإنسان بين المادة والإسلام» د. محمد قطب.

(٢) الإنسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل - ص ١٧ تعريف شفيق أسعد فريد.

(٣) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ١٠٩.

وقد صنف مكدوجال الغرائز إلى:

(أ) غرائز فردية .

(ب) غرائز اجتماعية.

أ - الغرائز الفردية : وتتلخص في غريزة البحث عن الطعام وانفعالها الجوع ، وغريزة التملك وانفعالها لذة التملك، وغريزة الاستغاثة وانفعالها الشعور بالعجز، وغريزة الهرب وانفعالها الخوف، وغريزة النفور وانفعالها الاشمزاز ، وغريزة التضحك وانفعالها الشعور بالمرح والتسلية، وغريزة الحل والتكيب وانفعالها لذة الابتكار، وهي تتصل بغريزة الاستطلاع^(١) .

ب - الغرائز الاجتماعية: وتتلخص في الغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة، وغريزة الوالدية وانفعالها الحنو وترتبط بالغريزة الجنسية، وغريزة السيطرة وانفعالها الزهو، وغريزة الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص، وهي تتصل اتصالاً عكسياً بغريزة السيطرة، وغريزة المقاتلة وانفعالها الغضب، وغريزة التجمع وانفعالها الشعور بالوحدة والعزلة^(٢) .

وقد فسّر فرويد الدوافع على أساس الغريزة، والغريزة عنده قوة نفرض وجودها وراء التوترات المتأصلة في حاجات الكائن العضوي (أو حاجات الهوى)^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠.

(٣) ((الهوى)) هو الجزء اللاشعوري العميق من النفس والذي يقسم الدوافع الغريزية ومختلف الرغبات المكبوتة، وتسيطر عليه الميول الاندفاعية العمياء وهو خاضع لمبدأ اللذة و ((الأنا)) هو الجزء السطحي الشعوري من النفس ووظائفه أن يفحص الواقع وأن يتقبل ، عن طريق الاختيار والقبض، بعض المطالب والرغبات التي تمثلها الدوافع الصادرة عن ((الهوى)) وهو خاضع لمبدأ الواقع. (معجم مصطلحات علم النفس - منير وجيه الحازن - مادة: الأنا).

ومصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر، وموضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع أو توصل إليه، وهناك عدد كبير من الغرائز، إلا أن معظمها يستنتج من عدد قليل من الغرائز الأساسية^(١).

ومن الغرائز التي قال بها فرويد: غريزة الحياة أو غريزة الحب أو القوى البناءة في النفس وتهدف إلى البقاء، ويدخل في إطارها غرائز حفظ الذات وحفظ النوع وحب الذات، ويقابلها غريزة الموت أو غريزة الهدم أو القوى التدميرية في النفس، وتهدف إلى القضاء. ويوجد صراع دائم بين هاتين الغريزتين الأساسيتين والسلوك حسب هذه الآراء هو مزيج متوافق أو متعارض من غرائز الحياة وغرائز الموت، ويؤدي فساد هذا المزيج إلى اضطرابات في السلوك^(٢).

ويميز فرويد بين غرائز (الأنثى) وبين الغريزة الجنسية، فغرائز (الأنثى) هي القوى المعارضة للنزعات الجنسية وهي القوى التي تعمل على حفظ (الأنثى) والصراع بين الغرائز الجنسية وبين غرائز (الأنثى) يؤدي إلى الصراع العصائبي، والكبت^(٣) هو نتيجة تفوق غرائز (الأنثى).

ويرى «فرويد» أن الغريزة الجنسية تؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد، وقد لاحظ أن المشكلات الجنسية تكمن وراء الكثير من الاضطرابات النفسية وقام بحوث أدت إلى الكشف عن علاقة اضطرابات الغريزة الجنسية بالأمراض النفسية^(٤).

(*) الكبت : هو عملية لا شعورية مقنضهاها منع اليقظة والدوافع الكائنة في اللاشعور من أن تظهر في حيز الشعور. (معجم مصطلحات علم النفس مادة: الكبت، الكبح، الكظم) وهو في مفهوم فرويد ليس مجرد الامتناع عن إتيان العمل الغريزي التي تدفع إليه الطاقة المشهوية - كما هو شائع - وإنما استغفار العمل الغريزي هو الذي يولد الكبت.

(١) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ١١٠ و ١١١.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

ويلاحظ أن فرويد استخدم اصطلاح (جنسي) بمعناه الواسع مشيراً إلى أي نوع من النشاط الجسمي الذي يجلب اللذة بإشباع الحاجات الجسمية، واعتقد فرويد أن النشاط البشري ينبع من دافع غريزي جنسي في طبيعته، وهو الطاقة الجنسية أو ما أسماه الليبيدو^(١) الذي يدل على المظاهر الدينامية للغريزة الجنسية ويلاحظ أيضاً أن فرويد قد أكد أن كثيراً من العوامل الاجتماعية ترجع إلى دوافع غريزية، فالاضطرابات العاطفية ترجع إلى الغريزة الجنسية، والإبداع يرجع إلى إعلاء الغريزة الجنسية، والعدوان والحرب يرجعان إلى غريزة الموت^(٢).

نقد نظرية فرويد:

هذا موجز لأراء فرويد في الغرائز - الغريزة الجنسية بشكل خاص - وقد نقد فرويد كثيراً من علماء النفس والاجتماع، واهتماماً بتقد آرائه، بنطلق من أن هذه الأراء والنظريات أخذت صفة الحقائق، وأثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الغربي أولاً وفي مجتمعاتنا الإسلامية ثانياً.. ولأثرها الكبير في التحلل الأخلاقي وتفكك الأسرة والمجتمع في الغرب.. ويمكننا إيجاز نقاط النقد فيما يلي:

١- إن نظرية فرويد محدودة، ولا تمثل الحقيقة كلها، يقول «الكسيس كاريل» إن ملاحظاته (أي فرويد) تتعلق بالمرضى على الأخص، ومن ثم يجب ألا نعمم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وبخاصة أولئك الذين وهبوا جهازاً عصبياً قوياً وسيطرة على أنفسهم، وبينما يصيح الضعفاء المعنوا الأعصاب غير المتزبن أكثر شذوفاً عندما تكبت شهواتهم الجنسية فإن الأقوياء يصيرون أكثر قوة بممارسة هذا الشكل من الزهد^(٣).

(١) الليبيدو: أو الطاقة الحيوية أو الجنسية أو الدافع الحيوي (موسوعة علم النفس - عبد المنعم الحفني).

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ١١١.

(٣) الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل ص ١٦٧.

إذاً فإن نظريات فرويد في الغريزة الجنسية خاصة استمدّها من تجاربه على المرضى ، ولم يستمدّها من الأصحاء . ولا صحة لقوله أن المرض حاصل في نفس الإنسان من كبث نزعات « اللبيدو » وتحت ضغط المجتمع .. إذ إن كبث الشهوات الجنسية عند الأقرباء بصيرون بها أكثر قوة كما يقول (كاريل).

٢- إن اللبيدو وأصل معناه عند فرويد « الحب » قد وسع فرويد نفسه دلالاته حتى جعله يضم مختلف مظاهر النشاط الفردي والاجتماعي .. وهذا شبيه ببعض النظريات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) التي تحاول أن تشرح كل شيء بالاستناد إلى فكرة واحدة، كما صنع قديماً (طالبس^(١)) حين رد أصول الأشياء إلى الماء. وكما صنع أمبدوقل حين فسّر كل شيء بالفض^(٢).

٣- حصر المحللون النفسيون - ومنهم فرويد - جميع أبحاثهم في كهوف مظلمة من اللاشعور. فبقيت معظم أفكارهم غامضة وغير مقنعة. يقول العالم النفسي السويسري « كلا باديد » في ذلك : « بلوح لي كأن علماء التحليل النفسي في مجال علم النفس أشبه ما يكونون باليوم، إنهم يرون في الظلام فلهم في ذلك ميزة كبيرة ، إذ يرون ما لا يرى غيرهم، ولكن هذه الميزة مقترنة بعيب وهو أنهم اعتادوا الظلام، فهم في بعض الأحيان لا يستطيعون مواجهة النور، ولا يستطيعون أن يعرضوا أفكارهم بجلاء عرضاً منطقياً يقتنع الذين على خلافهم، ولم يسبق الاقتناع إلى قلوبهم، وقد ضيّعوا حس التفرقة بين الألوان المتفارقة فلا يميزون الفرضية الغربية من الاستنتاج الجائر^(٣) .

٤- تأثر فرويد بأساطير اليونان القدماء، وبالأساطير والقصص الإسرائيلية الإباحية التي تلتصق العار حتى ببعض أنبيائهم زوراً وبهتاناً، وجعل من هذه

(١) طالبس وأمبدوقل من فلاسفة اليونان القدماء .

(٢) تمهد في علم الاجتماع - د. عبد الكريم اليافي ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) المرجع نفسه

الأساطير أساساً بنى عليه جانباً من نظريته.. كاستطورة أوديب التي جعل منها عقيدة موجودة عند كل إنسان حسب زعمه يكره بسببها أباه كرها لا شعورياً، وما قيمة علم أقيم على الأساطير والفصص الكاذبة»^(١).

٥- تقوم مدرسة التحليل النفسي على افتراض وجود (حرب) لا شعورية، أو صراع وخلاف عميق بين نزوات الإنسان الغريزية أو مطامعه الفردية.. والأخلاق والنظم الاجتماعية. وهذا الخلاف إما أن يؤدي - في زعمهم - إلى صراع نفسي وكبت وعقد وأمراض نفسية، وإما أن يؤدي إلى التواء أو الحراف أو نفاق يظهر في اتخاذ (قناع) كاذب يصطنعه الفرد لكي يتفق به تجاه المجتمع. مع أن الفرد هو الذي أقر هذه النظم الاجتماعية، فالمسلم مثلاً هو الذي اقتنع بالعقيدة التي تنظم حياة المجتمع برغبة، ودافع عنها لأنها تدافع عن مصالح المجموعة التي ينتمي إليها. وبها صلاحه وصلاح المجتمع وتنظم علاقاته الجنسية وغير الجنسية. فكان مدرسة التحليل النفسي أقامت الحياة النفسية برمتها على افتراض وجود التناقض بين الفرد والمجتمع، فكان من حصاها، في أوروبا، أن أقامت صراعاً، بل ثورة عارمة، ضد الفضيلة والأخلاق، وجعلت زمام المبادأة في هذا الصراع بيد النزعات الحيوانية الغريزية، وأيدها العلم، حسب زعمهم، العلم الكاذب، الذي قام كما رأينا على الأحلام والأساطير والأوهام ونبت في تربة المرض والأسقام، وفي مجتمع متحل منها^(٢).

٦- وإن مما يؤسف له أن تنتقل نظرية فرويد إلى الفكر الإسلامي وأن تكون مادة تدرس في الجامعات والمعاهد.. وهي بهذا الشكل الذي يعتورها النقص من كل جانب، وتحيط بها الشبهات من كل جانب، مع أن دراسات متعددة قد خرجت تكشف زيف فروض كثيرة مما طرحه فرويد واستسلم الفكر الغربي له:

(١) مدخل إلى علم النفس - الأستاذ النحلاوي - ود. عرقوسي ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه.

أ) من ذلك ما ذكره الدكتور « ناثان كلامين » من أن نظرية فرويد في العلاج النفسي والعقلي (وهي النظرية التي ترجع جميع الاضطرابات النفسية إلى أسس جنسية بحتة) هذه النظرية ليست سوى مبعول هدام لعقول الشباب، وتهدر بميت للنفوس، ورجح الدكتور كلامين إلى أن البيئة هي المسؤول الأول عما يصيب الإنسان من انحراف نفسي وعقلي^(١).

ب) وكذلك أجرى الدكتور إسكندر توماس عدداً من البحوث بواسطة فريق من الأطباء النفسيين، انتهى منها إلى أن نظرية فرويد لم تكن مطلقة وأن إقبال رجال التربية على لوم الآباء بشأن توجيه أبنائهم كان من أكبر الأخطاء، ويقول العلماء في تقريرهم: إنهم درسوا حياة ١٥٨ طفلاً غير منحرفين بينهم الفقراء والأغنياء فوجدوا أن الأولاد أصحاب مستقبلين بالرغم من فيود النظم القاسية في تربيتهم وذلك يدل على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل^(٢).

ج) وحتى العلاج النفسي المبني على نظرية فرويد في التحليل النفسي^(٣) أثبت العلماء عدم فاعليته وجدواه. فالدكتور « هاري واينستوك » وهو من اللجنة الأمريكية للتحليل النفسي كتب يقول: « إن الجمعية لا تزعم شيئاً يتعلق بالفائدة العلاجية للتحليل، ونحن غير مسؤولين عن المزايم التي تصدر من أفراد قد تغلب حماسهم على معرفتهم » ويضع الدكتور « إدوارد جلوف » - وهو من أكبر المحللين النفسانيين في بريطانيا - « القوة العلاجية للتحليل ضمن قائمة الافتراضات

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية - أنور الجندي - ص ١٧١ (دار الاهتمام ٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م).

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ أيضاً.

(٣) إن التحليل النفسي الذي ينبثق من (سيجموند فرويد) يقوم على أساس النظرية القائلة بأن كثيراً من السلوك الإنساني له دوافع كامنة في النفس، وإن التنوير الطويل كفيلاً بأن يجعل المحلل النفسي بارعاً في استخلاص وتفسير هذه الدوافع الكامنة عن طريق تداعي المعاني. إذاً فالعلاج النفسي مبني على (بحث أسباب السلوك).

غير الجائزة» وإن (هـ . ايسنك) أستاذ علم النفس بجامعة لندن يقول: لم يقدم التحليل النفسي أي دليل عملي لا يقبل الشك على أنه نجح في علاج الأمراض النفسية.. وأن فرويد نفسه في أواخر أيامه أخذ تشاؤمه يزداد حيال الإمكانيات العلاجية للغفون التي وضعها هو بنفسه»^(١).

٧ - وأخيراً تتضح الصورة لنظرية فرويد، عندما يتبين لكل ذي بصيرة أن غاية فرويد البعيدة هو إفساد المجتمع، وانهيار أخلاقه وذلك بتمجيد الإباحية وإطلاقه عنان الشهوات البشرية للرجل والمرأة تنفيذاً لمخططات يهودية خبيثة. ويشهد على ذلك أحد كتاب العرب هو « نوكهارت» في كتابه « اليهود المعاصرون» إذ يقول: « إن الأدب العالمي قد يكون مديناً لبعض كتاب اليهود، ولكن شرهم أكثر من نفعهم وإثمهم أكثر من خيرهم.. وأن فرويد قد أوجد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الإغريقية، ومجد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلوا بمسدهما ما شاء»^(٢).

الغريزة في الإسلام:

ما زال العلم الإنساني قاصراً على اتوصل إلى حقيقة الغرائز ودورها في حياة الإنسان، وما الآراء التي أشرنا إليها آنفاً لكل من (مكدوجل) و(فرويد) إلا حدوس أو افتراضات شخصية يحكمها الهوى..

إذا نيس أمام الإنسان من حقائق حول هذه الأمور النفسية إلا ما قدمه الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها، والسنن الثابتة التي لا تتغير.. لأن الله - عز وجل - مصدر هذه الحقائق... والله أعلم بمخلوقاته وما غرز فيها من قوى باطنة كي تستطيع الحياة، وتحقق مفهوم الخلافة الصحيحة في هذه الأرض قال تعالى:

(١) مجلة المختار من ريلوز دايجت - آذار ١٩٦٠ - مقال: اعرف من التحليل النفسي.

(٢) مفاهيم العلوم الاجتماعية - أنور الجندي - ص ١٦٥.

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ أُجْنَتَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾
 الله ٣١ وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(١) الله ٣١ وقال
 تعالى: ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾^(٢) الله ٣٠

فالله - عز وجل - خلق الإنسان، وخلق فيه من الغرائز ما يحفظ ذاته ونوعه
 وقد أشار القرآن إلى بعض هذه الغرائز الفطرية .. قال تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ
 الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ
 حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴾^(٣) بقره ١٠

من هذه الآية الكريمة نبين أن هناك بواعث فطرية خفية ، فطر الله الناس عليها
 تؤدي دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها، وصباغة الفعل للمجهول « زين
 للناس» تشير إلى أن توكيدهم الفطري قد تضمن هذا الميل^(٤) ، وأن المزين هو الله
 تعالى لا الشيطان كما هو عند بعض المفسرين^(٥) ، والغرائز في الإنسان كثيرة
 ومتنوعة. ومنها الأساسية ومنها الفرعية المرتبطة بالأساسية.. والمتولدة عنها.. ومن
 خلال استقرائنا لموضوع الغرائز - نرى أن نصف الغرائز في الإنسان إلى خمس غرائز
 أصلية وأساسية، تتفرع منها مجموعة من الغرائز الأخرى.. وهي كما يلي:

أولاً: غريزة البحث عن الطعام؛ وهي من أقوى الغرائز العضوية والحَيَوِيَّة
 (البيولوجية) في الإنسان. خلفها الله - عز وجل - في الإنسان ليحافظ على ذاته..
 تولد هذه الغريزة مع ولادة الإنسان، وتموت بموته، وهي أقوى من الغريزة الجنسية،
 إذ إن الإنسان قد يصير على عدم إشباع الغريزة الجنسية، ولكنه لا يستطيع أن يصبر

(١) ارجع إلى الظلال ج ٣ / ٢٧٢ ط دار الشروق.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، لما نزلت « زين
 للناس حسب الشهوات» قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا ، فنزلت « قل أوتيتكم نعيم من
 ذلكم» الآيات - (ارجع إلى تفسیر الطبري المجلد الثالث ص ١٣٤) (تفسير سورة آل عمران).

عن الطعام .. بالإضافة إلى أن الصوم عن الطعام وسيلة من وسائل القضاء على الشهوة الجنسية أو التخفيف من حدتها مؤقتاً إلى أن يتيسر للإنسان الزواج وإشباع هذه الغريزة .

قال رسول الله ﷺ : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج فإنه أغنى للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))^(١) .

ثانياً - غريزة الحياة: وهي من الغرائز التي خلقها الله - عز وجل - في الإنسان ليحافظ بها على ذاته ، وينفزع منها غريزة المقاتلة، وغريزة الخوف، وغريزة الهرب، وغريزة الحياة غريزة قوية في الإنسان، وتستيقظ هذه الغريزة عندما يهدد حياة الإنسان تخطر ما ، من إنسان آخر أو حيوان.

ثالثاً- الغريزة الجنسية: وهذه الغريزة في الإنسان تهدف إلى حفظ النوع الإنساني، وعن طريق إشباعها بتكاثر البشر.. وهي تستيقظ في سن البلوغ عند الإنسان، وقد شرع الإسلام إشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج .. لذلك حضّر الإسلام على الزواج المبكر.. وعدم هدر هذه الطاقة الحيوية في الإنسان.

رابعاً - غريزة التملك وحب المال: وينفزع عنها غريزة السيطرة ، والطمع ، والبخل ، وحب الظهور والزينة، والسلطان ، والجاه ... إلخ.

والآية الكريمة المذكورة آنفاً «رُئِنَ لِلنَّاسِ» تبين هذه الغريزة في الإنسان قال تعالى: ﴿ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ﴾ [المدثر: ٢١]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [المائدة: ٨٥]

وقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [هم: ١٠٠]

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .. ارجع إلى جامع الأصول ج ١١/ ٤٢٦
واللفظ لمسلم (كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ...).

إلا أن الإسلام سما بهذه الغرائز - كما سنرى في الفقرة الآتية.

عاماً - غريزة الاستعداد للتسامي: وهي الغريزة التي توازي جميع الغرائز السابقة في فطرة الإنسان، وتعمل حارسة للإنسان لتلا يستغرق في جانب واحد من حياته ويفقد قوة التضحية الإلهية ومدلولها وإجماعها.

« والاستعداد للتسامي هو الاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من مزاولة إشباع الغرائز في الإنسان؛ الحد البشري للنفس والحياة، مع التطلع المستمر إلى ترقية الحياة ورفعها إلى الأفق الذي نهدف إليه التضحية العلوية، وربط القلب البشري بالملأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله ، هذا الاستعداد يهذب الغرائز الأخرى وينضى عنها الشوائب، ويجعلها في الحدود المأمونة التي لا يطفى فيها جانب اللذة الحسية على الروح الإنسانية»^(١).

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُو۟تِيۡتُمۡ بِخَيۡرٍ مِّنۡ ذَٰلِكُمْ لِيۡلِذِينَ اتَّقَوۡا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌۭ نَّجۡرِيۡ مِّنۡ تَحْتِهَا۟ أَلۡأَنۡهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٌۭ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَانٌۭ مِّنۡ رَبِّهِۦ وَاللّٰهُ بَصِيۡرٌۭ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٠٠﴾ ﴾

تعديل الدوافع:

إن مسألة تعديل الدوافع أو إبدالها، أو إعلاتها أصبحت لها أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، وخاصة في مجال علم النفس الاجتماعي الذي هو بدوره أساس مهم من أسس الحرب النفسية، التي تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الفرد والجماعة، وتوظيف ذلك لصالح من يشنها.. ومن المعلوم في علم النفس أن السلوك الغريزي لا يبقى ثابتاً عند الإنسان كما يبقى عند الحيوان - بل يخضع لكثير من التعديل ، حتى إن أفراد الجنس الواحد يروون حاجة غريزية واحدة بأساليب كثيرة متنوعة بعضها مكتسب وبعضها مخترع وبعضها خاضع للظروف المتجددة بتجدد المدنية والحضارة^(٢).

(١) ارجع إلى في ظلال القرآن ، لسيد قطب ج ٣ / ٢٧٢ ط دار الشروق .

(٢) ارجع إلى « المدخل إلى علم النفس » النعلاوي وعرفوسي ج ٢ ص ٢٣ .

ويمكن ، للتيسير ، عرض أنواع التعديل للمواقف كالآتي^(١) :

١- تعديل من الناحية الإدراكية، فيعد أن كانت المواقف الغريزية نستار بمثيرات طبيعية يمكن استثعارها بمثيرات غير طبيعية.. أو أن يفقد المثير الطبيعي كالتظلمة مثلاً قدرته على إثارة الخوف ويحل محله مثير آخر غير قطري هو الخوف من العار مثلاً ، لإدراك الإنسان أنه ليس في الظلمة ما يخاف منه. وكذلك الخوف من الأصوات العالية فإن إدراك الإنسان لعدم ضرر الأصوات العالية في المناجم والمعامل الصناعية يجعله لا يخاف هذه الأصوات.

٢- تعديل من الناحية النزوعية.. وهذا النوع من التعديل واضح في حياة الإنسان، الذي ينزع بفطرته إلى نوع من السلوك لتحقيق دافع ما، لكن هذا السلوك لا يبقى ثابتاً عنده، فبدلاً من أن يروي الإنسان غضبه بالمقاتلة أصبح يرويه بالحيلة أو الاستهزاء أو الخط من قدر عدوه، أو بالحصار الاقتصادي أو بتدبير المؤامرات.. أو بأي سلاح من أسلحة الحرب النفسية كالشائعات والدعايات وغيرهما.. ومثل هذا يقال في باقي الغرائز ..

٣- تعديل بسبب استنارة غرائز مختلفة في آن واحد، فتجد السلوك الغريزي يتعدل بسبب ما يستثار معه من دافع أو دوافع أخرى في الوقت نفسه ، فمثلاً إذا وجدت ابنتك قد أتلف شيئاً عزيزاً على نفسك، فالإنلاف يثير الغضب والمقاتلة، والابن يثير الوالديه والحنو ، فيكون السلوك في هذا الموقف سلوك عتب وتأديب لا سلوك ضرب أو توبيخ ..

(١) للإطلاع أكثر على موضوع تعديل المواقف تراجع ما يلي:

أ- علم النفس وأسسه التطبيقية والثربوية - للدكتور عبد العزيز القوصي. ص ١٢٦، ١٢٧، ٢٦٥، ١٣٨.

ب- علم النفس - للدكتور محمد خير عرقسوي وعبد الرحمن المحلاوي وعبد الكريم العثمان (ص ١٣٦، ١٣٢، ١٣٣) ١٣٩٣هـ.

ت- لمحات في مسائل التربية الإسلامية وغاياتها للدكتور محمد أمين المصري (ص ٥٨، ٥٩).

٤ - تعديل ناشيء من ينظم الاستعدادات الغريزية وانفعالها حول شيء لتكون ما يسمى بالعواطف .. فيحول الإنسان واقعه الغريزية إلى عواطف نبيلة سامية موجهة .. فالعاطفة استعداد مكتسب للانفعال تجاه موضوع معين والقيام نحوه بلوك يتطلبه الموقف لإرواء الرغبات المنشئة عن العاطفة.

وابو حامد الغزالي - رحمه الله - له نظرات عميقة في هذا المجال، فهو لا يعترف بكبت الغرائز والدوافع، وإنما يقول بإمكان تعديلها وإعلانها، وذلك لأنه يعتبر مختلف الدوافع أساسية في الإنسان، ويعترف بكل ما في المرء من دوافع وميول. وبين الغزالي أن الشهوة والغضب والحسد والطمع والشهوة وغيرها من دوافع، لا تفتح ما دام الإنسان حياً^(١).

وليس المطلوب القضاء على الغرائز وإماتها بل ضبطها وتسييرها بمسار الشرع، وإن الشهوة والغضب لم يخلقهما الله - عز وجل - كما يقول الغزالي « لتكون أسيرهما ولكن خلقهما ليكونا من أسراك فتسخرهما للسفر الذي أمامك، تجعل أحدهما مركبك والآخر سلاحك حتى تصيد سعادتك»^(٢).

واعتراف الغزالي بدوافع الإنسان يتفق مع الإسلام، الذي يأخذ بما غلبناه من أن معنى الفطرة^(٣) : هو وجود الاستعدادات المختلفة في الإنسان وذلك استناداً

(١) الإحياء ج ٣ ص ٢٩.

(٢) كيمياء السعادة للغزالي ص ٥٠٤.

(٣) إن كلمة الفطرة تأخذ عند الغزالي معاني متعددة قد تبدو متعارضة . فهو أحياناً :

(أ) قد يقصد بها التصديق بالربوبية ، بمعنى أن يولد الإنسان وهو بالفطرة مقيد بالرغبة لمعرفة الله وهو المعنى الذي يقصده الفقهاء حين يعرفون الإسلام بأنه دين الفطرة « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث» .

(ب) وقد يقصد بالفطرة قبول الخير والشر وخلق القلب عن كل نقش .

(ت) كما قد يقصد بها الاعتدال ، لأنه الغالب على أهل الزواج . ومهما يكن من أمر فإن هذه الأحوال لا تناقض القول بأن في النفس مجموعة من الميول والدوافع الفطرية المكتسبة (الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان ص ١٦٨ حاشية ٤) . والفطرة عند ابن نحية هي الإسلام، أو هي الاستعداد للإسلام، وقد استفاض في الحديث عن الفطرة في كتابه: (أمره تعارض العقل والنقل).

على أن الإنسان تألف من طبيعة أرضية وأخرى سماوية لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٥١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٥٢﴾﴾ اسم ١١٠٠

فالأصل الأرضي يتمثل بالطين، أما الأصل العلوي فإنه روح الله (١).
والدوافع التي تقوم على كل من هاتين الطبيعتين مطلوبة، لأن كيان الإنسان مجموع جسمه وعقله وروحه، إذا صح لنا أن نفصل بينها ، فهي كيان مترابط واحد يمتزج اسمه الإنسان .

والعقل يقوم بمهمته في مساعدة الإنسان من أجل حصوله على المعرفة، والوسائل الصحيحة، للإجابة على نوازع الغريزة، كما يمثل النزعة الدائمة إلى المعرفة والتي يبدو كأنها في ذاتها هدف مقصود، عن طريقها ترتقي الحياة وتتقدم . وهي تحقق أهدافها الأصلية في الوقت ذاته، وهكذا يكون الرقي باعثاً أصيلاً في الإنسان وينزع إليه نزوعاً ذاتياً (٢).

ويلج الغزالي على أن للدوافع مهما نزلت درجتها طبيعة مزدوجة ، أي أنها: إما أن تكون وسيلة لارتقاء الإنسان وإما أن تكون سبباً في ضياعه. وذلك إنها إما أن تسير متزنة يُوجِّهها هدف واحد، فتقوم بمهمتها على وجه صحيح ولا يكون هنالك ما يدعو إلى محاولة للتعديل أو للتصعيد، وإما أن يُسيطر أحدُ الدوافع على الأخرى، فيفرض سلطانه عليها، وتنعرف المبول عن الهدف الصحيح، وتكون مسوقة لعمارة الدنيا دون الآخرة (٣) ، ويصبح المرء عبداً لها مؤتمراً بأمرها (٤) ، كما يصبح العقل خادماً لها (٥).

(١) الدراسات النفسية - ١٩٦.

(٢) الإنسان بين المادة والإسلام - محمد قطب - ص ٨٤.

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٩.

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٦٤.

(٥) الإحياء ج ٣ ص ١٥.

فالميل إلى الطعام إذا انقلب إلى شهوة للطعام، فإنه يستعبد الإنسان ويسيطر على تفكيره وسلوكه ويقعد به عن الارتفاع، وكذلك الأمر بالنسبة لشهوة الجنس وغيرها.

والخطر الشديد أن هذه الدوافع إذا استحكمت يرتبط بعضها ببعض وتتآزر كلها لتحطيم الإنسان؛ إذ تُتبع شهوة الطعام « شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والتكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعمات. ثم ينبع استكثار المال واتجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسبات»^(١).

وحين تصبح الشهوات على هذا الشكل من السيطرة فإنها تصرف الإنسان عن كل خير، وليس هم الحياة في نظر الغزالي مجرد أداء المطالب الحيوية وما يتعلق بها من رغبات وشهوات، فهو لا يرضى للإنسان أن يكون كالحيوان، مقيداً بحدود غريزته التي تفرض عليه كل حركاته وسكناته، فالإنسان حر إن لم يكن بالدوافع الغريزية المفروضة عليه، فبالطريقة التي يستجيب بها لتلك الدوافع والمدى الذي يذهب إليه حين يستجيب لها^(٢).

وهكذا فالإسلام ينكر خروج الدوافع عن طريقها الذي رسمه الله لها؛ طريق حفظ الإنسان وحفظ الحياة، ودفع كل أسباب الهلاك والوصول إلى الله تعالى.

وقد ذم رسول الله ﷺ عبودية الغرائز للإنسان ومنها عبودية المال والشهوة وحب المظاهر الفارغة، وحض على الجهاد في سبيل الله. عن ابن هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «تيسر عبد الدنيا، وعبد الترهيم، وعبد الحميمة، إن

(١) الأحياء ج ٣ ص ٧٧.

(٢) الدراسات النفسية ص ١٩٩ عبد الكريم العثمان.

أعطني زحني وإن لم يعط سخط، نعبس والتكس، وإذا شبك فلا انتفش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله: أشعث وأمنه مغبرة فدعاه...»^(١)

ثم إن الإسلام يقيم توازناً دقيقاً بين مختلف الدوافع. ويكره التطرف فلا هو يكتسبها ويقضي عليها، ولا هو يرضى باستعبادها للإنسان.

فالقرآن الكريم يوصي الإنسان بحالة الوسط بين الإفراط والتفريط قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٣١٣﴾ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ﴿٣١٤﴾

وكذلك يبين القرآن الكريم، أن الدوافع فطرية ومغروزة في الإنسان منذ أن خلق. قال تعالى: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ﴿١٠٠﴾ وقال تعالى: ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ ﴿١٠١﴾ وقال تعالى: ﴿ وإنه لحنب الخمر لشويذ ﴾ ﴿١٠٢﴾

إلا أن الله - عز وجل - بالإضافة إلى تقرير هذا، يوجه الإنسان إلى الملا الأعلى حتى لا يسرف فيما فطر عليه، وإن الآخرة هي الحياة الحقة. قال الله تعالى:

﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿ بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ﴿١٠٦﴾

وهكذا يوجه الإنسان المؤمن غرائزه ودوافعه فيما يرضى الله تعالى: وفي الطريق العظيم الذي رسمه الله تعالى للناس أجمعين.. طريق الإسلام العظيم، وقلنا إن الإسلام يكره التطرف في كل شيء، ولو إلى أعلى، كما يظن البعض، لذلك منع الرهبانية التي تقوم على القضاء على كل نوازح الجسد. قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿١٠٧﴾

(١) رواه البخاري - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله - فتح الباري (ج ٦ ص ٨١ انسلبة).

ورد رسول الله ﷺ على نفر من الصحابة أرادوا القضاء على بعض دوافع الإنسان في الطعام والنساء، فوهمهم، مبيناً لهم طريق الإسلام الصحيح كما ورد في الحديث الشريف: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا، وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد عُفِّر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم، أما أنا فإن أصلى الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: انتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأعساكم به وأفعاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلى وأزواج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

ومما لا ريب فيه أن أفضل أسلوب تربوي لإعلاء الدوافع هو «ربط سلوك الإنسان بأهداف عليا للحياة الإنسانية، وتذكير الناس دائماً بهذه الأهداف كلما انحرفوا عنها. أو حظت بهم شهوات الجسد عن التوجه إليها.. إذ لا بد من غاية أو بتعبير الغزالي من هم يسيطر على القوى كلها، وبذلك تضطبع حياة الإنسان بهذه الأهداف وتتوجه الدوافع كلها في سبيل تحقيقها، وهذا ما يحقق رفياً وسمواً وتصبهاً دائماً»^(٢).

«من أجل هذا يربط الغزالي الإنسان بغاية أساسية وهي الوصول إلى الله - عز وجل - ويذكره بهذا الهدف الأعلى دائماً، حتى يوجه جميع إمكانياته وطاقاته ودوافعه من أجل تحقيقه»^(٣).

وهكذا يكون الغزالي بتأكيد هذا على الهدف من السلوك قد سبق الكثير من علماء النفس الذين ألقوا على وجوب دراسة السلوك من خلال الأغراض والغايات، ويتجه البحث حينئذ إلى الغاية من السلوك وليس إلى سببه.

(١) متفق عليه - واللفظ للبخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح.

(٢) الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان - ص ٢٠٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٠.

والغزالي في هذا كله يبدو بعيداً عن عملية الكبت، ويمكن أن تُسمى طريقته في معالجة الدوافع باسم عملية الضبط، وهي تختلف عن الكبت، لأن هذا الأخير عملية قمع لا شعورية، في حين أن عملية الضبط عملية إرادية، وسلوك الإنسان هنا سلوك إرادي، يتميز بالقدرة على الكف وتركيز الانتباه في اتجاه معين مرسوم، وذلك لتحقيق إعلاء الميول، وعناصر هذا الضبط حاضرة في شعورنا ولذلك لا يترتب عليه كبت ما، وهو عملية واعية لا تتعرض للشهوة في منبتها والمهمة الأساسية لها التنظيم والتصعيد^(١).

بالإضافة إلى ذلك فإن الكبت يتولد لا شعورياً من استئثار العمل الغريزي نفسه، بينما عملية الضبط في الإسلام، فإنها تُسبِّر العمل الغريزي في مسراه الصحيح، ولا تستفدرة، بل وثيب الإسلام عليه أيضاً.

قال ﷺ: « .. وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٢).

وهكذا جعل الإسلام للعبد المؤمن ثواباً على تهذيب دوافعه وإروائها بالطريقة الشرعية، وما يقال عن الغريزة الجنسية يقال عن شهوة الطعام، وشهوة المال وغيرها من الغرائز والدوافع.

فالإسلام لم يكبت الدوافع بل صعدها ووجهها، بل حرص على تحقيقها بشكل كامل غير قابل للفناء في الجنة التي وعد الله المتقين الذين يوجهون دوافعهم لإرضاء الله تعالى ويستعملونها في حدود شريعة.. قال تعالى بعد أن قرر وجود هذه

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) وهو جزء من حديث رواه مسلم بطوله في «كتاب الزكاة» باب «كل نوع من المعروف صدقة».

الشهوات في الإنسان ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالنَّيِّبِ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ [مصدر ١٠] قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوْنِيْكُمْ
بِخَيْرِ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [مصدر ١١]
على هذا الأسلوب النفسي الرائع في تجميع الدوافع الإنسانية والطاقات
البشرية وتوجيهها واستسلامها لله - جل جلاله - ترمى الجبل الأول من المسلمين
حيث أصبحوا جيلاً فرانياً فريداً ، لم ينشأ مثله في قرون القرون.

عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «إلا ادري
أذكر بعد قرنه قرين أو لثلاً - ثم إن بعدكم فوما يشهدون ولا ينشهدون، يخونون ولا
يؤتمنون، ويتفدون ولا يقون، ويظفر لهم السمن»^(١).

والصور الواقعية التي تشهد بذلك كثيرة جداً، لمن يقلب صفحات التاريخ
وتاريخ الصحابة بشكل خاص.. باعتبارهم - رضي الله عنهم - هم النقلة الأولى.
والصورة الثانية للإنسان الجاهلي بعد أن آمن وأسلم لله.

أما ما نشاهده اليوم من استيقاظ الشهوات، واستعبادها للإنسان بحيث أصبحت
وثناً يعبد من دون الله، فهو بسبب بُعْدنا عن مبادئ الإسلام العظيم، وعن المحجة
البيضاء التي تركنا رسول الله ﷺ عليها.. كتاب الله وسنة نبيه ... فكان هلاكنا...
وذلك الذي نعيش في ظلاله.

(١) رواه البخاري - فتح الباري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - ج ٧ ص ٣ رقم ٣٦٥٠ (ط
السلفية).

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في السلوك:

عرفنا آنفاً أن السلوك حركة أو عمل يتكون في البيئة الاجتماعية.. وفي هذه البيئة مؤثرات كثيرة تؤثر فيه. وتدفعه إلى تحقيق هدفه. وقد يستجيب الفرد لهذه المؤثرات أو لا يستجيب، تبعاً لقوة المؤثر، وكذلك تبعاً لوعي الفرد، وتوضجه. ومن هذه العوامل المؤثرة في سلوك الفرد، على سبيل المثال لا الحصر، التربية التي يُنشأ عليها الفرد، ثم العقيدة والثقافة، ثم الرأي العام وأخيراً الإعلام وأشكاله المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون)، وكتاب، وصحافة.. إلخ وسترى أن هذه العوامل مجتمعة تستعملها الحرب النفسية الحديثة لتحقيق مآربها في تغيير سلوك من توجه لهم.

١- التربية: في المعجم الفلسفي .. تعرف التربية بما يلي: « التربية هي تليغ الشيء إلى كماله. أو هي كما يقول المحدثون: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً.

نقول: ربيتُ الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة.

ونقول: تربي الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن ننمى شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة، ويمارز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها»^(١).

(١) المعجم الفلسفي - جميل صليبا - (١/٢٦٦) وقد أقر هذا التعريف مجمع اللغة العربية بدمشق. ولزيادة الإطلاع على معاني التربية أرجح إلى مدخل إلى التربية في ضوء الإسلامية للاستاذ عبد الرحمن اليانبي (ص ١٥) نشر المكتب الإسلامي.

والمجتمع هو الذي يقوم بمهمة التربية، ويُعدُّ الفرد سلوكياً وفكرياً للحياة، وأصغر خلية اجتماعية الأسرة، لذا كان للأبوين الدور الكبير في هذه المهمة الخطيرة.

يقول الإمام الغزالي: «الصبيُّ أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهرُ جوهرةٌ نفسيةٌ ساذجةٌ خالصةٌ من كلِّ نقشٍ وصورةٍ، وهو قابلٌ لكلِّ نقشٍ، ومائلٌ إلى كلِّ ما يُمال به إليه، فإن عُوِدَ الخَيْرُ وعُلِّمَ نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكلُّ معلم له ومؤدب، وإن عُوِدَ الشرُّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله - عز وجل - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأً أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾»^(١).

ويقول ابن قيم الجوزية: «ومما يحتاج إليه العفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلفه فإنه ينشأ على ما عوِّده المربي في صغره، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة اخلائهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها»^(٢).

والتربية لا بد لها من أساس فكري يقررها، وعقيدة توجهها وباختلاف المجتمعات البشرية تختلف عمليات التربية، وهذا مشاهد في سائر العصور ولدى الشعوب والأمم كافة.

والمعقائد تتفاوت في صحتها، فالعقيدة السليمة أساس للتربية الصحيحة، ومن هنا صح أن نقول إن للتربية أساساً دينياً، وحديث رسول الله ﷺ يفودنا إلى هذه الحقيقة العلمية التربوية، وذلك حيث يقول: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة،

(١) إحياء علوم الدين (٣/٦٩) ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص ٢٤١-٢٤٤ تحقيق الشيخ عبد القادر الأناروط - مكتبة دار

البيان بدمشق ١٣٩١/١٩٧٦ دار الفكر ط ٢ - ١٣٩٢ هـ.

فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»^(١).

« فالملود يولد على الفطرة السليمة وهي الاستعداد للإسلام، ولكن أبوية، إذا كانا مجوسيين - بعيدان البقرة أو النار - ما يزالان يأخذانه بتربية ثمجسسه، وبتعبير آخر إن فكرتهما المجوسية توجه تربيتهما لطفلهما، وكذلك إذا كانا يهوديين فإنهما ينحرفان به بتوجه آخر من التربية إلى اليهودية، وهكذا الأبوان المنصرانيان... وهكذا كل أسرة، تُشئ أولادها على عقيدتها ودينها»^(٢).

ولأهمية دور التربية في التأثير على سلوك الأفراد والمجتمعات، لجأ الغرب الصليبي في أوائل هذا القرن إلى التربية لتغيير سلوك الفرد في المجتمعات الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن دينهم ليسهل السيطرة عليهم بعد ذلك. وما مهمة المدارس والجامعات التبشيرية في البلاد الإسلامية إلا هذه المهمة.

يقول « محمد أسد »^(٣) في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق » : « إن النشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينتظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلوا الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام»^(٤).

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة - ومعنى تنتج (بفتح التاء الثانية) تولد.

وأنظر مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - عبد الرحمن الباتي - ص ٣٦ - المكتب الإسلامي - ط ١٤٠٠ هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد أسد - مهندي مسلم، تساوي الأصول، كان يدعى ليوبولد فايس، ومن مؤلفاته أيضاً الطريق إلى مكة (وفي طبيعته الحديثة: الطريق إلى الإسلام) نشر دار العلم للملايين - بيروت.

(٤) ص ٦٧ - ترجمة عمر غروبخ - دار العلم للملايين ١٩٧٧ م.

ويقول أيضاً: « إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يفود إلى جعل الإسلام غربياً في عيون الناشئة المسلمة. ومثل هذا - ولكن إلى حد أبعد - يصدق على التعليل الأوروبي للتاريخ العام، إذ لا يزال الموقف القديم فيه « رومانيون وبرابرة» يظهر بجملة ثم إن مثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً، ذلك أن يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيها أرقى من كل شيء، جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، وهكذا يمكن خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوروبيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية»^(١).

وليس هدفنا هنا تبيان الغزو الفكري الغربي للمجتمعات الإسلامية ومراميه البعيدة لأن هناك كتباً توسعت في هذا الأمر، ولكننا نريد أن نوضح الأهمية الكبيرة التي أولها الغرب الصليبي للتربية والتعليم في البلاد الإسلامية، والتأثير على الأفراد والمجتمعات فكرياً وعقيدياً.. مما لا تزال تعاني من ويلات حتى الآن.

وقد زاد أوار المعركة الفكرية بين الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من « أيلول عام ٢٠٠١ وعزو الأخيرة العراق، باسم الحرب على الإرهاب، ومحاول فرض سياستها في التغير الثقافي والتعليمي في الدول العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة.. حيث تعتمد أن الناهج الحالية هي التي ولدت الإرهاب الذي غزا أمريكا في عقر دارها.. وهي تعلم جيداً أن المملكة لا يد لها في تفجير مبنى التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن العداوة للإسلام والتربية، هو الدافع الحقيقي للحرب النفسية التي تشنها ضد العالم العربي والإسلامي.. وللمملكة خاصة بصفتها بلد الحرمين الشريفين.. ومركز وحدة العالم الإسلامي.. فهي تريد ضرب الإسلام في عقر داره، وسلب المسلمين عقيدتهم وشريعتهم، ليسهل عليها الهيمنة

(١) المصدر نفسه ص (٧٤، ٧٥).

عليهم، وسلب ثرواتهم وحقوقهم، وستورد تصريحات المسؤولين حول هذا الموضوع في المكان المناسب من هذه الدراسة^(١).

٢- العقيدة: مر معنا آنفاً حديث رسول الله ﷺ « ما من مؤرد إلا يولد على الفطرة.. الحديث».

هذا الحديث العظيم يبين لنا مقدار تأثير عقيدة الأيوين على سلوك الفرد في الحياة، وما يقال عن تأثير الجوسية واليهودية والنصرانية، يقال عن تأثير العقائد الحديثة مثل الشيوعية والمادية ومذاهب المنفعة واللذة وغيرها.. فكل عقيدة من هذه العقائد لها الأثر الكبير على سلوك الأفراد، وأخلاقهم في الحياة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن العقائد الجاهلية - غير الإسلام - نسي دائماً بوسائلها المختلفة من إعلامية وتربوية إلى تطبيع حياة أفرادها وتوجيه سلوكهم.

وسنرى، بلذن الله، وبشكل مفصل، كيف أن الشيوعية جذت كل وسائلها ومؤسساتها الواسعة الإعلامية والتربوية في توجيه سلوك الأفراد داخل البلاد الشيوعية وخارجها، وكيف أن هذا التوجيه يبدأ من رياض الأطفال، بوساطة التعليم المسيح بالعقيدة الشيوعية الملحدة، حتى يصبح الفرد عضواً في الحزب الشيوعي. وحتى إن جهاز التعليم في روسيا أطلق عليه « جهاز دعابة».

وكذلك العقائد الغربية المعاصرة: من مادية، ومنفعة وفرائعية (برجائزم) ووجودية، وغيرها.. كلها أسهمت بصياغة الفرد الغربي الحديث وطبعت سلوكه وفق أهوائها الزائفة عن الخير والحق.

وإن أهم الأحداث التاريخية والفكرية التي أثرت في الإنسان الغربي منذ مطلع هذا القرن الأخير، وأثرت في سلوكه وأخلاقه نقولها بإيجاز وهي:

(١) انظر المنظر المعنون: أمريكا تريد فرض التنوير الثقافي والتعلبي - وكالة الأنباء السعودية (واسر) في ٣١/١٠/٢٠٠٢م.

١- الصراع بين العلم والكنيسة .. وانتصار العلم على خرافات الكنيسة، وكان من نتيجة ذلك ابتعاد الفرد الغربي عن الكنيسة، ولم يبق لها مكان في قلبه عدا الآثار الشكلية غير المجدية في حياته وسلوكه.

٢- نظرية فرويد في علم النفس.. هذه النظرية الباطلة قد أثرت تأثيراً عميقاً في فكر الإنسان الغربي وروحه، وساعدت على التحلل الأخلاقي وهبوط المجتمع في حاة الفساد والإباحية.

٣- نظرية دارون في أصل الأنواع والتطور والآثار غير الأخلاقية المترتبة عليها، وخاصة ما روجه اليهود حول مذهبه، من تأويلات ما شطرت لدارون على بال « واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والقوانين والفنون، مظهريين أن كل شيء بدأ ناقصاً شأنها يشير السخرية والاحتقار ثم تطور. فلا فداسة إذا لديه ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لقدس من المقدسات»^(١).

٤- الوجودية الملحدة التي أشاعت روح الانحلال والإباحية في أوروبا وفي فرنسا بشكل خاص على يد اليهودي أو نصف اليهودي (سارتر) ورفيقة عمره (زوجته غير الشرعية) « سيمون دي بوفوار» والتي لا تزال آثارها تنخر في أخلاق الإنسان الأوروبي حتى اليوم.

٥- مذهب المنفعة والذراعية (البراجماتزم) كما نادى بها كل من وليم جيمس وجون ديوي وما ترتب على هذا المذهب من ترميح روح الأنانية الفردية، ومن تكالب على الدنيا، وابتعاد الإنسان الغربي عن معنى التعاون والإنسانية، والإخاء ... فأصبح كل إنسان لا بهمه إلا نفسه.. وتنمية أمواله ورفاهيته.

وكذلك العقيدة الإسلامية .. وتأثيرها في سلوك الإنسان الجاهلي عندما آمن بها مما لا يخفى على أي إنسان، فهي قد قلبت حياته كلها.. وأصبح إنساناً متميزاً

(١) النظر برتونكولات حكما، صهيون . ترجمة محمد خليفة التونسي - (المقدمة من ٨٢) ط ١٩٦٦م.

بسلوكه، وأخلاقه، وعاداته، وما أبلغ تلك الكلمة التي قالها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لثناشبي، يرد بها على كفار قريش الذي لحقوهم إلى الحبشة محاولين إرجاعهم إلى الكفر بعد أن آمنوا مبيناً كيف كان سلوكهم الجاهلي وكيف أصبح سلوكهم الإسلامي.

قال رضي الله عنه « أيها المنك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ونأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا تعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنعبده، وتعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلوة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً...»^(١).

كل هذه النماذج تدلل لنا على تأثير العقيدة في الفرد والجماعة..

٣- الرأي العام: قبل أن نعرف تأثير الرأي العام في السلوك لا بد من إلقاء نظرة قصيرة على مفهوم الرأي العام هنا.. وقيمته في الحياة المعاصرة، والذي أصبح موضوعاً مهماً للكثيرين من السياسيين ورجال الدولة والعسكريين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وغيرهم، وخاصة في الدول الغربية .

- تعريف الرأي العام: للرأي العام تعريفات كثيرة ومختلفة، وسأختار أهمها، متعمداً للإطالة:

- تعريف دوب: « الرأي العام ميل الناس نحو قضية ما، لو كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة»^(٢).

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٥٨) دار الفكر بيروت.

(٢) الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - عبد المقادر حاتم (ج ٢ ص ١٢٣).

- ويرى (فلويد أليورت) « إن الرأي العام تعبير جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف» .

وهذا التعريف يختلف عن رأي (دوب الذي يلتفت إلى ميول الناس بينما (اليورت) يتحدث عن التعبير العملي لميول الناس، سواء كان هذا التعبير رأياً أو سلوكاً صريحاً واضحاً»^(١).

- ويرى آخرون^(٢) إن « الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما».

وحتى تصل الجماعة إلى هذا الحكم لابد من شروط أهمها:

أ- أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

ب- أن تكون القضية مثارة بكل حقائقها عن طريق القادة أو أجهزة الإعلام والدعاية أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

ج- أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقة تماماً مع المعتقدات العامة للناس^(٣).

ويتكون الرأي العام نتيجة لعناصر كثيرة هي في الأصل مقومات تكون الرأي الفردي، والإنسان الفرد يتكون رأيه بعد انصهار العناصر التي تصنع أفكاره وعواطفه، وقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأي يتكون خاضعاً للعوامل الآتية:

١- نتيجة النشأة والبيئة.

٢- أهمية تأثير الدين.

(١) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٢) محمد عبد القادر حاتم - وزير الإعلام بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢ م.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٣.

٣- نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.

٤- نوعية الثقافة.

٥- تأثير وسائل الاتصال.

٦- أهمية المدرسة والبيت.

٧- أهمية التجارب الإنسانية الماضية.

٨- الظروف التي يعيش ويفكر فيها للمستقبل^(١).

وهذه العوامل المكونة للرأي العام يمكن اختصارها إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

١- العقيدة وهي التي ترسم المضوابط والحدود والسلوكيات للأمة.

٢- البيئة - وتضم البيت والمدرسة والمجتمع بشكل عام، ومدى تأثيرها على الفرد.

٣- وسائل الاتصال ومدى قابلية الفرد للتأثر بها..

والذي يهمنا هنا أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة.. في المجتمعات المدولية بشكل عام ومن ثم أثره في المجتمع الإسلامي بشكل خاص.

أما ما يتعلق بالستقطعة الأولى، فإن أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة يتضح بما يلي:

١- يحدد الرأي العام نشاط الفرد والجماعة وسلوكهما في المجتمع، ويوحد بين الأفراد في السلوك الاجتماعي، نظراً لأنه ينبع عن عقيدة واحدة. وهذا الأثر يتضح أيضاً في المجتمع الإسلامي.. الذي يسير وفق العقيدة الصافية.

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.

- ٢- يتأثر سلوك القادة في المجتمعات الغربية باتجاه الرأي العام (إرادة الشعب).
- ٣- يحدد الرأي العام حدود التحريم والتنجريم ويحدد المسؤولية الفردية والجماعية ويستلهم المشرع من الرأي العام أساس القانون وقواعد تنظيم الحياة وأساؤها في الجماعة.. وهذا الأثر يُرى في المجتمعات غير الإسلامية.. بينما في المجتمعات الإسلامية يعد القرآن والسنة هي أساس التحريم والتنجريم والقانون وغير ذلك..
- ٥- يؤثر الرأي العام في تدعيم السلوك الجماعي السوي ومقاومة السلوك الجماعي المنحرف.
- ٦- يؤدي الرأي العام دوراً مهماً في عملية التغيير الاجتماعي.
- ٧- يحافظ الرأي العام على الروح المعنوية للجماعة ويرفعها، إذا كان قريباً متماسكاً يبعد عن الانشقاق الجماعي والوحدة العقيدية داخل الجماعة أو يشطبها إذا كان عكس ذلك^(١).
- ولكننا بهذا التصور، لأثر الرأي العام على سلوك الفرد والجماعة، تلخي الفرد واتجاهاته ودوافعه الخاصة وغطه الغريد في الخبرة والشخصية، ولو كان هذا التصور صحيحاً.. ومطلقاً لما كان هناك مصلحون يؤثرون في المجتمع ويغيرون اتجاهه الفاسد إلى الصالح، خصوصاً إذا علمنا أن الرأي العام معرض للانحراف والأهواء، لذا كان من ميزة التصور الإسلامي أن هناك ضابطاً ثابتاً يوجه الرأي العام ويخضع له الجميع.. إنه سلطان الشريعة - ومقدار ما يبعد الإنسان عن هدى الله وشريعته يخضع للأهواء والبدع الاجتماعية الصادرة عن الرأي العام الجاهلي.
- أما إذا كان الرأي العام مهتدياً بهدي الله، وسائراً في طريق شريعته فإنه يصبح قوة للمسلم، يشده إذا ضعف ويُقوّمه إذا أھوج - ويأخذ بيده إذا تاه عن الطريق.

(١) علم النفس الاجتماعي - حامد زهران ص ١٩٥ - ١٩٦.

لنا كانت قوة الفرد في المجتمع الإسلامي تعادل قوة الجميع وتعبير «البيان المرصوص» في القرآن الكريم يوحى بهذه القوة الفردية الجماعية قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (س: ١١) وكذلك قول الرسول الكريم ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضاً»^(١).

أما إذا انحرف المجتمع عن طريق الله - فعلى الفرد المسلم أن يهتدي بهدى الله في فرانه؛ وسنة نبيه محمد ﷺ، فهما الميزان الدقيق يزن به كل أمر يحتذى به في حياته الاجتماعية. قال ﷺ «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»^(٢).

والحديث الشريف الذي ينهى المسلم أن يكون إمعة يعبر عن هذه الفردية في المجتمع الضال «أو المتحرف عن هدى الله...».

قال ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسًا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسبوا وإن أسوأوا فلا تظلموا»^(٣).

وقد تكون هناك استجابة للتأثيرات الجماعية، إلا أن هذه الاستجابة ليست مطلقة، ولها حدود تقف عندها وبمقدار وعي المسلم وفهْمه لدينه، والتزامه في القول والعمل، بمقدار ما تكون استجابته ضعيفة أو معدومة لأي تأثيرات أخرى مخالفة لتصوره الإسلامي.

٤- الإعلام الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة، وموضوعات دقيقة، ووقائع محدودة، وأفكار منطقية وآراء راجحة، للجمهور مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام.

(١) رواه (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى) - ارجع إلى الجامع الصغير ج ٦/٥ الألباني

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في القدر رقم ٣/ باب النهي عن القول بالقدم بلاغاً.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه - سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٤٤ باب البر والصلة.

والإعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم السامية، ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع وينزع نزعة «ديمقراطية» وعلى هذا لا بد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية.

ويهدف الإعلام إلى النعم واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتويره وتثقيفه^(١).

وهكذا نجد أن الإعلام عملية يترتب عليها تأثير فعلي في سلوك الفرد والجماعة.

والإعلام ظاهرة اجتماعية نشأت منذ أقدم العصور وفي شتى المجتمعات القديمة والحديثة.

وتقد تطورت وسائل الإعلام وفقاً لتطور هذه المجتمعات فانتقل الإعلام من مرحلة التبليغ من شخص إلى شخص إلى مرحلة التبليغ المتبادل من جماعات منظمة، ثم لمرحلة التبليغ الجماعي عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. أي الصحافة والمطبوعات والإذاعة والراني وغيرها..

وإن عملية الإعلام تعد عملية اتصال بالجماهير، وقد حدد الدكتور «إبراهيم إمام» خمسة عناصر رئيسة لهذه العملية وهي:

١- المرسل: الذي يصوغ فكره في رموز معينة وقد تكون الفكرة واضحة أولاً تكون.

٢- التعبير الشكلي أو الصياغة. ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه.

٣- تفسير المستقبل لهذه الرسالة وفك رموزها.

٤- استجابة المستقبل للرسالة، ومدى تأثيره بها وتقبله لها.

(١) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٢٩٧.

٥- يتمثل في الردود والأصداء الراجعة من المستقبل إلى المرسل^(١).
والذي يهمنا في هذا المجال: هل للعملية الإعلامية تأثير مطلق في الفرد والجماعة، بحيث تغير سلوكهم، وأفكارهم؟ أم أن تأثيرها يتوقف على عوامل معينة؟

والواقع أن الفرد المستقبل للرسالة الإعلامية، ليس مجرد وعاء سلبي يفرغ فيه المرسل أفكاره ومعلوماته، ولكنه إنسان إيجابي يدرك ويفهم ويقرر ويقارن ويزن المعلومات التي تصله بميزان العقائد التي يؤمن بها، ومن ثم يحكم عليها، فقد يقبلها أو يهملها.

وعامل آخر مهم في تقبل الرسالة الإعلامية وهو مدى ثقة الناس في مصدر الرسالة.. هل عرف بالكذب أم بالصدق؟ هل يثق أخباراً بشكل موضوعي؟ أم عرف عنه اتجاهه المعروف، في تفسير الأنباء والظواهر بمنظار معين؟ كل هذه الأمور تؤدي دوراً مهماً في مدى تأثير الإعلام على السلوك الفردي والجماعي.
وحتى يكون للرسالة الإعلامية أثر فعلي في السلوك، لابد من صفات مهمة أو عوامل تجعل الرسالة متميزة عن غيرها في عصر انتشرت فيه وسائل الإعلام المختلفة. والتي تبث الخث والسمين، ويختلط فيها الحق مع الباطل، وندس السم في الدسم.. وهذه الصفات هي:

١- المضمون الحق والمنهج الصادق: ونقصد بالمضمون الحق، هو الذي يستند على العقائد الصحيحة والمبادئ السليمة الواضحة، وليس ضرورياً أن يكون الإعلام معبراً عن عقلية الجماهير^(٢) إذ إن هذه الجماهير قد تفصل عن الحق، إذا كانت

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام ص (٣٠، ٣٦، ٧٠).

(٢) يعرف «أوكسروت» الألماني الإعلام بقوله: «الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه» ارجع إلى «الإعلام والاتصال بالجماهير» إبراهيم إمام ص ١١ و «الإعلام له تاريخه ومذاهبه» عبد اللطيف حمزة ص ٢٣ (ط ١٩٦٥).

بعيدة عن هدى الله.. وبعيدة عن وحيه تعالى.. ولا نحتاج أن نُدلل على هذه النقطة
ويكفيها نظرة على المجتمعات الغربية وما آلت إليه من الفساد والانحلال الخلفي .
والتمكك الأسري حتى نستطيع الحكم على ما فعله الإنسان في نفسه.. وفي مجتمعه.
وإن النضمون الحق للإعلام لا يتمثل واقعاً إلا في الإعلام الإسلامي الذي
أسس على العقيدة الإلهية الحقة^(١)، قال تعالى: ﴿وَبِأَخْبَىٰ أُنزَلْنَاهُ وَأَبْخَىٰ تَرَىٰ﴾ ﴿١٠٠٠٠﴾
وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِأَخْبَىٰ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٠٠٠٠﴾ .
فالإعلام الإسلامي ينطق بالحق.. ويسعى من وراء ذلك إلى الخير للفرد
وللمجتمع ومنهجه الصدق والعدل، فهو لا يلجأ إلى الكذب والبهتان لتأييد وجهة
نظره، حتى لو كان موجهاً إلى الأعداء.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿١٠٠٠٠٠٠﴾
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ
اَقْرَبُ لِلْقِسْطِ وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ ﴿١٠٠٠٠٠٠٠﴾
وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوْا قَوْلًا سَدِيْدًا﴾ ﴿١٠٠٠٠٠٠٠٠﴾
وقال ﷺ: «رأيت رجلين أتاني قال: الذي رأيتهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَابٌ يَكْذِبُ
بِالْكُتْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْاَفَاقَ فَيَصْنَعُ بِهِ اِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ويلحق بهذه النقطة القاعدة الإعلامية الإسلامية العظيمة: هو التثبت من
الأنباء وعدم إذاعة الخبر أو تقبله إلا بعد تبيان حقيقته.

(١) «الإعلام الإسلامي والملازمات الإنسانية»، مجموعة محاضرات . في أسبوع نظمت الندوة العالمية

للشباب الإسلامي بالرياض - محاضرة الأستاذ زيد العابدين الركابي . ط ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

(٢) رواه البخاري من (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين» وما ينهى عن الكذب (ج ١٠ ص ٥٠٧ رقم ٦٠٩٦) (فتح الباري) وهو جزء من

حديث طويل رواه البخاري في كتاب الجنائز.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِيقٌ يَنْبِئُ فَتَّبِعُونَهَا أَلَمْ تَقُولُوا أَن نُّصِيبُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَتَضَيُّعُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١٠١﴾﴾ ﴿سورة الحديد (١٠١)﴾.

٢- الوسيلة الناجعة: وهي من عوامل نجاح الرسالة الإعلامية، والإعلام المعاصر أصبح مجموعة أجهزة ووسائل اختصرت مساحات المكان ومسافات الزمان، وخطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن.. ومن هذه الأجهزة، المذياع والرائي (التلفزيون) والصحافة، والكتاب، والبريد، وغيرها ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليماً إلا بشرطين^(١):

(أ) الكفاءة التقنيّة.

(ب) القضية المختارة بعناية.

في الكفاءة لابد من التخصص الفني بمعناه العلمي والجمالي، واختيار القضية يجب أن يتلاءم مع المجتمع ومستواه الثقافي، والفكري، وكذلك عدم نسيان القضايا التي تهتم الناس في الحياة المعاصرة.

بالإضافة إلى النواحي الجمالية في عرض المضمون الإعلامي، وجذب انتباه الجمهور وإثارتها، وتحريك الإحساس الجمالي، الذي هو فطرة في الإنسان للدخول إلى نفوس الناس وعقولهم وأفكارهم.

٣- ربط الرسالة الإعلامية بالحياة حاضراً ومستقبلاً.. وتشمل هذه النقطة ما يلي:

(أ) بحث مشكلات الإنسان الواقعية، ومحاولة إيجاد حلول لها.

(١) أرجع إلى الظلال ج ٢٦ ص ١٣٢ تفسير سورة الحجرات (ط دار الشروق).

(٢) زمن العابدين الركابي - «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» مجموعة محاضرات اسرع

نظمتها «التنوير العالمية للشباب الإسلامي» ط/ ١٣٩٩ - ١٩٧٩ / ص ٣١٢.

ب) الاستفادة من الدراسات المستقبلية في مجال الاقتصاد والتعليم والسكان والصحة، وإقامة الصلة بين حاضر الناس ومستقبلهم لفتح آفاق جديدة أمام عقل الإنسان ونفسه وطموحه.

ج) استعمال الرموز المفهومة من قبل الجمهور، وعدم الغموض، وقد قال علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ »^(١).

وقال ابن مسعود: « ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة »^(٢).

د) مراعاة الحفاة النفسية للمستقبل، ومراعاة الدقة في اختيار الوقت المناسب والمكان الملائم والوسيلة المجدبة حسب نوع وقدرة المستقبل^(٣).

هـ) مخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، ذلك أن التنيس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية، والطرق المسدودة اتجاهات لا يفرها الإعلام الإسلامي، لأنها تحجّر ما وصعه الله، وتحبس الناس في سجن الواقع، وتحجب آماهم^(٤).

و) إشباع الحاجات النفسية للناس وتلبية رغباتهم في حدود العقيدة والشريعة وهذه تحقق فائدة ملموسة في حياتهم اليومية ومن أهم هذه الحاجات التي يجب أن يشبعها الإعلام ما يأتي:

(١) رواه البخاري في باب «من خصص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، رقم ٤٩ حديث رقم ١٢٧ فتح الباري.

(٢) قول ابن مسعود رواه مسلم ج ١ ص ٧٦ (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

(٣) إبراهيم إمام (الإعلام والاتصال بالجمهير) ص (٢٢٥).

(٤) زين العابدين بن الركابي «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» ص / ٣٢٥.

- الحاجة إلى المعلومات والتلية والترفيه.
 - الحاجة إلى الأخبار حول مشكلات الساعة.
 - الحاجة إلى رفع مستوى المعارف والثقافة العامة.
 - الحاجة إلى دعم الاتجاهات النفسية وتعزيز المعايير والقيم والمعتقدات^(١).
- ويلخص إبراهيم إمام بعض الملاحظات على المضمون الإعلامي وأثره في الجماهير مسترشداً بالبحوث التي أجريت حول مضمون الرسالة الإعلامية ومحتوى الاتصال ويمكن إجمال نتائج هذه البحوث فيما يلي:
- (أ) في حالة عرض قضية ما على جمهور مثقف ثقافة عالية، يجب تقديم وجهتي النظر المختلفتين، أما في حالة الجمهور الأمي أو قليل الحظ من الثقافة والذي يميل إلى القضية أصلاً فيكفي عرض وجهة النظر المستهدفة فقط.
- (ب) يجب أن يلتزم الإعلامي بالموضوعية، وأن يتعد عن الحياد الظاهري والانحياز المسنن لوجهة نظر واحدة، لأن الحياد الظاهري والانحياز المسنن يؤديان إلى خداع الجمهور وانصرافه عن الرسالة الإعلامية وشكها في مضمونها.
- (ج) يعتبر عرض وجهتي النظر معاً (أي وجهة النظر المعضدة، ووجهة النظر المعارضة) بمثابة «تحصين» للجمهور ضد التحول إلى وجهة النظر الأخرى حين تعرض عليه. أما إذا التزم الجمهور علناً بوجهة نظر تم الاقتناع بها في إطار من الحرية فإن تعريض الجمهور لوجهة نظر واحدة يصبح كافياً.
- (د) تزداد قوة تأثير المضمون الإعلامي في تحول الرأي عند الشرح والتصريح بالاستنتاجات أكثر منها عند العرض والتلميح فقط.
- (هـ) وكلما كان طريق تحقيق الأهداف واضحاً محدداً أمام الجمهور كان تحول الرأي إلى سلوك أسهل وأيسر.

(١) حامد زهران (علم النفس الاجتماعي) ص ٣٠٣.

(و) وكلما زاد استخدام التهديد والتخويف كأداة للتأثير في الرأي ونحوه أحدث أثراً قليلاً، وكلما قل استخدامه فإن ذلك يحدث أثراً أكبر. لذلك وجد أن التهديد الشديد يعوق عملية التعلم ويقلل الأثر بالمعلومات نظراً للاستغراق في عناصر التهديد الشديد.

(ز) يؤثر التكرار تأثيراً قوياً في إقناع الجماهير بالرسالة الإعلامية بشرط أن يكون متغيراً متنوعاً والا يصل إلى حد الإلحاح والمضايقة والمطاردة حتى لا يحدث أثراً عكسياً.

(ح) يؤدي الإعلان عن الاستجابات الناجحة للرسالة الإعلامية إلى مزيد من الاستجابات الناجحة الجديدة.

(ط) الاستناد إلى الحاجات النفسية وإشباعها، والدوافع النفسية للسلوك البشري ومقابلتها يسهل العملية الإعلامية، أما خلق حاجات نفسية جديدة والحث على اكتسابها وتعلمها فإنه يكون أصعب بكثير.

(ي) استغلال الاتجاهات النفسية السائدة وأنماط السلوك الخالبة يساعد في التحول إلى أهداف جديدة^(١).

وبهذه الفقرة .. نكتفي من العوامل المؤثرة في السلوك، وهناك عوامل أخرى كثيرة، مثل الإدراك، والتعليم وغير ذلك من العوامل، والتي منها ما كان في أبواب هذا البحث مثل الدعاية، والشائعة، وغسيل الدماغ (أي أسلحة الحرب النفسية الشهيرة) وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر، لأن كل فقرة من هذه العوامل تحتاج إلى بحث بمفرده.. وأرجو أن أكون قد أعطيت تصوراً واضحاً لهذه النقطة.

(١) علم النفس الاجتماعي د. زهران ص ٣٠٦ - ٣٠٢ (نقلاً بالإصطلاح والانصال بالجوامع

د. إبراهيم إمام).

المبحث الثالث

علم النفس العسكري والحرب النفسية

أولاً: علم النفس العسكري:

علم النفس العسكري أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، ولايد من إلقاء نظرة عليه لأهميته البالغة في دراسة أسس السلوك والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والوحدات العسكرية في وقت السلم ووقت الحرب، وفي عملية التعليم وفي تصميم المواقف التدريبية، وفي العلاج النفسي للمحالات المرضية التي يمكن أن تصيب رجال القوات المسلحة أثناء المواقف التدريبية أو في المعارك الحربية^(١).

وبإلقاء نظرة على اهتمامات علم النفس العسكري الآتفة نستطيع التوصل إلى المدلول الحقيقي له، وإن كان لنا بعض الملاحظات على هذه الاهتمامات وتعميقها فتكون بإذن الله من خلال دراستها بإيجاز. والدخول بعد ذلك في موضوعنا « الحرب النفسية » بعد أن نكون قد حددنا القاعدة النظرية لهذه الحرب.

فعلم النفس العسكري يهتم بـ:

أ) دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد في الجماعة الصغيرة والوحدة الكبيرة، ومن ثم إكساب الفرد الأساليب السلوكية الجديدة التي عليه أن يلتزم بها في الحياة العسكرية التي تختلف عن أساليب السلوك في الحياة المدنية. وإن كان لنا نقد للسلوك العسكري في بعض الأنظمة العربية، والمأخوذة ابتداء من الأنظمة الغربية، « الانكليزية والفرنسية بشكل خاص»، هذا السلوك الذي ظاهره النظام والطاعة للقائد، وباطنه التحلل من كل قيم الأخلاق والدين.. إذ إن مبدأ الطاعة العمياء للقائد، أو للأمر العسكري لا محل له في التصور الإسلامي. إذ « لا طاعة لمخلوق

(١) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٢٨.

في معصية الخالق»، والجانب الإيجابي في الطاعة هو الطاعة في الخير، وهو أمر إلهي: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

أما النظام والتدريب، والجنديّة الدائمة في السلم والحرب، فيعطيهما الإسلام الأهمية الكبيرة لبقاء شعلة الجهاد في المسلم مسنمة.

ب) دراسة الجماعة العسكرية، وأهمية هذه الجماعة في القتال، إذ تعطى الفرد قوة كبيرة.. وهو لا يتحمل ضغط المعركة بمفرده، لذا حض الإسلام على القتال في الجماعة المترابطة، وشبّهها بالبنيان المرصوص الذي لا خلل فيه ولا فجوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [سورة النساء: ١٠١]. وتقوم الجماعة بتزكية الفرد إن زلّ عن الطريق، وتأخذ بيده وتعينه على مواجهة قبح الحياة.

ج) دراسة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة والقيادة وبين الجماعة والجماعات الأخرى، كيف تكون علاقة الأفراد بالقيادة؟ هل هناك معايير سلوكية محددة منضبطة أم أن العلاقات تختلف حسب الأفكار والعقائد المختلفة...؟

وإن علماء النفس العسكري يقولون إن دراسة التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعة لا بد أن تقوم على أساس علمي وليس على أساس الارتمجال، فنحن نحتاج إلى معرفة النظريات العلمية التي تعدل وتهذب وتوجه تفاعلنا مع الآخرين سواء كانوا قادة أو رفاق جهاد. إن مثل هذه المعرفة تفيد في فهم السلوك الحاضر والتنبؤ بالسلوك في المستقبل. (إن الفرد في تفاعله مع الجماعة يجد نفسه أمام مسائل عديدة منها علاقاته مع الأفراد الآخرين في الجماعة سواء كان جندياً أو ضابطاً أو قائداً، وعليه أن يشترك مع الجماعة في كثير من أوجه السلوك في التدريب وفي الميدان وفي الحياة اليومية وحتى في الترفيه^(١)).

د) دراسة نفسية « سيكولوجية » القيادة: فيجب على الضابط باعتباره قائداً دراسة نظريات القيادة ومبادئها بأنواعها، وعليه أن يعرف دوره في الجماعة ووظائفه القيادية، وإعداد وتدريب القادة. ويجب أن يعمل القائد جهد طاقته حتى تصبح الحياة العسكرية حياة محبة إلى نفوس الأفراد^(١) إن القيادة الحقيقية هي الإحساس بمشاعر الأفراد ومطالبهم والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع القوى وراء الجهود المحققة لها. لذلك فلا بد للقيادات أن تعي دورها الاجتماعي، في التوجيه والتدريب، وحنن القدوة، ولعل في تاريخنا الإسلامي العظيم أمثلة حية لهذه القيادة الغاضلة.

هـ) دراسة الروح المعنوية للفرد المقاتل ودورها في النصر والهزيمة ، ويقصد بالروح المعنوية المقدرة على البقاء والاستمرار، والجهد الطويل عن تصميم ورغبة .. وإن علماء النفس العسكري فطنوا إلى أهمية الروح المعنوية بعد تجارب أظهرت لهم أن الجنود ذوي الروح المعنوية المنخفضة، يحاربون بضعف ويهزمون بسرعة ويتكبدون نسبياً إصابات أكثر من الجنود ذوي الروح العالية.. إلا أن الصخرة القاسية التي وقعت في طريق علماء النفس العسكري والقادة العسكريين هي كيفية تنمية الروح المعنوية لدى المقاتل؟ وكيف نجعله ذا روح قتالية مستمرة، وصلبة؟ وإن ما توصلوا إليه يبدو جزئياً في هذا المجال، وصدوا إلى أمور سطحية ومادية، لا تسمن ولا تغني من جوع.. اللهم إلا في مواجهة قوات من صنف القوات المقاتلة لها من حيث الفراغ الروحي والاعتماد على القوة المادية فقط.

يرى بعض الباحثين أن « تنمية الروح المعنوية وتطويرها من أهم المشكلات التي تواجه القيادات العسكرية وأصعبها، فهي تعتمد على عدد كبير من العوامل بعضها خفي ولا يمكن قياسه بدقة. ولكن يبدو أن تقوية الروح المعنوية عمل يعتمد

أساساً على عوامل حيوية لدى الجنود وعلى الدافعية والثقة بالنفس وقوة الإرادة»^(١).

وتساءل نحن: ما هي هذه العوامل الحبوية والدافعية، ومن أين تتولد؟ هل من القوة الجسمية أم من مصادر أخرى كالعقيدة والمبادئ الفكرية؟ ولو رجع هذا الباحث إلى التاريخ الإسلامي .. ودرس قوة أرواح المعنوية عند جند الله في فتوحاتهم. وغزواتهم.. وما يتمتعون به من الثبات والصبر وقوة البأس، على قلة عددهم وعُددهم، في مواجهة قوى كبيرة وكبيرة جداً كقوى الفرس والروم.. ومع ذلك انتصروا .. لعرف أن الإيمان هو سبب ذلك كله، الإيمان الصادق بالله.. والجهاد في سبيله، والاندفاع لتحقيق النصر أو الشهادة.. ولا أريد أن أسترسل في هذا المجال لأن تاريخ الإسلام يفيض بهذه البطولات.

والذي لا ريب فيه، أن الخوف هو العدو الأول للروح المعنوية العالية، وأنه لا تنمية للروح المعنوية ولا تقوية لها إلا بنزع الخوف من القلوب، والرعب من النفوس، وقد حقق الله - عز وجل - ذلك للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لُؤْمَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أُولَئِكَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ مَصْدَرُ الْخَوْفِ: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٥]

والحرب النفسية من غاياتها الكبرى فيل المعركة زرع الخوف في قلوب الأعداء قال تعالى: ﴿ وَتَخَوَّفُوا نَفْسَكُمْ بِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِكُمْ ﴾ [الأنعام: ١١٦] ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [الأنعام: ١١٧] وقال تعالى في إعداد القوة لزرع الخوف في قلوب الكفار: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِعَدْوِ اللَّهِ وَعَدْوِكُمْ ﴾ [الأنعام: ١١٧]

(١) الحرب النفسية - مقال في مجلة العربي، العدد / ١١٧ /، د. عبد الله ناصر - (عدد جماد الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٧م).

فالمؤمن الصادق المجاهد عندما يعتقد يقيناً أن الله معه، وهو ناصره على أعدائه، وإن استشهد فهو حي في الجنة، فكيف له بعد ذلك أن يخاف ويهرب الأعداء، ويهرب من المعركة. كيف لا تكون روحه المعنوية عالية.

أما التوصيات العديدة التي ينصح بها الفادة لرفع الروح المعنوية لجنودهم ما هي إلا أمور ثانوية، لا بأس بها من حيث حسن سلوك القائد مع جنوده؛ كالأغراء المادي، والثناء الشخصي، وعدم احتقاره وإهانته، والتدريب المستمر، والعمل مع الجماعة، كل هذه الأمور حسنة، ولكن ليست هي الأساس في رفع الروح المعنوية كما ذكرنا آنفاً..

هذه هي الاهتمامات الرئيسة لعلم النفس العسكري، وقد قام علماء النفس بأبحاث عديدة أثناء الحرب العالمية الثانية لاكتشاف اتجاهات الجنود وميولهم، واستخدموا مقاييس عديدة تستخدم في انتقاء أفراد القوات المسلحة من جنود وطلاب وضباط وتدريبهم وتوزيعهم على الوحدات والأسلحة المختلفة، ومن أمثلة الدراسات في هذا الصدد ما قام به «فرنون وباري» عام (١٩٤٩) في القوات المسلحة البريطانية^(١).

ولقد أخذت الدول بأحدث الأساليب في انتقاء وتوزيع وتدريب الأفراد في القوات المسلحة فأنشأت معمل علم النفس العسكري لتحقيق مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، على أساس الاختبارات النفسية المتقنة، ليعمل كل فرد في القوات المسلحة العمل الذي يتلاءم مع استعداده النفسي، وقدراته العقلية والجسمية^(٢).

وهكذا نجد أن علم النفس العسكري لم يهتم، إلا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية وتستفيد منه الدول المتحاربة في الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس، وسنرى هذا أثناء كلامنا عن تاريخ الحرب النفسية بإذن الله.

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

لأنها: الحرب النفسية:

بعد أن ألقينا نظرة على علم النفس الاجتماعي، وعرفنا اهتمامه بالسلوك الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي، وتفسير السلوك بالدوافع، والقدرة على تعديل الدوافع وتوجيهها، وانحرافها إن فتحت لها سبيل الانحراف، ورأينا العوامل المؤثرة على هذا السلوك، وعرفنا علم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع الدخول في صميم الموضوع، موضوع الحرب النفسية، علماً بأنه ليس إلا موضوعاً مهماً من موضوعات كل من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العسكري، وعندما نعرف أن الحرب النفسية هي حرب غايتها تغيير السلوك وميدانها هو الشخصية، يظهر جلياً أهمية دراستنا للسلوك والدوافع قبل ذلك.

ولكي نتوصل إلى المدلول الواضح للحرب النفسية، لابد من دراسة تطورها من قبل الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، أي منذ وجود الحرب النفسية كفن وتطبيق واصطلاح .. أما عن وجودها الفعلي فهي موجودة منذ فجر التاريخ وبصور مختلفة، ومنسبب بحثها في الفصل الثاني من هذه الدراسة بإذن الله .

وقبل بدء البحث يجب أن نعرف أن الحروب نوعان:

- حروب تقليدية تستخدم السلاح .

- وحروب لا تستخدم السلاح مثل: الحروب السياسية والاقتصادية والنفسية.

ولقد قال ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم»^(١).

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب، فهي حرب تغيير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، ولهذا فإن هذه الحرب تستخدم علم النفس بصفة

(١) حديث صحيح (مسند أحمد، أبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم) عن أنس رضي الله عنه (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير ج (٣، ٤) للآلبي).

عامة، وعلى النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر. وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح نستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفاعل في قتل إرادة الخصم وتحطيم معنوياته والحصول على استسلامه^(١) .. ومعرفتنا للحرب النفسية ومدلولها تعطينا درساً في الحرب النفسية الدفاعية لئلا يكون سلاح العدو مؤثراً فينا.

ولكن تعريفات الحرب النفسية اختلفت، وذلك حسب الغاية التي تسعى إليها، بالإضافة إلى تطور مدلولها على مر السنين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وقد وردت عبارة « الحرب النفسية » لأول مرة في مؤلف لكاتب ألماني وهو (الكولونيل بلاو) وكان رئيساً للمعمل النفسي بوزارة الدفاع وقد أصدره عام ١٩٣٥م بعنوان «Propaganda ale wathe» وقد وضعت فيه أسس الحرب النفسية^(٢).

ثم شاعت عبارة « الحرب النفسية » خلال الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء ودول المحور على السواء، وكانت تعبر عن الدعاية المبنية على الاستفادة من دروس علم النفس، وفي أمريكا أول من استخدم هذه التسمية بصفة رسمية عنوان الكتابة هو (بول لا يتارجر) ثم (دانييل يدنر) في كتابه « الحرب النفسية ألمانيا » في عام ١٩٥٤م^(٣).

ومن بين أول التعريفات للحرب النفسية في الجيش الأمريكي: « هي استخدام أي وسيلة يقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين »^(٤) ، ثم عرفت في معجم المصطلحات الحربية للجيش نفسه: « الحرب النفسية: هي استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في

(١) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) مجلة السياسة الدولية - ٦ أكتوبر ١٩٦٦ - القاهرة - مقال بعنوان « الرأي العام الدولي والسلوك السياسي » د. حامد ربيع ، أستاذ العلوم السياسية المساعد في جامعة القاهرة.

(٣) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص ٩٠ - دار القاهرة ط ١/١٩٦٧ م.

(٤) المصدر السابق ص ٩٢.

وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها»^(١).

وقد عدل هذا التعريف في طبعة المعجم اللاحقة بحذف كلمتي «في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ» لأن مجال الحرب النفسية لا يقتصر على هذه الأوقات^(٢).

وهناك نسخة خطية لبحرية الأمريكية أعدت عام ١٩٤٦م وأعيدت كتابتها عام ١٩٥٠ جاء فيها «إن المهمة الأساسية للحرب النفسية هي فرض إرادتنا على إرادة العدو بفرض التحكم في أعماله بطرق غير الطرق العسكرية، ووسائل غير الوسائل الاقتصادية.

وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى وأنواع نشاطها القصير المدى يشمل :

(أ) الدعاية الإستراتيجية.

(ب) دعاية القتال.

(ج) نشر الأخبار .

(د) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة.

(هـ) دعاية سرية. وتتضمن الحرب النفسية البعيدة المدى: «نشر الأنباء بطريقة مستمرة وبوسائل شتى بفرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها والحصول على العطف والتأييد»^(٣).

وعندما نجمع بين التعريفين السابقين مع التعديل الذي طرأ على التعريف الأول يتضح أمامنا:

(١) نفس المصدر ص ٩٢.

(٢) نفس المصدر ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ٩٤.

(أ) أن من بين عناصر الحرب النفسية خداع العدو بطريقة منظمة ومحكمة، في الحرب والسلام على السواء.. وقد يكون الخداع سائغاً في الحرب، أما في السلم فلا تجيزه شريعة من الشرائع، ولا أمة عندها أخلاق إلا إذا كانت هذه الأمة تتبع سبيل: «الغاية تبرر الوسيلة» على مذهب مكيافيلي^(١).

(ب) أن الحرب النفسية كانت مرتبطة بالقتال المسلح، ثم أصبحت إحدى خصائص العالم المعاصر بعد عام ١٩٤٨م بالرغم من عدم وجود قتال مسلح، وأخذت أسماء متعددة: مثل الحرب الباردة أو الحرب السياسية أو حرب الدعاية.

(ج) أن الحرب النفسية تقوم على الدعاية، ولذا كان تعريف الدعاية في تصور هؤلاء يماثل تعريف الحرب النفسية، ولهذا كانت الدعاية إحدى أسلحة الحرب النفسية.. كما سترى مستقبلاً بإذن الله، لأن مضمون الدعاية هو مضمون الحرب النفسية من حيث اعتماده على الخداع والتمويه؛ فالدعاية تقوم على أساس فكرة «الاستخدام المنظم لوسائل الاتصال لتوجيه شخص أو أكثر وتغيير رأيه أو التعديل فيه استناداً إلى حجج أو أساليب تتضمن نوعاً من التمويه والتضليل في الحقيقة المجردة»^(٢).

(د) أن الدعاية قد تسعى للإقناع ولو بأساليب غير نظيفة، إلا أن الحرب النفسية تعد من أسوأ الصور للدعاية السياسية.. فهي:

١- لا تسعى للإقناع ولكن غايتها الوحيدة تحطيم القوة المعنوية للخصم موضع الهجوم.

٢- أنها لا تتوجه إلا إلى خصم، سواء كان الخصم محلياً أو أجنبياً، على أن الصورة العادية للحرب النفسي هي الخصم الأجنبي^(٣).

(١) مكيافيلي صاحب كتاب «الأمير» المشهور.

(٢) الرأي العام والسلوك السياسي «مقال حامد ربيع في مجلة: السياسة الدولية» ص ٩٤.

(٣) المصدر السابق ص ٩٥.

بالإضافة إلى ما تقدم في تعريفات الحرب النفسية، نجد أنها تتخذ صوراً كثيرة في الحياة المعاصرة، وخاصة بعد الصراع العقائدي بين الشرق والغرب، وهذا ما يجعل تعريفاتها تتسع وتضيق حسب الغاية المرجوة منها، وحسب المواقف والعلاقات الدولية.

ومن الأسماء المتعددة للحرب النفسية، الحرب العقائدية، حرب الأعصاب، الحرب السياسية، الحرب الباردة، حرب الأفكار، الحصول على عقول الرجال وإرادتهم، التسميم السياسي.. الخ .

واسم الحرب السياسية بالذات تسمية بريطانية للحرب النفسية: فتعريف الحرب السياسية في الصحيفة الرسمية التي تصدرها الحكومة البريطانية « بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب منه أن يفرض إرادته على خصمه بطريق غير طريفة القوات المسلحة، ومن الناحية العملية يمكن أن نقول: إن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية»^(١). وكتب جون سكوت وهو مؤلف أمريكي كتاباً أسماه « الحرب السياسية دليل للتعايش التنافسي» يعرف الحرب السياسية فيه: « إنها تتضمن الأنشطة التي يطلق عليها الجيش حرباً غير تقليدية» ويبين هدف الحرب السياسية والذي لا يخرج في كثير ولا قليل عن هدف الحرب النفسية يقول: « إن الهدف الأساسي للحرب السياسية المدمرة هو إضعاف العدو وإذا أمكن تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي والمعلومات الصحبحة والمضلة والإثارة والتخريف والتخريب والإرهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيديه»^(٢).

ويقول في هذا الكتاب: « ومن الوسائل الكبرى التي تستخدم عند شن حرب سياسية نقل الأفكار»^(٣) ويوضح لنا هذا التعريف الهدف من الحرب السياسية أو

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ أيضاً.

النفسية وأساليبها، دور التخويف والإرهاب والكذب، والتضليل في هذه الحرب، بالإضافة إلى دور الغزو الفكري في تمهيد الطريق لهذه الحرب، ولعل المسلمين الذين عانوا من الغزو الفكري أكثر مما تعانيه شعوب الأرض على الإطلاق، أكثر وعياً لهذه الحرب التي تشن عليهم بشكل دائم من الشرق والغرب على السواء.

أما مصطلح « الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال » الذي هو اسم آخر للحرب النفسية فلا يتم هذا إلا بتغيير سلوك الإنسان الذي هو هدف الحرب أما كيف يتم هذا التغيير، فقد رأى البعض أنه لا يتم إلا بعملية « غسل المخ » أو عمليات تغيير الشخصية بوسائل « فسيولوجية » أو غيرها من الوسائل المباشرة أو غير المباشرة أو إعادة البناء الذهني أو « التكتيك السيكولوجي » .. وفكرة غسل المخ سنبحثها بإذن الله كسلاح من أسلحة الحرب النفسية مفصلاً.

أهداف الحرب النفسية: يتضح مفهوم الحرب النفسية أكثر، من خلال تبيان غايات الحرب النفسية وأهدافها في الحياة المعاصرة.. وهذه الأهداف لا يمكن أن تتعدى واحداً من أربع وهي^(١):

١- تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية.

٢- تحطيم الوحدة النفسية للخصم العقائدي.

٣- استغلال بعض الانتصارات التي توصل إليها الطرف المهاجم، واتخاذ هذا النجاح الذي لم يستطع الخصم الوصول إليه وسيلة لإضعاف الثقة في عقيدة هذا الأخير التي لم تسمح له بمثل هذا النجاح.

٤- رفض دعاية أو حملة مخالفة^(٢).

ولتحقيق هذه الأهداف يلجأ الخصم إلى وسائل مختلفة، وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في ذلك.. ومن هذه الوسائل الدعاية والشائعة.. وليس ضرورياً

(١) مقال: الرأي العام الدولي والسلوك السياسي د. حامد ربيع ص ٩٥ مجلة السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٦٦ القاهرة.

نجاح الخصم في أهدافه، بل قد تؤدي الدعاية إلى عكس ما يراد لها كما سنرى في بحثنا للدعاية. وخاصة إذا كان الخصم أمة داعية مؤمنة بمبادئها، محصنة ضد الحرب النفسية الموجهة من عدوها، روحها المعنوية عالية بإيمانها وثباتها على الحق.

الفصل الثاني نظرة تاريخية

المبحث الأول - ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام
وفي العهد النبوي .

أولاً - ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام.

ثانياً - الرسول ﷺ والحرب النفسية.

المبحث الثاني - صور من الحرب النفسية:

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ.

ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما
بينهما .

ثالثاً: الحرب النفسية المعاصرة.

المبحث الأول

ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي

أولاً- ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام : إن ظاهرة الحرب النفسية ليست جديدة، إن قلنا إنها ليست إلا الجانب المعنوي من القتال بين الشعوب، فمنذ أقدم العصور عرف قواد المعارك أهمية إطلاق الشائعات لإضعاف الروح المعنوية أو على الأقل لخلق صورة من الارتباك التي كثيراً ما توجد عدم الثقة بالنفس والإيحاء مقدماً بالهزيمة، ومن ثم يكون نصف المعركة قد تم دون إراقة أي نقطة من الدماء^(١).

وكذلك استخدام القادة الخداع والحيل المختلفة لإثارة انفتن، وتفريق المجتمعات بعضها عن بعض، والظهور بمظهر القوة لإرهاب الآخرين.

وهذا الأسلوب في الحرب النفسية في صورته القديمة ما زال حتى الآن هو أسلوب الحرب النفسية في الوقت الحاضر، إلا أن الوسائل ترقى وتعددت بوجود وسائل الإعلام المتعددة المسموعة والمرئية والمكتوبة.

وإن أهم هدف تسعى إليه الحرب النفسية قديماً وحديثاً هو زرع الخوف في نفوس من توجه إليهم، لأن انفعال الخوف نفسياً متعلق بغريزة حب الحياة وكرهية الموت.... ويتربس على الخوف الحرب في المعارك، وفي غيرها عدم الشعور بالأمن والاستقرار والحياة بقلق دائم..

لذلك كان من نعم الله عز وجل على قريش - وحتى في حالة إشراكهم بالله -
نعمة الأمن من الخوف، لأنهم أهل الحرم ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا آلَيْتِ ﴾ الَّذِي

(١) ارجع إلى مقال الراي امام الدولي والسلوك السياسي - د. حامد ربيع، مجلة السياسة الدولية

أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿١٠٢﴾ هـ ١٠٢ استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام عقب بناء البيت وتطهيره ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾ هـ ١٠٣ ومن نعم الله عز وجل التي أنعمها على المؤمنين نعمة الأمن بعد الخوف: قال تعالى: ﴿ وَلَيَسِّرْ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ هـ ١٠٤ وأن أولياء الله لا خوف عليهم مادام الله معهم: ﴿ الْآبَاءُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ هـ ١٠٥ .

وبالتقابل أذاق الله عز وجل الكافرين والظالمين أنفسهم لباس الجوع والخوف: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ هـ ١٠٦ . وفي قصص الأمم السابقة صور لاستخدام الحرب النفسية في هزيمة الأعداء، وهي كثيرة ولا ندرى مدى صحتها وقد تناولها بعض الكتاب بشكل مفصل ومطول^(١) دون أن يرجعنا إلى سند تاريخي، وبعضها يرجعها إلى التوراة، والتوراة بصورتها الحالية لا تعد سندا تاريخياً موثقاً لما أصابها من التحريف على يد أحبار اليهود.

وإن القرآن الكريم هو أصح مرجع صحيح يمكننا الاعتماد عليه، حيث إنه لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظه الله عز وجل على مر القرون من التبديل والتحريف.

ومن القصص القرآني التي تدل دلالة واضحة على تأثير الخوف في النفوس التي لم يكتمل إيمانها ، ومن ثم ترند على أذيابها خاسرة، من هؤلاء قوم موسى عليه السلام في فترة من فتراتهم، وذلك عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة، فامتنعوا من دخولها خوفاً من سكانها الجبارين ذوي القوة الجسمية الكبيرة، .. قال تعالى يصف هذه الحادثة : ﴿ يَنْقُورِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ هـ ١٠٧ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ إِنَّ

(١) ارجع إلى الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٥٥ .

فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نُدْخِلَهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا
 دَخَلُوتَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا آدَخَلُوا عَلَيْهِمْ
 الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾
 قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نُدْخِلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنتَ وَزَلْزَلْنَا فَفَتِيلًا إِنَّا
 هَهُنَا فَنَعْدُوكَ ﴿١٠٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴿سورة القصص: ١٠٠-١٠٤﴾

وإن القصة التي يوردها ابن كثير لتوضيح سبب خوف بني إسرائيل من القوم
 الجبارين، وإن كانت القصة رواية إسرائيلية « في سندها نظر » على حد تعبير ابن
 كثير - رحمه الله - إلا أنها تبين تأثير الرمز في النفس الإنسانية، والرمز يُعني عن
 الكلمات الكثيرة في مجال الحرب النفسية.

«أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين فسار موسى بمن معه حتى نزل قريباً من
 المدينة وهي أريحاء بحيث إليهم اثني عشر عيناً من كل سبط منهم عين ليأثوه بخبر
 انقوم فدخلوا المدينة فرأوا أمراً عظيماً من هيبتهم وجسمهم وعظمتهم، فدخلوا
 حائطاً لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليحتسب الثمار من حائطه فجعل يحتسب الثمار
 وينظر إلى آثارهم فتبعهم فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كفه مع
 الفاكهة حتى التقط الاثني عشر كلهم فجعلهم في كفه مع الفاكهة وذهب بهم إلى
 ملكهم فشرهم بين يديه، فقال لهم الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فأخبروا
 أصحابكم، فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم». وفي رواية أخرى
 «فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا
 لهم: هذا قدر فاكهتهم « وطبعاً ، فإن كبير حجم الفاكهة رمز يدل على قوتهم
 وعظمتهم.. « فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام
 بالدخول عليهم وقتلهم، قالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون^(١) وقولهم هذا كان نتيجة الخوف الذي زرعه العميون الذين أرسلوا وكانوا ومائل لدعاية العدو. وهكذا نجد أنه عندما يضعف الإيمان يضعف الإنسان تجاه أعدائه، ويتحكم به الخوف، فيجبن ويولي مديراً، مؤثراً السلامة المؤقتة على السعادة الأبدية والأمان الزائف على النصر والعزة.

وفي مقابل هذه القصة، نجد أن الحرب النفسية تصبح كلمات جوفاء بوجود الإيمان الصادق والعزيمة الثابتة في قصة أصحاب الرسول ﷺ قبل وقعة بدر الكبرى. « قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش أنكم إذا خرجتم لتمنوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجها الله فأرجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بئراً (وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوق كل عام) فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزراً، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، ونسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعينا، فلا يزالون يهابونا أبدأ بعد ما مضوا»^(٢). ولم يرهب صحابة رسول الله ﷺ من قوله هذا.. وهذا يظهر واضحاً من قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، والرسول يستشير أصحابه وقد علم بخروج قريش والجمع الذي جمعوه..

« يا رسول الله إمض لما أراك الله فتمحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سوت بنا إلى برّك الغماد^(٣) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له»^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨ تفسير سورة المائدة .

(٢) سيرة ابن هشام ص ٢٥٨ ج ٢ - دار الفكر.

(٣) برك الغماد: موضع في اليمن .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٣ وكذلك البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٦٢ .

وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نتلمس أيضاً بعض أسلحة الحرب النفسية مثل الدعاية الكاذبة والمكر والسحر، وإن كانت الوسائل بدائية تختلف عن الوسائل الإعلامية الحديثة، إلا أنها كانت تؤدي الغرض المرسوم لها، فرُدُّ مكرهم وسحرهم وبالأعلى عليهم ونهاية فرعون تعبر عن نهاية الطغاة على مر العصور.

هذه الأسلحة التي أشرنا إليها نستطيع إيجازها بما يلي:

١- الدعاية والإدعاء الكاذبان: فرعون مصر على ظلمه وجبروته واستعباده لعباد الله يرى أنه على الحق، وأنه يهدي قومه سبيل الرشاد، والخير والصلاح. ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ﴿١٠٠﴾

وهل طغاة اليوم البعيدون عن شريعة الله وهداه، إلا صورة مكررة من فرعون موسى عليه السلام، الذين يظنون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل.. وأنهم هم المصلحون وغيرهم المفسدون.

٢- مقابلة الحق والهدى بالضلال والخذاع والسحر: وفرعون يقابل الحقائق الإضية التي أتى بها موسى عليه السلام ومعجزاته بسحر خادع للعبون، وهم تخليقي لاسرهاب الآخرين، وصرفهم عن الحق، وما أكثر ما استعملت أشكال الحرب النفسية لإرهاب الآخرين، وتخويفهم بأساليب هي أعتى من السحر، وخذاع الرأي العام بالشعارات البراقة التي لا مضمون لها لصرف الناس عن الحق. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَاتَّبَعَ أَصْحَابَهُ لِيُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِهِمْ يَمْشُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ ﴿١٠٢﴾

٣- التخويف والإرهاب: إدخال الخوف والرعب في نفوس الآخرين من أهم غايات الحرب النفسية قديماً وحديثاً، وهو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان، لأن الظالم لا يجب من يعترض عليه في ظلمه، ولا من ينطق بكلمة الحق، فهنا فرعون

مصر يهدد ويتوعد السحرة الذين آمنوا بموسى بعدما انكشف لهم الحق. ﴿ قَالَ ءَاٰمَنْتُمْ لِيْهِ قَبْلَ اَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ اِنَّهُ لَكَبِيْرُكُمْ الَّذِيْ عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا قُوَّةَ لَكُمْ اَيْدِيْكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفِهِ وَاَصْلَابِكُمْ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ اِيْنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَاَنْفٰى ﴿٣٧﴾ ﴾ بد ٣٠ فكان ردّ المؤمنين، والذين لا يخيفهم من أحد إلا الله، مهما كانت قوة الطاغية وقسوة تعذيبه. ﴿ قَالُوْا لَنْ نُؤْيِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْاٰيٰتِيْ وَالَّذِيْ قَطَرْنَا فَاَقْضِ مَا اَنْتَ قَاضٍ اِنَّمَا نَقْضِيْ هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴾ بد ٣١ ولعل في هذه القصة درساً بليغاً لأجيال المؤمنين.. فالإيمان هو أقوى من كل حرب نفسية أو مادية، وأن الإيمان هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجه الطغاة.

ولي قصة يوسف عليه السلام ملامح من الحرب النفسية أيضاً وأساليبها وبعض أشكالاتها نستطيع إيجازها فيما يلي:

١- المكر والخديعة، وإظهار النصح والمحبة، مع أن القلوب ملئت حقداً وغيظاً وذلك بفعل إخوة يوسف عليه السلام الذين بيتوا ليوسف وأرادوا إبعاده عن أبيه، والتقرب إلى أبيهم وأن يحملوا محله: ﴿ قَالُوْا يَا اَبَانَا مَا لَكَ لَآ تَاخُذُ عَلٰى يُوْسُفَ وَاِنَّا لَهُ لَنَنصِبُوْنَ ﴿٣٨﴾ اَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَاِنَّا لَهُ لَحٰفِيظُوْنَ ﴾ بد ٣١

٢- الظهور بظهر البرئ من الذنب لإبعاد التهمة: ﴿ وَجَاءُوْا اٰبَاهُمْ عِشْيَا يَتَكُوْمِيْنَ ﴿٣٩﴾ قَالُوْا يَا اَبَانَا اِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاْكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا اَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صٰدِقِيْنَ ﴿٤٠﴾ ﴾ بد ٣١

٣- إلصاق التهم الباطلة بالآخرين، وسر الحيانة بستر من الدعاية الكاذبة المباشرة (الدعاية السوداء كما يطلق عليها حديثاً) - وهو ما كان من امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام عندما حاولت إغواءه قاهياً: ﴿ وَاَسْتَبَيَّهَا اَلْيَابَ وَقَدَّتْ قَمِيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَاَلْفَيْنَا سَيْدَهَا لَدَا اَلْيَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوْءًا اِلَّا اَنْ يُسَجَّنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ بد ٣١

٤- الشائعة وسرعة انتشارها في المجتمع، وهي من أخطر أسلحة الحرب النفسية وموضوع الشائعة هنا « امرأة العزيز تراود فثاها عن نفسه » وأنها نخب فثاها... ﴿ وَقَالَ رَسُولٌ فِي الْمَدِينَةِ آمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ بدت ٣٠ وما دام الأمر يتعلق بامرأة العزيز والحديث علاقة حب وغير ذلك كان انتشار الشائعة بين النساء أكثر من الرجال.

٥- التهديد والإرهاب للضغط على الآخرين، وهنا امرأة العزيز على الرضخ من انتشار خبرها في المدينة، وعلى الرضخ من انكشاف أمرها، فإنها لا تزال مصرة على موقفها حتى تحقق رغبتها.. وما هي مخاطب النسوة اللواتي شاعت بينهم فضيحتها تقول لهم بدون حياء مهددة متوعدة: ﴿ قَالَتْ قَدْ لَبِئْتُ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجُنَ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ بدت ٣١

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام أمثلة حية وبينة لأشكال مختلفة من هذه الحرب النفسية، بين الأنبياء وأقوامهم، كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة وتهديدهم بالقتل والسجن..

وإن كلمة « الملائكة » التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل الرأي، ولكنها تعبر عن الرأي العام من الملائكة - أو من يمثل الرأي العام الكافر في عهد الأنبياء عليهم السلام.. الذي وقف في صراع مع أنبياء الله، ومع المؤمنين الذين هداهم الله. هذا الملائكة هو الذي شنَّ الحرب النفسية على الأنبياء الذين ما أرسلوا إلا لهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وإلى صراطه الحميد. وهي صورة واحدة تكرر مع جميع أنبياء الله عليهم السلام - .

الملائكة مع نوح عليه السلام - بهمهم بالضلال وهو الرسول من رب العالمين: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِي سُلَيْمَانَ وَيُخَالِفُ مَا يُرْسِلُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ آلِي سُلَيْمَانَ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا حَتَّىٰ يَخُوتُوا مِنَّا مُحْسِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ بدت ٥١-٥٢

- وبصمهم بالكذب .. حاشاه: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْتَلُونَ
إِلَّا بَشْرًا مِثْلْنَا وَمَا تَرْتَلُونَ إِلَّا نَسْفَكًا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْوَى الرَّأْيِ وَمَا
تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾ ﴿ (١٠١)

- والسحرة منه للإقلال من شأنه ونزع هيئته من الناس: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ
وَكَأَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴿ (١٠٢)﴾ ﴿ (١٠٢)

- ومع صالح عليه السلام، يظهر الملا بصورة التكبرين على المؤمنين الضعفاء،
ويجَاهرون بكفرهم « لصالح » وهم الأقوياء المتكبرين: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْفُلَمُونَ أَلِ
صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴿ قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِمْ كَاْفِرُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴿ (الاحزاب: ١٠٣-١٠٤)

- ومع شعب عليه السلام، الملا من قومه يهددونه بالنفي من المدينة إن لم يرجع
عن دينه الذي يدعو له وكذلك كل من يؤمن به: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنَ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
بِلَدِنَا ؕ قَالُوا أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴿ (الاحزاب: ١٠٥)

وتهديد كل من يتبع شعباً عليه السلام بالهلاك والخسران: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِذًا لَخُسْرَونَ ﴿١٠٦﴾ ﴿ (الاحزاب: ١٠٦)

- وقد تقدم موقف فرعون من موسى عليه السلام، وهنا يتكرر الموقف مع
الملا من قومه؛ الافتراء، والكذب والمؤامرة والهَمْ بالقتل، والامتنكار في الأرض
والفساد، لذا فهم شركاء فرعون في الكفر، ورفاقه في النار ومن أجل هذا جعلهم
الله عز وجل سواء في المسؤولية: ﴿ إِنِ فِرْعَوْنُ وَهَيْمَنُ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا
خٰطِبِيْنَ ﴿ (١٠٧)﴾ ﴿ (هود: ١٠٧)

هؤلاء الملائكة يهتمون موسى عليه السلام بالسحر: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ الامت ١٠١ -

وكذلك فإن هؤلاء الملائكة يدفعون فرعون للتخلص من موسى عليه السلام بحجة
الإفساد في الأرض وهم المفسدون ولكن لا يشعرون: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
أُتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَدَّرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتُعْقِلُ
أَيْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي - نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ﴿ الامت ١٠٢ -

والملائكة ياتمون بموسى عليه السلام لبقولهم: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
يَسْتَعِي قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنْ
النَّصِيبِينَ ﴾ ﴿ هود ١٠٠ -

وفي نهاية المطاف، فرعون الذي استخف قومه فاطاعوه، يستخف بهذا الملائكة
ويستخف بعقولهم، ويستخدم الميزان المادي ، ليعرف دعوة موسى عليه السلام
أصادقة هي أم كاذبة .. فيصلفونه وقد عميت ابصارهم عن الحقيقة: ﴿ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ بِأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَمُنْ عَلَى
الْعَلِيِّنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿ هود ١٢٠ هذه صورة من صور الرأي العام الكافر وموقفهم من
الأنبياء واتباعهم من المؤمنين.

وصورة أخرى من صور الحرب النفسية « حرب العقيدة »: ومن التاريخ
القديم ومن قصص الحق قصة «الراهب والغلام» التي قصها رسول الله ﷺ على
الصحابية الكرام ليظهر لهم مقدار صبر المؤمنين في سبيل الله، ومقدار ما تعرضوا له
من تخويف وتهديد وتقتيل، وما رذمهم هذا من دينهم الحق.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له
ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أحلمه السحر فبعث

إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك سنبتلي فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمة^(١) والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك قال: ربي. قال: ولك رب غيري. قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني: قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقبل له: ارجع عن دينك - فأبى، فدعا بالمشار^(٢) فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شفاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى، فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فأصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به

(١) الأكمة: الذي خنق أعين.

(٢) المشار: رواية الأكرمين ويجوز تخفيف الهمزة بفتحها ياء وروى بالمشار بالنون وهما لغتان

صحیحتان (ارجع إلى شرح التووي).

الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء بمشي إلى الملك، فقال له الملك ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله - فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور^(١) فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فافذقوه، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بم شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء بمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كيد القوس، ثم قل باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كيد السيف، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس: أما برب الغلام! أما برب الغلام! أما برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرايت ما كنت تحذر قد وافقه نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أقواه السكك، فخذت وأضرم النار... وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتناحست أن تضع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق^(٢).

وقصة «الراهب والغلام» تعبر عن روح الطواغيت في كل زمان ومكان، هذه الروح التي لا تطيق رؤية من يخالفها في عقائدها وإن كانت باطلة، ولا ترغب بالتخلي عن استعبادها لعباد الله، وما تلجأ إليه من أساليب متنوعة في معاملة من يخرج عن خطها الفاسد الكافر من تخويف وإرهاب وتهديد، حتى لا تكون هناك عقيدة إلا عقيدتها، ولا نظام إلا نظامها.

(١) قرقور: يضم الهمزة المفتوحة (الرجع إلى شرح النووي).

(٢) رواه مسلم: ارجع إلى «صحيح مسلم بشرح النووي» ج ١٨ ص ١٣٠ باب «قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام».

وفي القصة نجد الملك الجائر يهدد الغلام بإلقائه من فوق الجبل فيصوت، أو إلقائه في البحر فيغرق، ويهدد المؤمنين بالإحراق بالنار إن لم يرجعوا عن دينهم.. وهي صورة متكررة لظنونة وحربهم للمؤمنين والدعاة الصالحين في السجون المملوءة بأدوات التعذيب المختلفة الأشكال.

وإن استشهاد الغلام في نهاية القصة، وبالأسلوب الذي اختاره هو إذ قال للملك « إنك نست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به . قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصليني على جذع، ثم خذ سهماً من كتاتي ثم ضح السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني».

هذا التعبير من قبل الغلام، كان أسلوباً إعلامياً ودعائياً عظيماً، كان من أهم آثاره إيمان الناس الذي جُمعوا لمشاهدة مصرع الغلام، وكان بمثابة برهان ساطع على صدق دعوته.. إذ إن الناس كانوا في حيرة من أمره، أيبصدقونه وقد ظهرت على يديه الآيات، أم يكذبونه ويكونون مع الراي العام الكافر ومع الملك.. وكانت الساعة الحاسمة في حياتهم أن رأوا الحقيقة في إبانها.. لم يستطع الملك قتل الغلام إلا عندما نطق: « باسم الله رب الغلام» فما كان منهم إلا أن قالوا جميعاً وبصوت واحد: « آمنا برب الغلام» .

وكان موت الغلام حياة للناس أجمعين.. وكان انتصاره على الخوف والإرهاب والتهديد بإيمانه وصدقته. واتنا لا تزال نكرر أن الإيمان الصادق وحده، هو الصخرة الصماء التي تتكسر عليها الحرب النفسية الموجهة من أعداء الله والإنسان.

ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية:

إن ما تعرض له رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والكفار واليهود؛ ليعبد من أشد ما تعرض له صاحب دعوة.. وأشكال محاربته ﷺ تعددت من حرب مادية إلى حرب نفسية، وبهمتنا في هذا المجال ما تعرض له ﷺ وصحابته من حرب

نفسية بأسلحتها المختلفة من دعاية وشائعة وتكليب وهُزء ، ومحاولات عديدة لإيقاف دعوته، بالإغراء بالمال والجاه والملك ثم بالتحويق والإرهاب. ونرى أن نقسم بحثنا إلى مرحلتين: المرحلة المكية ، والمرحلة المدنية.

المرحلة المكية:

نتطوع أن نوجز أسلحة الحرب النفسية التي استعملت من قبل المشركين بما يلي:

١- الدعاية الكاذبة والتكليب: بدأت حرب قريش الدعائية بعد أن أمر الله عز وجل رسوله الكريم محمداً ﷺ بالجهر بالدعوة وإظهار الدين ﴿ قَاصِدَعٌ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ المد ١١ .

فأظهر المسلمون صلاتهم بعد أن كانوا يستخفون فيها، فأخذ المشركين يعيبون على المسلمين صلاتهم وينكرونها عليهم^(١) وأغروا برسول الله ﷺ سفاههم فكذبوه وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وصور لنا القرآن الكريم هذه الحملة الدعائية، داعياً الرسول ﷺ إلى عدم الالتفات إليها باعتبارها دعاية كاذبة، وليمضي في دعوته مادام على الحق. قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ ﴿ أم يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتَلُ بِهٖ رَبِّبَ الْعَنُونَ ﴾ ﴿ المد ١٠-١١ ﴾ ﴿ بَلْ قَالُوا أَضَلَّعْتُمْ أَحْلَامَ بَلِّ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِبَآئِنَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ ﴿ المد ١٠ ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَعَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ ﴿ المد ١١ .

والرد على الدعاية الكاذبة لا يكون إلا بالإعلام الصادق، من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل يُبرئ رسوله الكريم من هذه التهم الباطلة فيقول: ﴿ إِنَّمَا نَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٧٥. دار الفكر.

شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدْعُرُونَ ﴿٣٤﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٣-٣٥﴾

ويقول الله تعالى مسلماً نبيه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنْ أَطَّعِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَخَفُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ أي لا يتهموك بالكذب في الأمر نفسه ، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدودهم^(١). ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَتَيْنَهُم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٣-٣٥﴾ .

وهذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ أي أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك ليس هو بأول ما صنعه الكفار مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل والمرسلين من قبلك فاقند بهم، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به، وأوفوا حتى يأتبك نصرنا كما أتاهم فأنا لا نختلف المعاد^(٢).

وهكذا نجد أن معاندة الحق من قبل مشركي قريش، مع علمهم بصدق الرسول ﷺ، وهو الصادق الأمين كما عرفوه، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، هذه الصورة تكرر دائماً في كل زمان ومكان مع أصحاب الدعوات الحققة والمعاندين من الطغاة البعيدين عن هدى الله .

٢- السخرية والاستهزاء : ولجأت قريش إلى أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية كثيراً ما اتبع حديثاً بصور مختلفة وهو أسلوب الهزاء والسخرية من رسول الله ﷺ ومن آيات الله المنزلة عليه. ومن معجزاته ﷺ .

وأسلوب السخرية والاستهزاء يتبع لإسقاط الهبة من الخصم في نفوس الناس فضلاً عن تغليب الحقائق بخلاف من عدم الجدبة، لتمسيح هذه الحقائق وإبعاد الناس

(١) تفسير ابن كثير - تفسير الآية (٣٣) من سورة الأنعام.

(٢) فتح القدير للشوكاني - تفسير الآية (٣٤) من سورة الأنعام.

عن احترامها أو التذكير فيها، وفي كلا الحالتين ابتعاد الناس عن توجه إليهم
الحرب النفسية...

وفد اتبعت قريش^(١) هذا الأسلوب، وفص علينا القرآن في كثير من آياته حالهم
هذا: فهم يسخرون من الرسول ﷺ حين رؤيته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ
يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ إِنْ هُمْ
يَلْمِزُونَكَ بِمَا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ فَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ وَحْيٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الحجر: ٩١] وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا آخِذْ بِالَّذِي نَحْنُ بِرَبِّهِمْ وَقُلِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ
يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ إِنْ هُمْ
يَلْمِزُونَكَ بِمَا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ فَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ وَحْيٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الحجر: ٩١].

والله عز وجل لن يترك المستهزئين، ولن يقلنوا من يده، والله كاف عبده محمداً
ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٩٢].

ولن يفرح المشركون كثيراً بما عندهم من العلم، وحق بهم ما كانوا به
يستهزئون: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [سورة الحجر: ١٢٥].

وفي آية أخرى يترك مصير المستهزئين غير محدد إلا أن العذاب واقع بهم لا
محالة، نتيجة استهزائهم: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٩٤] فقد كذبوا فسبأتهم أنبؤوا ما كانوا به يستهزئون [سورة الحجر: ١٢٥]
يقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره مينا تسلسل موقف المشركين في مكة من النبي

(١) المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة هم: «الوليد بن المغيرة - والعاص بن وائل -
والأسود بن المطلب بن أسد - والأسود بن عبد يثوث - والحريث بن العلام».

انظر تفصيل ترجمتهم: البداية والنهاية لأبْنِ كَثِيرٍ ١٠٥/٣، سيرة ابن هشام ١٥/٢-١٦، فتح
القدير للشوكاني، تفسير سورة الحجر (٤٤/٣).

(٢) المرجع السابق - للإطلاع على ما أصاب المستهزئين في الدنيا كما روت كتب السيرة.

ﷺ: «... فالإعراض عن الشيء عدم الالتفات إليه، ثم انتقلوا عن هذا على ما هو أشد منه وهو التصريح بالتكذيب، ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسيأتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون) والأبناء هي ما يستحقونه من العفوية أجلاً وعاجلاً. وسميت أبناء لكونها مما أنبا عنه القرآن وقال: «ما كانوا به يستهزئون» ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكذبون، لأن الاستهزاء أشد منهما ومستلزمهما وفي هذا وعيد شديد^(١).

٣- التشهير والشتم: ولجأت فريش أيضاً إلى شتم رسول الله ﷺ. وذلك للتقليل من شأنه وإظهار ضعفه أمام الناس في مكة.

يروى ابن إسحاق، أن أم جميل^(٢) «حمالة الخطب» كانت نهجو النبي ﷺ بعد ما نزل فيها من القرآن الكريم وعرفت ما يتظرها من سوء المصير.. فقد كانت ترنحز: «مُدْمَمًا عَصِينًا، وَأَمْرُهُ أَبِينَا، وَدِينُهُ فَلِينَا».

وكانت فريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مُدْمَمًا، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجبون نسأ صرفاً الله عني أذى فريش يسبون ويهجون مُدْمَمًا وأنا محمد»^(٣).

وأن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ، هَمَزَهُ وَلَزَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً﴾ (المز: ٢٣).

وكذلك أطلقت فريش على الرسول الكريم ﷺ لقب الأبترا، وذلك لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ فخرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بُتِرَ مُحَمَّدٌ فَتَرَكْتُ الْآيَةَ:

(١) فتح القدير - ج ٤ ص ١٩٤ (تفسير سورة الشعراء).

(٢) أم جميل أُرُوي بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجها أبووب: عبد المعري ابن عبد المطلب.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام - ج ١ ص ٣٧٨ (رجل مذموم: مذموم ج ١: القاموس مادة: ذمه).

(٣) المرجع السابق: وقال ابن هشام: والهُمَزَةُ الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه، واللمزة الذي يعيب الناس سرّاً ويؤذيهم.

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾
 (عدد ٣) وقيل الغائل هو عقبه بن أبي معيط^(١).

ويروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما « قوله: إن شانك هو الأبر قال هو العاص بن وائل»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش، ليس له ولد، وسيوت وينقطع أثره فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى: «إن شانك هو الأبر» يعني شاني محمد ﷺ هو الأبر^(٣).

٤- الصمم والتشويش^(٤): حينما يشك قريش من غلبة رسول الله ﷺ بالحجة والبرهان لجأت إلى ما يسمى اليوم « بالتعتيم الإعلامي» و«التشويش الإعلامي». وهذا الأسلوب كثيراً ما تلجأ إليه الدول المتخاصمة، أو يلجأ إليه الحاكم المستبد، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين، والتشويش على الحقائق الذي يذيعها الخصم...

ومعروف لدينا أجهزة التشويش الحديثة التي تستخدمها الدول الآن - وخاصة أثناء الحروب..

وما صنعته قريش لا يخرج عن هذا الإطار ، وذلك بعد ان نجوا في كفرهم وعنادهم. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ إِنِ الْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

(١) فتح القدير للشوكاني (تفسير سورة الكوثر).

(٢) تفسير الطبري - تفسير سورة الكوثر.

(٣) أخرجه دزين - جامع الأصول ٤٣٦/٢.

(٤) جاء في مختار الصحاح « مادة : هوش » : (التشويش : التخليط ، وقد تشوش عليه الأمر).
 إلا أن صاحب القاموس يقول : « مادة شاش » : (والتشويش والتشوش والتشوش كلها لحن والصواب: التهويش والمهوش والتهوش).
 وفي مادة: هوش هوش تهويشاً: خلط... انتهى.
 وآثرنا استخدام التشويش لاشتهارها على أنها مصطلح إعلامي فضلاً عن أن لها أصل.

﴿ يست ٢٠٠ ﴾ «أي إذا ثلثي لا تستمعوا له - كما قال مجاهد - وألغوا فيه بالمكاء والصنغير والتخليط في المنطق»^(١).

وهكذا نجد أن هذه الآية تبين أسلوب الكفار في التعنيم والتشويش.. ففي قوله تعالى: « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن» التعنيم على القرآن الكريم في عدم سماعه والإنصات إليه.. حتى لا يؤثر فيهم.

وفي قوله تعالى: « وألغوا فيه » أي ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له.. وقال الضحاك، أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول»^(٢).

بالإضافة إلى قول مجاهد: ألغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا»^(٣).

وكل هذه المعاني تعبر عن مفهوم التشويش الواضح الدقيق في الوقت الحاضر...

ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغلب القرآن الكريم، لأنه يحمل سر الغلب، إنه الحق، والحق غالب مهما جهد السبطلون.

٥ - العنيس والتعصير: ولجأت قريش إلى ملاحقة خطوات الرسول ﷺ وهو يدعو إلى الله ليتنقروا الناس من حوله، وليعيدوهم ما استطاعوا عن دعوته.. لعله يفتر ويحل ويبيس، وأنى لهم هذا وهو رسول رب العالمين.. المؤيد بالآيات والذكر الحكيم..

- أخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد رضي الله عنه قال: إني لغلّام شاب مع أبي بنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول « يا بني

(١) تفسير ابن كثير (تفسير الآية ٢٠٠ من سورة فصلت).

(٢) فتح القدير - تفسير الآية..

(٣) فتح القدير - تفسير الآية ٢٠٠ من سورة فصلت.

فلان، إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتؤمنوني حتى آتيني عن الله ما بعثني به» قال: وخلفه رجل أخوّل وضيء له غدبرتان عليه حلة عذنة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان: إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أمتانكم وحلفانكم من الجن من بني مالك ابن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: يا أبت... من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب^(١).

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يخرج في المواسم فيدعو القبائل، ما أحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه فقد كان يأتي القبائل بمجينة وعكاظ ومعنى^(٢) حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة حتى أن القبائل منهم من قال: ما أن لك أن تيس؟

ويقص علينا القرآن محاولة تعجيز الرسول ﷺ من قبل الملأ من قريش وأتباعهم علقوا إيمانهم حتى يُحبيهم إلى طلبهم، وما كان هدفهم الإيمان، وإنما العناد والتعجيز، ومحاولة إثناء الرسول ﷺ عن تبليغ رسالته، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تُنْفِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ۚ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلْفَهَا تَفْجُورًا ۚ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا لِسَاءً أَوْ تَأْتِي بِنَاغٍ بِلَآئِهِ ۚ وَالْمَلْأَةُ كَذِبٌ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَكَ مِن قَبْلُ يُشْرِكُونَ ۚ أُولَٰئِكَ مُشَرَّكُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ ﴾ [سورة النور: ١٠١-١٠٤].

(١) البداية والنهاية ٢/ ١٣٨.

(٢) مجنة وعكاظ ومعنى مواضع قرب مكة المكرمة.

وقريش غفلت عن المعجزة الباقية في القرآن ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتعنتون في افتراحتهم.

« والحارقة ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه، إنما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره بمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به « فل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزبد فيما كلفه إياه»^(١).

وفي أول سورة فصلت يصور لنا الله عز وجل أسلوب التيشيس الذي اتبعته قريش مع الرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم..

قال تعالى: ﴿ حَسْرًا ﴿١﴾ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ الشَّجَرَةَ الْمَبِينَةَ ﴿٢﴾ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَغْمَلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ صدق الله .

وقول كفار قريش في الآية الأخيرة أنفأ، إمعاناً في العناد، وتبئيساً للرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم، لما كانوا يجدونه في قلوبهم من وقع كلماته، على حين يريدون عاملين ألا يكونوا مؤمنين.

قالوا: قلوبنا في اغطية فلا تصل إليها كلماتك، وفي آذاننا صمم فلا تسمع دعوتك. ومن بيننا وبينك حجاب، فلا اتصال بيننا وبينك، فدعنا واعمل لنفسك فإننا عاملون لأنفسنا، أو أنهم قالوا غير مباليين: نحن لا نبالي قولك وفعلك وإنذارك ووعيدك، فإن شئت فامض في طريقك فإننا ماضون في طريقنا، لا نسمع لك وافعل ما أنت فاعل، وهات وعيدك الذي تهددنا به فإننا غير مباليين.

(١) ارجع إلى « في غلال القرآن » ج ٤ ص ٢٢٥٠ (تفسير الآيات في سورة الإسراء).

هذا نموذج مما كان بقاءه صاحب الدعوة الأول ﷺ ثم يمضي في طريقة يدعو ويدعو لا يكف عن الدعوة، ولا يئس ولا يستعطي وعد الله له ولا وعده للمكذبين...»^(١).

٦- الضغط العالمي : وحاولت قريش الضغط على رسول الله ﷺ حتى يكف عن دعوته، وتسفيه أصنامهم، فاستعانت بعمه أبي طالب وقالوا « يا أبا طالب، إن ابن أخيك يأتينا في أفئتنا وفي نادينا فيمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه فافعل».

فقال أبو طالب للنبي ﷺ : « يا ابن أخي: والله ما علمتُ إن كنت لي مطاعاً وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديتهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم. فخلق يبصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثتُ به من أن يُشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابنُ أخي قط ارجعوا راشدين»^(٢).

وفي رواية أخرى أن أبا طالب قال له ﷺ : يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ : « يا عم لو وضعت الشمس في يميني والتمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه» ثم استعير رسول الله ﷺ فيكى...

(١) في ظلال القرآن (تفسير الآيات الأولى من سورة فصلت).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير.. وقال الهيثمي (ج ٦ ص ١٤) : رواه الطبراني وأبو يعنى

باختصار يسير من أهله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . انتهى.

وأخرجه البخاري في التاريخ بنحوه كما في البداية (ج ٣ ص ٤٣).

حين ذلك قال أبو طالب « امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً »^(١) .

وهل نظن قريش أن المسألة بخلاف شخصي يمكن أن يحل بتوسط كبير العائلة أو القبيلة.. إنها دعوة الله .. التي هي أكبر من أي عرف ومن كل ضغط، وموقفه ﷺ نموذج لمواقف الثبات على الحق والصلابة في الرأي.. والتي يجب أن يسير على متوالها الدعوة إلى الله على مر التاريخ.

٧- الإغراء بالمال والملك: واتبعت قريش مع الرسول ﷺ أسلوب الإغراء بالمال والملك لتحويل الرسول الكريم عن وجهته، بتبليغ دعونه وتسفيه أحلامهم وعقائدهم؛ وهذا الأسلوب طالما اتبع حديثاً في الحرب النفسية التي تشن على الدعاة والمخلصين، وإغرائهم بالمال والوظائف العالية، وقد يستجيب أصحاب النفوس المريضة لهم ويتخلوا عن مبادئهم..

واتبعت قريش أسلوب الإغراء هذا.. مع الرسول ﷺ ظانة أن الأمر قضية شخصية، أو دعوة لأرائه وأفكاره.. ! لتنظر إلى محاولة الإغراء عند أهل السيرة: «قال ابن إسحاق: إن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقومُ إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فتعطيه أبما شاء ويكفُ عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقاتلوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فأكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ . فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(٢) في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وصغيت به أحلامهم، وعبت

(١) رواه البيهقي - كفا في البداية (ج ٢ ص ٤٢).

(٢) السطة بكسر السين وفتح الطاء مخففة: المنزلة الرفيعة.

به آفتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آباؤهم ، فاسمع مني أعرض عليك
 أموراً ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول الله ﷺ : « قل يا
 أبا الوليد أسمع» قال: « يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا
 الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى نكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد بما جئت به
 شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك
 علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رأياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك
 الطب وبيدنا فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل
 حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه
 قال: « أقدم فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: « فاستمع مني» قال: افعل فقال:
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ كَسَبْتُ فُحُوتَ
 ءَابَائِهِمْ قُرَّةَ أُنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
 يَسْمَعُونَ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا
 وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْنُ الْعَاقِلُونَ ﴿ صدق .

ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه كلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه
 خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها
 فسجد ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: لحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
 بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال:
 ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا
 بالكهانة، يا معشر فريش أطيعوني ، واجعلوها بي، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما
 هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقولي الذي سمعت منه نبأ عظيم.

فإن نصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم^(١).

٨ - المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية: ولجأت قريش إلى سلاح المقاطعة، وذلك عندما رأت أن الإسلام ينمو بين القبائل.. ولم ينفع ملاحقة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأن حمزة أسلم وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقررت قريش مقاطعة الرسول ﷺ اقتصادياً واجتماعياً في كتاب يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم^(٢) وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.. وبقي الرسول ﷺ وصحابه ثلاث سنوات متواليات على هذه الحال لا يبيع ولا شراء ولا زواج.. ورسول الله صابر وهو يرى ما يؤلمه، زوجته خديجة الطاعنة في السن وعمه أبو طالب وبقية آلِه وأصحابه، ومع ذلك لم يتوقف يوماً عن تبليغ دعوته ليلاً ولا نهاراً... وسراً وجهاراً.

أخرج أبو نعيم عن سعد، رضي الله عنه، قال: كنا يوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرثاً عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقة شيء تحت بولي فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها ففلسنها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرتين ثم استغها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً^(٣).

وبقي بنو هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب حتى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا ورق السم^(٤)، وأطفالهم يتضاغون من الجوع حتى يُسمع بكاءهم

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٤، وايضاً البداية والنهاية ٦٣/٢.

(٢) الحلية ج ١ ص ٩٣.

(٣) السم نوع من الشجر ويسمى شجر الطلح ينبت في شعاب مكة.

من بعيد، وقريش تحوّل بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً حتى لا يشروها..

هكذا ضرب الصحابة مثلاً رائعاً في الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، والتضحية بكل غال في سبيل الله دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن عقيدتهم.. حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة في نقض الصحيفة ويكل ما فيها من الظلم^(١).

وهكذا نجد أن هذه المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لم تزد الجماعة المسلمة إلا ثباتاً على الحق.. وذلك بوجود الإيمان الصادق.. والذي تحطم على صخرته كل الحروب النفسية والمادية..

٩ - الإرهاب والتآمر: نشن الطغاة في كل زمان في أساليب الحرب النفسية الموجهة إلى خصومهم.. بل قد استعانوا بالخبراء في الإرهاب والتآمر والتعذيب وغسيل الدماغ، وغايتهم واحدة هي ارتداد هؤلاء الخصوم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها.. إلى ما يرغب الطاغية وما يريد..

هذه الصورة الحديثة من الحرب النفسية وما تتضمنه من إرهاب وتآمر وقتل وتعذيب تنطبق أيضاً من حيث المضمون على ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمون على يد مشركي قريش، فبينما النبي ﷺ ساجد - ذات يوم - في المسجد وحوله أناس من قريش، إذ جاء عقبه بن أبي معيط بسلا جزور^(٢) فخنقه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا.. ودعا عليهم النبي ﷺ^(٣).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٩٥.

(٢) سلا جزور: وهو اللقافة يكون فيها الوئد في بطن الساقه وماسر الحيوان وهي من الأدمية والمشيمة.

(٣) رواه البخاري في باب « ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة. (ج ٧ ص ١٦٤ - فتح الباري).

وفي آخر المطاف تتأمر قريش على قتل النبي ﷺ بعد أن عجزت عن إيقاف دعوته، التي أخذت تمتد إلى خارج مكة.. وذلك قبيل هجرته ﷺ إلى المدينة..

« قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدتهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، وعرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فعذبوا رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة.. يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على التوثب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تریصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والناطقة، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي^(١): لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هنا الذي أغلقتمونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يبوا عليكم فيبتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي». فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يجلب على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير

(١) الشيخ النجدي: إنيس لعنه الله في صورة شيخ اشترك مع أشراف قريش في دار الندوة للتأمر على النبي ﷺ (البداية والنهاية ٣/ ١٧٥).

بهم إليكم حتى يظاكم بهم فيأخذوا امركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أو يروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعنم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شامياً جليداً نسبياً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيضلوه فستريح منه، فإنتهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. فقال الشيخ النجدي: القول ما قاله الرجل هذا الراي ولا رأي غيره، فنفرق القوم على ذلك وهم يجمعون له^(١).

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿٢٥﴾ وقاله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنُصُ بِؤْسٍ رَبِّبِ الْأَعْتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ﴿٢٧﴾﴾^(٢) قال ابن إسحاق: فأذن الله لنيه ﷺ بالهجرة^(٣).

١٠ - السجن والتعذيب: وكان نصيب المسلمين السجن والتعذيب بعدما بنيت فريش من رسول الله ﷺ ومن عمه أبي طالب. « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحسبونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم^(٤).

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠. وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٢. والاستيعاب ج ١ ص ٢٨٨.

وما حدث لبلال رضي الله عنه وآل ياسر رضي الله عنهم من العذاب والفتنة، ومن ثم استشهاد أم عمار في سبيل الله وهي تحت العذاب.. لبيدكرنا بالأساليب المرهبة لزبانية طغاة اليوم، واستشهاد المئات في السجون، وليس لهم من ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله. والتاريخ بعيد نفسه في حرب الإسلام والمسلمين.. وكما انتصر المسلمون بعون الله ورعايته لرسوله وللمؤمنين.. فكذلك سينتصر المسلمون الصادقون إن نصروا الله وأخلصوا له النية.. وأعدوا للصراع عدته..

﴿وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

والسجن لمدة طويلة من أساليب الحرب النفسية.. وفيه تتم عمليات غسل الدماغ^(١)، والتلقين للمبادئ التي يرغب بها الطاغية، وذلك لشعور السجن وعزله عن الدنيا والناس والأهل والأصدقاء.. بشكل يضطر فيه السجن إلى إعادة التفكير بما هو فيه وبما يؤمن به.. وما في السجن من إذلال لشخصيته، وخراب لتجارته وانقطاع لسبل معاشه.. وما ينتظر أهله وأولاده من العاقبة، والذل يساعد على الرجوع عما يؤمن به السجن إلا من عصمه الله.

وإذا رافق السجن التعذيب، الرهيب، وما يتقن به العظمة من أنواع التعذيب تصير النتيجة أدهى من ذلك..

وهذا قول أبي جهل أخزاه الله: «إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرْقاً وَمَنْعَهُ أَيْبُهُ وَخَزَاهُ، وَقَالَ تَرَكْتَ دِينَ أَبِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، لَسْفَهْرٌ حَوْلَمَكَ وَلِنَفْلِينِ رَأَيْكَ»^(٢)، ولنضعن شرقك، وإن كان تاجراً قال: والله تكسدن تجارتك، وتنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأخرى به^(٣).

(١) انظر أسلحة الحرب النفسية - البحث الأول.. فقرة غسل الدماغ في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٢) قوله لنفلين رأيك: أي لتقيمه وتخطئه كما في الغاموس.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢.

وهكذا كان المشركون يحاربون المسلمين نفسياً ومادياً.. أما الضعفاء من المسلمين، مَنْ ليس لهم قبيلة تحميهم كان العذاب والسجن مصيرهم وربما القتل في النهاية.

قال ابن إسحاق: «حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يظفون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا لضربون أحدهم ويبيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة..»^(١).

ومن المؤمنين من يصبر على الأذى الشديد ويعصمه الله من الفتنة.. يقول خباب بن الأرت: لقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجلٌ رجله على صدري، فما اتقيت الأرض أو قال برد الأرض - إلا يظهرني، ثم قال كشف عن ظهره فإذا هو قد برص^(٢).

ولعل الأبيات التي فالها عبد الله بن الحرث بن قيس بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ما يصور ما أصاب المسلمين في مكة من اضطهاد وفتنة^(٣):

يا راكبا بلغا عني مغفلة	مَنْ كان يرجو بلاغ الله والدين ^(٤)
كل امرئ من عباد الله مُضْطَهَدٌ	يبتلي مكة مقهورٌ ومفتونٌ
أنا وجدنا بلاد الله واسعة	تجبي من الذل والمخزاة والمهون

(١) المصدر السابق ص ٣٤٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج (ص ٢٥٢).

(٤) مغفلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد.

المرحلة المدنية:

واجه الرسول ﷺ الحرب النفسية التي شنت عليه من جبهتين في المدينة وهما:
 أولاً: جبهة المنافقين.
 ثانياً: جبهة اليهود.

ويمكن إيجاز النغاية من حربهما للرسول ﷺ بما يلي:

- هزيمة الرسول ﷺ وصحبه في قتالهم مع مشركي قريش.

- القضاء على الدعوة وتمكين المشركين واليهود من التسلط على المدينة.

وكان سلاح كل من المنافقين واليهود في هذه الحرب هو:

١- إثارة الشائعات المختلفة حول الرسول ﷺ وأهله لإزالة قدسية الدين ومن

ثم إظهار الرسول ﷺ بالمظهر الإنساني العادي.

٢- الدعايات الكاذبة، واستخدام الشعر في ذلك لتلشير بالرسول وصحبه ..

وسرى - بإذن الله - كيف حاول كل من المنافقين واليهود الوصول إلى غاياتهم ..

إلا أنهم ووجهوا بالإيمان الصادق، والعزيمة، والشجاعة .. والوعي العميق مما

أفضل هذه الحرب، ورد كبدهم في شحورهم .. وجاء نصر الله والفتح .. ودخل

الناس في دين الله أفواجا ..

أولاً - جبهة المنافقين: بعد أن قام المجتمع الإسلامي في المدينة، وأصبح للمسلمين

قوة ودولة، أخذت ظاهرة النفاق تبرز على السطح، لذا لم يكن في مكة نفاق^(١)

لأن الإسلام هناك كان مغلوباً على أمره ولا يملك لأحد نصراً ولا ضراً، بل إن من

(١) وهو الذي يرجعه أكثر المفسرين والمؤرخين، وجميع السور التي ذكر فيها النفاق مدنية، وقد جاء في سورة التوبة ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ذِينَ أَعْلَى السُّبُحَةِ مَزْدُوا عَلَى الْبَغَائِ ﴾ آية ١٠١

يدخل فيه يعرض نفسه للخطر والضرر.. والتفاني « ظاهرة طبيعية نفسية تظهر في بيئة تجمع بين دعوتين متناقستين وقيادتين متقابلتين، هناك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح بين هاتين الدعوتين ويتردد في إظهار إحداهما على أخرى، وقد ينحاز إلى دعوة، فيكون في معسكرها، ويعطيها ولاء وحبه العاطفي، إلا أن مصالحه المادية، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها.. كل ذلك لا يسمح له بإعلان موقفه والانصواء إلى الدعوة الأولى، وفضعه للحبال التي تربطه ببيئته الأولى.

وقد صور القرآن هذا الموقف المضطرب تصويراً دقيقاً، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ٥١﴾ (١) وهم الذين وصفهم بقوله: ﴿مُذْتَبِذِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هٰؤُلَاءِ﴾ (٢) (١٠٤)

وكان سلاح المنافقين في حربهم النضبة الدعاية الكاذبة والشائعة:

(١) الدعاية الكاذبة : وتهدف هذه الدعاية إلى تثبيت الصف المسلم، وخلخلته

واضعافه أمام خصمه مشركي فريش.

ولكي يضمن المنافقون نجاحهم في هذه الدعاية لابد وأن يظهروا بمظهر المسلمين الصادقين، فهم تارة يشهرون إسلامهم أمام الرسول ﷺ : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكُفْرًا ٥٢﴾ (١) وهم تارة يظهرون إيمانهم المكاذب، وغايتهم الصد عن سبيل الله، مطمئنين أن الإيمان الذي يظهر ما هو إلا جنة يعصمهم من التكذيب: ﴿أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥٣﴾ (٢) (١٠٥)

والمناققون مظهر خادع، وكلامهم ظاهره مفتع.. ولاشك أن من عوامل نجاح الدعاية الظهور بمظهر الصدق أمام الناس، واتخاذ أسلوب الإقناع العقلي، وهكذا وصفهم القرآن: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَمْحَسِبُونَ كُلَّ صَاحِقَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعُدُو فَاخَذَرَهُمْ فَتَلَّهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴾ ﴿ وسعد ١١

وقوله تعالى: « فاحذرهم » تبيان لخطرهم الكبير في الصف المسلم، واتخاذ المسلم بهم.. أما إذا كشف أمرهم، وظهروا على حقيقتهم، صدوا عن سبيل الله ولم يقبلوا هدى الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿ وسعد ١٢ .

وفي صدر سورة البقرة وصف دقيق للمنافقين وأخلاقهم ذات الوجهين، وادعائهم الإيمان والإصلاح، وتأمرهم مع رؤسائهم اليهود على المسلمين فنزلت الآيات تكشفهم وتعريهم أمام المؤمنين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ تَحْدِثُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ الْسُّفَهَاءُ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْعَتِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿ ﴿ وسعد ١٣ .

وهناك ثلاثة مواقف للمنافقين تبين دعائهم الخبيثة على سبيل المثال لا الحصر وهذه المواقف هي:

(أ) موقف المنافقين قبل غزوة الأحزاب وكان دورهم التسيط عن الجهاد وخلخلة الصف المسلم، وكانت الدعاية في ذلك الوقت تجد أرضاً خصبة لها.. إذ النفوس متوفزة، والخوف عجم على القلوب.. ومن هنا يأتي خطر المنافقين على الصف المسلم.. إن وجدت دعاية المنافقين قبولاً لديه. لذا كانت رعاية الله لرسوله وللمؤمنين في الكشف عن شخصية المنافقين ودخيلة نفوسهم وجنهم في القتال. قال تعالى: ﴿ فَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْكَ يَا تَوُونَ الْيَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [أُشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جِدَارٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أَلَمْ تُؤْمِنُوا فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧٠]

(ب) وموقف آخر أثناء المعركة، وفي غزوة أحد، إذ أشاع المنافقون أن الرسول ﷺ قد قتل، وذلك بعد أن كسرت رمايته وشجَّ وجهه ﷺ.. وسرعان ما انتشرت الشائعة في صفوف المؤمنين والمشركين، ولقد كان يوم بلاء وتمحيص، وكانت دعاية المنافقين والمشركين ذات أثر بالغ في صفوف المسلمين فتوقف بعضهم عن القتال.. وكانت كلمة أنس بن النضر، رضي الله عنه، الصادقة بمثابة الدعاية المضادة.. وذلك عندما رأى رجالاً من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم « فقال ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم مقاتل حتى قتل، رضي الله عنه»^(١).

(ج) وموقف ثالث للمنافقين، يتبين فيه دورهم في تسيط المسلمين عن الجهاد حتى يهزموا في المعركة، وذلك في « غزوة أحد » عندما تحاذلوا وخافوا على

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١/٣.

أنفسهم من القتل.. ولا شك أن تخاذل جزء من الجيش في المعركة، يضعف الجيش ويوهنه.. مادياً ومعنوياً.. وقد كشف الله تعالى هذه الطائفة، وأظهر خبيثة نفوسهم بقوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠١].

وهذه الطائفة « هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكافية، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه ﷺ» (١).
ومن الظن غير الحق بالله أن ينصروا أنه - سبحانه - مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء، وإنما دفعوا إليها دفعاً ليموتوا، والله لا ينصرهم ولا يقدّمهم إنما يدعهم فريسة لأعدائهم ويتساءلون: «هل لنا من الأمر شيء؟»
وتتضمن قولتهم هذه الاعتراض على خطة القيادة والمعركة والتشكيك فيها والتحريض على عصيانها.

وكان الرد المباشر لدعائيتهم ومحاولات التحريض والتشكيك.. إذاعة الحقيقة في إبانها، لتصحيح أمر الحياة والموت والابتلاء.. وأن هذه الأمور كلها من الله عز وجل: ﴿قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

(١) العنبري في تفسيره هذه الآيات من سورة آل عمران.

(٢) الشائعة: تعد الشائعة من أخطر أسلحة الحرب النفسية.. وسنلخصها بشكل مفصل بإذن الله.. وتعرض هنا إلى ما لاقاه الرسول ﷺ من اليهود والمنافقين من شائعات تهدف إلى هدم الدعوة وقدميتها في نفوس المسلمين في الدرجة الأولى، بالإضافة إلى التشهير بأهله وبعرضها، وهي الظاهرة النقية.. وإن من أخطر ما تعرض له رسول الله ﷺ من شائعات.. ما يعرف بقصة الإفك أو حادث الإفك.. وقد ذكرها القرآن الكريم^(١) وبسطها كتب الحديث^(٢)، ولعل من المفيد ذكرها باختصار: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وخرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فخرج بها رسول الله ﷺ فلما فرغ من سفره ذلك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم آذن بالرحيل، وخرجت عائشة لبعض حاجتها، وفي عنقها عقدها، فانسل من حيث لا تشعر، فلما رجعت إلى الرحل فقدت العقد فذهبت تبحث عنه وقد أخذ الناس في الرحيل، فجاء القوم الذين كانوا يرحلون ها البعير، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنها فيه، وكانت فتاة صغيرة السن، خفيفة اللحم، فلم ينتبهوا لخفتها، ولم يشكوا أنها فيه، ورجعت عائشة إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب فد انطلق الناس، فتلقت بجلبابها واضطجعت في مكانها.

وبينما هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلما رآها استرجع وقال: ظعنة رسول الله ﷺ : ثم قرب

(١) سورة النور آية ١١ - ١٢.

(٢) ارجع إلى البخاري، وقد ذكرها في أسراب كثيرة منها: في تفسير سورة النور باب: «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً».. وهي في مسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة: باب حديث الإفك. وفي الترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير باب: ومن سورة النور.

والنسائي ١/ ١٦٣ - ١٦٤ في الطهارة باب بده التيمم.

بَيْنَهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠-١٠١﴾

بذلك انطفأت نار الفتنة وخزي الشيطان، وكان شيئاً لم يكن شيء، فتشاغل المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله وبما يعود عليهم وعلى الإنسانية بالخير والسعادة^(١).

وإن حادث الإفك هذا والذي عاش فيه المسلمون شهراً كاملاً في بحار الشك والقلق الذي لا يطاق قد اكلف الظاهر النفوس في التاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشد التجارب في تاريخها الطويل..

وفي الآيات الكريمة إشارات عميقة نرى أن نلمح إليها لعل فيها درساً للمسلمين على مر الزمان.. ومن هذه الإشارات^(٢):

أ- « إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم... » « إنهم ليسوا فرداً ولا أفراداً، إنما هم عصبة منجمعة ذات هدف واحد ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك، إنما هو الذي تولى معظمه، وهو يمثل عصبة المنافقين واليهود، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهره، فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية.. وكان حديث الإفك أحد مكائدهم القائلة.. وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيته وأرقها..»

ب- « لا نحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم » إن هذه الحادثة ليست كلها شراً بل خيراً - لأنها كشفت الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته -

(١) المسيرة النبوية - للندوي.

(٢) راجع إلى « في ظلال القرآن » سيد قطب تفسير سورة النور.

وفيهما تبيان لخطر الشائعات على الجماعة المسلمة إذا تداولتها الألسنة دون دليل ولا برهان.

- وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القويم لمواجهة هذا الأمر العظيم: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَطَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٠﴾﴾ .

ج- إن في هذا الحادث درساً بليغاً، وتربية للجماعة المسلمة، إن عليها أن لا تلوك بألسنتها شائعات لا دليل عليها، بلا تدبير ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر، بل عليها أن تتبين الأمر ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴿١٠١﴾﴾ .

والتعبير القرآني ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّبْتِ كَرًّا ﴿١٠٢﴾﴾ يظهر طريق الشائعة وسبيل سرياتها بين الناس وانتشارها، لسان يتلقى عن لسان، وهذا القول كأنه يمر على الأذان ولا تتدبره القلوب، وهذه من خصائص الشائعة ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ . وما دام الأمر انكشف للمسلمين .. واخذ الدرس .. عليه أن لا يعود لمثل هذا .. ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَطَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٤﴾﴾ .

د- أن سرعة انطفاء هذه الشائعة يزيد على سرعة انتشارها.. إذ إنها انطفأت بلا أدلة أو براهين لتفنيدها.. أو اخذ ورد في الأمر.. بل إن الشائعة انتهت بمجرد نزول الآيات الكريمة تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها... وكان الآيات أعادت من اشترك من المسلمين في الشائعة إلى صوابهم.. أو كانوا في نوم فاستيقظوا .. وهذا دليل على أن الشائعة سرعان ما تنطفئ بالحقائق الناصحة.. مثلها مثل النار المستعرة سرعان ما تنطفئ بصب الماء عليها.

لأننا - جهة اليهود: لما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة، حاول أن يتألف قلوب اليهود، فحقد معهم المعاهدات^(١). وأحسن معاملتهم. ولكن اليهود قابلوا هذه المعاملة بالمثل ظاهراً، إلا أن قلوبهم تغور بالأحقاد والخسد باطناً، وخاصة وقد بعث النبي من غيرهم، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقصة الآتية تبين هذه النفسية اليهودية الخافدة: عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب^(٢) قالت: «كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقاء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي: حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر مُتَمَلِّسِينَ^(٣)، فلم يرجعاً حتى كان غروب الشمس فأتيا كالتين كسلانين، ساقطين يمسيان الهويني، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم.

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله: قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»^(٤).

هذا هو موقف اليهود من النبي ﷺ وهو ما زال على أبواب المدينة.. وقد ظهرت بعد ذلك أحقادهم، فأثاروا حرباً عاصفة من الجدل والشبهات، والكيد

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١١٩.

(٢) حيي بن أخطب: زعيم بني النضير وحبرهم. وقد ظل يزوج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة قومه (في السنة الثالثة للهجرة) إلى أن قتل مع بني «قريظة» عقب خيانتهم الفاحشة للمسلمين في معركة الخندق، و«حقيق» تزوجها النبي ﷺ بعد فتح «خير» في السنة السابعة من الهجرة النبوية (انظر البداية والنهاية ٤/٧٤ و ١١٦).

(٣) متَمَلِّسِينَ: الغلس ظلمة أمر الليل.

(٤) ارجع إلى البداية والنهاية ٣/٢١٢، وسيرة ابن هشام ٢/٦٤٠.

والدس، والتأمر والتحريرض على النبي ﷺ والمؤمنين، حتى حالفوا المشركين، والمنافقين، في سبيل النيل من المسلمين...

وزاد عداء اليهود بعد أن أسلم بعض أحيارهم كعبد الله بن سلام وغيره من اليهود^(١) ولم يقتصرُوا على مخالفة الإسلام بل تعدوا ذلك إلى تفضيل عبادة الأوثان والمشركين على عقيدة الإسلام، وهم يدعون أنهم من أهل التوحيد، فضلاً عن تحزيب الأحزاب على رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: «إن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النصري وحيي بن أخطب النصري وكتانة بن الربيع... وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، وقالوا إنا نكون معكم عليه حتى نتصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا لختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيْثُ وَالطَّنْفُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٢١﴾ ﴿٢٠، ٢١، ٢٢﴾».

ويعلق كاتب يهودي على هذه الحادثة فيقول: «ولكن الذي يلامون عليه بحق - أي اليهود - والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو تلك الحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أدبان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية».

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠/٣٠ - ويبلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة (٣٩) رجلاً جاءت أسماءهم في كتب طبقات الصحابة، كالإصطبة والاستيعاب، وأسد الغابة.

(٢) البداية والنهاية. ٩٦/٤. وسيرة ابن هشام. (٢/١٩٠).

إلى أن يقول: « ثم إن ضرورات الحرب أبحاث للأهم استعمال الحيل والأكاذيب والتوسل بالخداع والأضاليل للتغلب على العدو. ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش إلا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي»^(١).

ولكننا نود أن نقول للكاتب اليهودي: إن أساليب الخداع والأكاذيب قد أبحاث بين الدول المتحاربة وليس بين الدول التي بينها عهود ومواثيق فيهود المدينة مرتبطون باليهود التي قطعوها على أنفسهم تجاه المسلمين.. فكيف يباح لهم نقضها من وراء ظهور المسلمين.. وهذه النقطة لم يتطرق لها الكاتب اليهودي.. وإنما عند موقف التفر من اليهود من باب الخطأ الفاحش لأنهم فضلوا عبادة الأصنام على التوحيد الإسلامي...

ونقض العهود شيمة اليهودي، تحت أفانين من الخداع، والمبررات الكاذبة، وألوان من ضروب التعريف ولي الكلم عن مواضعه، وتزييف المعاني والمفاهيم، وفلسفات الاستحلال التي يجيدونها، وتجري منهم مجرى الدم.

والعهد عند اليهودي ضرورة مرحلية يعقد لأجلها، ثم ينقضه بانتهاء ضرورتها ومضتها!

وبين العهد والنقض يغل اليهودي كالثعلب الجبان يتلفت، ويترقب الفرصة أو يوجدتها، لنقض تحت أمان العقد، وغفلة الخصم!!

والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة، فيقول على سبيل الحصر لا الشمول: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتْ مَعَهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٤﴾

(١) اليهود في بلاد العرب - ص ١٤٢ - تأليف إسرائيل ليفنسون (نقلًا عن السيرة النبوية للتدوي ص ٢٣٢).

وحنى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم : « الحمايم » أو « الصقور »^(١)
هي لون قديم من خداعهم، ويشير إليها القرآن الكريم بأسلوب التكرار المطرد
كآية السابقة: ﴿ أَوْكَلْنَا غَنَهِدُوا عَهْدًا نُبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ لَوْلَا نُكْرِهُهُمْ لَأَن
يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ».

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء،
وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم...

- ابتداء من عهدهم مع الله تعالى على يد كبار أنبيائهم كما قال تعالى:
﴿ ... وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٠١﴾ فِيمَا نَقُضِيهِمْ مِّيشَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِفَايْتِ اللَّهِ
وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْتَرٍ حَتَّىٰ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ لَّئِن طَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٢﴾ ».

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ
بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ».

- وانتهاء بما صنعوا مع النبي ﷺ من غدرا، ونقض للعهد في اخرج الظروف،
وأحلك المعارك، كما صنع « بنو قريظة » يوم الأحزاب فوجعلوا بالعذاب؛
﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ^(٢) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿١٠٤﴾ وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِيرَهُمْ
وَأَمْرَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْفُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٠٥﴾ ».

(١) أي يظهر جماعة منهم النفاق واللين ويظهر آخرون التشدد، ومقصد الجمع واحد في الشر
والأذى.

(٢) الصباصي : جمع صبصة وهي كل شيء يتحصن به والمراد بها هنا الحصون.

ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء، وما زالوا يفعلونه، من غير حرج ولا اعتبار للقيم والأخلاق.. والأمثلة على ذلك كثيرة^(١).

وقضية غددر « بني قريظة » ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب.. ومحاولة طعن جيش المسلمين من الخلف. لا بد من وقفة قصيرة، لما لهذا الغدر من وقع شديد على المسلمين وعلى معتوياتهم، وهم يواجهون المشركين.. وتصور الآيات الكريمة هذا الوضع أبلغ تصوير: ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٠٠﴾ .

وخيانة يهود هذه. هل تذهب دون جزاء؟ لا، لأنه ليس من العدل أن لا ينال الخائن جزاءه، والغامر عقابه، وقد نال « بنو قريظة » جزاءهم العادل على يد رسول الله ﷺ، وذلك بعد أن رد الله الذين كفروا بغیظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، ويعد أن انصرف المسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة، أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: « أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة^(٢) ».

(١) أقرب مثال لذلك تفسيرهم لفرار الشهر ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الخاص باخلاء عن الأرض العربية في فلسطين المحتلة، فقد فسروه بحيلة لغوية شيطانية وقالوا إنه يعني الخلاء عن « أرض » بالتسكير، وليس عن « الأراضي »، بالتعريف، وجعلوا ذلك ذريعة للبقاء في القدس وغيرها، بل جنموا ذلك وسيلة للمساومات والمجادلات، وأغراهم بهذا العبث أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلونه ومن هذا الباب أيضاً خرقهم اتفاقيات الهدنة التي وقعت معهم في كل الجبهات وفي جميع الحروب ابتداء من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٣ م (ارجع إلنا: معركة الوجود بين - القرآن والتلمود - للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد - ص ١٢٩).

(٢) البداية والنهاية ١/٤١٦.

ونزل رسول الله ﷺ فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسيب الذراري والنساء»^(١).

هكذا قضى على آخر حصن من حصون اليهود في المدينة، وبالقضاء عليه لم يعد يسمع حتى للمنافقين في المدينة أي صوت أو عمل يناقض إدارة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وكذلك كان بنو النضير على شاكلة « بني قريظة » في الغدر والخيانة، فقد حاولوا اغتيال الرسول ﷺ عندما كان يوماً في ديارهم، وحاولوا إلقاء صخرة عليه بينما كان جالساً إلى جنب جدار لهم^(٢).

«فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبت النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسأله عنه فقال: رأيت داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به»^(٣).

وتهاى رسول الله ﷺ لحربهم وإجلائهم عن المدينة « فبعث إليهم أهل النفاق يشنونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فغويت عند ذلك نفوسهم، وحمي حُيَيُّ بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون، ونابنوه بنقض العهود، فمت ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، فحاصروهم خمس عشرة ليلة^(٤) ثم تم إجلائهم عن المدينة جزاء ما اقترفوه من غدر ونقض للعهد. وقد أنزل الله فيهم:

(١) المصدر السابق - الجزء والصنعة نفسها.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٧٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ١٩١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٧٤.

(٤) المصدر السابق.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَبْعُوثُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ حَتَّيْبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِ الْآيَةِ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة الحشر).

- ومن صور دهاية اليهود ضد المسلمين، ما قام به « كعب بن الأشرف » أحد رؤساء اليهود، وكان شاعراً، والشعر من أسرع وسائل الاتصال في ذلك العهد، فقد كان شديد الأذى لرسول الله ﷺ وصحباة الكرام، إذ كان يشيب^(١) في أشعاره بنساء الصحابة فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة فجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال.

- ففي مكة أخذ ينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم « بدر » وقد ذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها:

طحننت رحي بدر لمهلك أهله ولثل بدر تستهل وتدمع^(٢)
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعلوا إن الملوك تصرع^(٣)

إلى أن يقول معرضاً على قتال المسلمين:

- (١) شيب بنساء الصحابة: تغزل فيهن وذكرهن في شعره.
(٢) رحي الحرب: مجتمع القتال ومعظم الحرب، وتستهل: نسيل بالدمع يقال استهل المطر والدمع إذا سالا.
(٣) سراة الناس: خيلاهم وزعمائهم، والحياض جمع حوض.

لَبِثتُ أَنْ الْحَرُثُ بْنُ هِشَامِهِمْ فِي النَّاسِ بَيْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَشْرِبُ بِالْجُمُوعِ وَإِنَّمَا يَحْمِي عَلَى الْحَسْبِ الْكَرِيمِ الْأُرُوعِ^(١)

وقد رد عليه «حسان بن ثابت الأنصاري»:

فَابْكِي فَقَدْ أَبْكَيْتِ عَيْدًا رَاضِعًا شِبْهَ الْكَلْبِ إِلَى الْكَلْبِيَّةِ يَتَّبِعُ^(٢)
وَلَقَدْ شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّا سَيْدًا وَأَهَانًا قَوْمًا مَا فَاتَلُوهُ وَصَرَغُوا^(٣)
وَنَجَا وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ مِنْ قَلْبِهِ شَعْفٌ يَظَلُّ لِحَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ^(٤)

ويروي ابن إسحاق أن كعب بن الأشرف أحد بني النضير ركب إلى قريش فاستخواهم، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ^(٥)، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة أتعب أن اقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي فأقول: قال: قد فعلت»^(٦). وقتل على يد مجموعة من الأنصار^(٧).

ومن أساليب اليهود أيضاً أسلوب التزييف والتحريف والجدل العقيم، بل إن قلوبهم طبعت على ذلك.. وأصبحت هذه الأساليب سجية في تركيبهم الخلقى والنظري.

(١) الأروع: الذي يروع نصته وجاله.

(٢) راضعاً: أراد لثيماً.

(٣) عني هنا بالسيد النبي ﷺ.

(٤) شعف - بالعين المهملة - ومعناه عثرق القلب. ويروى - «شغف» بالفحوق المعجمة - وأراد أنه قد بلغ الحزن. شغاف قلبه. ويتصدع: يشقق.

(٥) ارجع إلى البداية والنهاية لأبن كثير ٦/٤.

(٦) روى البخاري - باب الفتك بأهل الحرب - ٦/١٦٠ (فتح الباري).

(٧) ارجع إلى البداية والنهاية ٦/٤. وسيرة ابن هشام ٢/٤٣١. وزاد المعاد ٢/٤٤٨.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمِهِمْ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ خَائِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [٢٠:٥٨] .

وقال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا خَائِفُونَ الْكَلِمَةَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [٢٠:٥٩] .

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين طبعهم حتى لا يطمعوا بإيمانهم وتعديل سلوكهم هذا، وأن على المؤمنين أن يعرفوا جيداً نفسية اليهود: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَائِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٠:٦٤] .

فاليهود يحرفون « كلام الله » من بعد ما عقلوه، فهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين وإنما يزاولون التحريف^(١) عامدين وهم يعلمون. ولذلك أمعن اليهود في الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم مثل: نوح وإبراهيم ولوط - عليهم السلام - . بل وصموا أعلام أنبيائهم - عليهم السلام - بكل منكر وفاحشة مثل: موسى، وداود، وسليمان - عليهم السلام^(٢) .

وبهذه النفسية الخبيثة حشوا التوراة، وسائر أسفارهم « المقدسة » - في زعمهم - بكل ضلالات الاعتقاد ، وشناعات التشريع، وصرفقات الأخلاق، وأساطير القصص والأخبار ، ونسبوا ذلك إلى الوحي والأنبياء، وبذلك أصبح اليهود « علماء متفرداً في الضلالة والبهتان » ، وغدت كلمة « الإسرائيليات » عنواناً للأكاذيب والمفتريات والأباطيل، ومن العجيب أن يتسرب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين،

(١) من أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة أناجيل المسيحية وتحريفها في أكثر من (٦٢٦) موضعاً (راجع كتاب « إسرائيل حرفت الأناجيل » ص ٣٧ وما بعدها).

(٢) ارجع إلى كتاب: « معركة الوجود بين القرآن والتلمود » ص ١٤٤ .
- وإلى كتاب: « فضائح التوراة » للدكتور أحمد عبد الرزاق مصطفى دار صائب للنشر والتوزيع - دير الزور - ط ١ - ٢٠٠٤ م .

بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم، حتى غصت بظلمات هذه «الإسرائيليات» وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة «النفسية اليهودية» وأبقوا لحسن الظن بقية في بعض بني إسرائيل، ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة^(١).

والنفاق اشتهر به اليهود في العهد النبوي، أيضاً، فضلاً عن مناقبي المدينة، الذين تشابهت قلوبهم، ومناهجهم، مع الإصرار على الكفر الباطني في كل حال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَفَدَّخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِعَدْوٍ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (١١٣).

هذه بعض صور الحرب النفسية التي شنت من قبل اليهود على الإسلام والمسلمين في الصدر الأول.. وقد أطلنا البحث في الدعاية اليهودية في غير هذا الموضوع^(٢) ليطلع المسلم على طبيعة «النفسية اليهودية» على مر التاريخ، وليوظف هذا الوعي في الصراع الدائر اليوم بين اليهودية والإسلام..

(١) ارجع إلى: معركة الوجود بين القرآن والتلمود. د. عبد السار فتح الله سعيد. ص ١١٦.

(٢) ارجع إلى الدعاية اليهودية في أسلحة الحرب النفسية في هذا البحث. (البحث الثاني من الباب الثالث).

المبحث الثاني

صور من الحرب النفسية

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ:

(١) من التاريخ الإسلامي: يزخر التاريخ الإسلامي بالأمثلة الحية للحرب النفسية، والتي أدخلت الرعب والهلج في نفوس الأعداء .. وكان من نتيجتها الانتصارات العظيمة للجيوش الإسلامية.. والقضاء على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العهد، الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.. ومما لا شك فيه أن المسلمين نصرُوا بالرعب، تحقيقاً لقول الرسول ﷺ « أعطيت حماً لم يعطهن أحد قبلي: لصرت بالربح مسرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأتها رجل من أمي أمركه الصلاة فليصل، وأحلت لي المفاتيح ولم تجل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه حاجتة وبعث إلى الناس عامة»^(١).

فالانتصارات الإسلامية كانت تسبق الجيوش، والتي كانت بمثابة الدعابة المؤثرة في نفسية الأعداء، القاذفة في قلوبهم الرعب. والجيوش تهزم من الداخل قبل هزيمتها في المعركة.. ولهذا تلاحقت الانتصارات، ولم تعرف كلمة الهزيمة في قاموس الجهاد الإسلامي.. مع أن الأعداء أضعاف عدد المسلمين .. لهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يسم قَيْل بدء معركة اليرموك رجلاً من نصارى العرب يقول: « ما أكثر الروم وأقل المسلمين » فقال له خالد: « ويلك أشخرفني بالروم، وإنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لو ددت أن الأشقر (فرسه) براء.. وأنهم أضعفوا العدد»^(٢). بهذه الروح المعنوية العالية انتصر المسلمون..

(١) رواه البخاري - باب التيسم - فتح الباري رقم (٣٣٥).

(٢) البداية والنهاية ٩/٧ (معركة اليرموك جرت في عام ٦٥ هـ بين المسلمين والروم).

والتي أساسها الإيمان الصادق، وليس الرواتب العالية، أو الإغراءات المادية الأخرى، والتي يلجأ إليها في جيوشنا اليوم..

هذه الحقيقة عرفها كل جندي من جند الله الذين رَوُوا أرضَ الإسلام بدمائهم الزكية، جهاداً في سبيل الله.. والتي نتخلى عنها اليوم لأعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين اليهود..

ولقد استخدم المسلمون أساليب الحرب النفسية^(١) لإدخال الرعب في نفوس أعدائهم وطبقت عملياً في الغزوات والمعارك الإسلامية الشهيرة، ومن هذه الأساليب:

أ. استخدام صحبات القتال لبث الرهبة والرعب في قلوب أعدائهم ومن أمثلة صحبات القتال هذه والتي استخدمها المسلمون: «أحد، أحد» في غزوة بدر و«أيت، أيت» في غزوة أحد. ومنها أيضاً «يا خيلُ الله اركبي» في وقعة اليرموك، إلى جانب التكبير الذي هو شعار كل مسلم «الله أكبر».

ب. التفريق بين الأعداء.. وهو ما قام به نعيم بن مسعود الفطفاني - رضي الله عنه - عندما أسلم، أثناء وقعة الخندق، دون علم قومه.. فقال له الرسول ﷺ: «إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة».. وقام نعيم بمهمته خير قيام، وفرق بين قريش وبنو قريظة من اليهود^(٢).

ج. الدعاية بالأعمال الرمزية لإدخال الرهبة في نفوس الأعداء فقد أمر رسول الله ﷺ عمه العباس باحتجاز أبي سفيان في مدخل الجبل إلى مكة، حتى تمر به جنود المسلمين، فيحدث قومه عما رآه عن بيّنة ويقين، فيقضي على أي أمل لديهم في المقاومة وذلك قبل فتح مكة^(٣).

(١) انظر مبادئ الحرب النفسية في الإسلام في الباب الرابع من هذا البحث. حيث بحثت هذه

الأساليب بشكل مفصل.

(٢) البداية والنهاية ١/ ١١١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٢.

د. ولقد أجاد المسلمون استخدام رسل الأعداء في الحرب النفسية، وذلك في هل أخبار المسلمين وسلوكهم اليومي، إلى أقوامهم وقادتهم.

- بعث المقوقس عظيم مصر رسلاً إلى جيش عمرو بن العاص، فابقاهم عمرو عنده يومين وليلتين، اطلعوا خلالها على حياة جند رباهم الإسلام وهياكلهم لفتح أرض الكنانة، ولما عادت الرسل إلى المقوقس سألهم: كيف رأيتم؟ قالوا: « رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف رفيعهم من وضعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم». فقال عند ذلك المقوقس: « والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يفوى على قتال هؤلاء أحد»^(١).

- وقيل وقعة (أجنادين)^(٢) بعث أمير الروم « القيقلان» رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة، فلما رجع إليه قال: « وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه، أو زنى لرجوه» فقال له القيقلان: « والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خبر من ظهرها»^(٣).

(٢) من التاريخ غير الإسلامي:

أ- استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشحن حملاتهم، كما لجأوا إلى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف

(١) النجوم الزاهرة - جمال الدين أبو نظام يوسف بن تغري بريد الأتابكي - طبعة دار الكتاب المصرية عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ ج ٦ ص: ١٠ / ١١.

(٢) وقعة أجنادين - كانت آخر جمادى الأولى سنة ١٣ هـ / قبل وقعة اليرموك بستين) (ارجع إلى البداية والنهاية ٧ / ٧).

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٧.

جنودهم ، ولم يكن يهمهم ماذا يمكن أن يظهر أعداؤهم ماداموا ينتفضون من الخوف والرعب.. وقد وصف الأوروبيون خيالة المغول الضارية بأنها جحافل لا حصر لها، وإن كانت أقل من ذلك، لأن عملاء المغول كانوا يهمسون بمثل هذه القصة في الطرقات^(١).

ب- وأجاد التتار الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها.. وأن جنكيز خان استخدم جواسيس العدو وسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم، وعندما كان يستميل جواسيس العدو إلى جانبه بروح يلفنهم الشائعات التي ينشرونها بين قوائيمهم.

يقول أول مؤرخ أوروبي لجنكيز خان واصفاً كيف أن جنكيز خان أطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم أي جعله يعيش في دوامة من الاضطراب .. يقول المؤرخ: « ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتعداده .. يقول في وصف الأمر بهذه الصورة: إنهم - كما قال الجواسيس للسلطان - كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين، لا يستشقون شيئاً إلا رائحة الحرب والدماء...»^(٢).

ج - وقد أدت « شركة الهند الشرقية » والتي أسستها بريطانيا في الهند عام ١٦٠٠م والتي استمرت حتى عام ١٨٥٨م حتى انتقلت السيادة على الهند إلى التاج البريطاني .. أدت هذه الشركة دوراً مهماً في الحرب النفسية.. إذ استخدمت الجاسوسية، والحلافات العقائدية، والدعاية، وسياسة (فرقى تسد) في سبيل السيطرة على الهند..

(١) الحرب النفسية - صلاح نمرج ١ ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢.

يقول آدموند نيلور^(١): « في الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الإنجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم (الحرب النفسية السوداء) وذلك باستخدامهم الطابور الخامس^(٢) وباستخدام أساليب فجحة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجنود الشركة «وللكويزلنجيين الوطنيين» الذين عُينوا حكاماً ليخفقوا الحياء عن إداريي الشركة في الأماكن المختلة.

وقد عمد الإنجليز إلى المناورة لإبقاء القوى الوطنية السياسية المضادة لهم ضعيفة ومقسمة، وبوساطة الدعاية نجحوا في أن يملأوا عقول الهنود بمخاوفات مضللة: فتظن كل مجموعة من المجتمع الهندي أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف مضاد، وكانت الحكومة الوطنية في البلاد تستخدم الجواسيس بإعداد كبيرة للتعرف على اتجاهاات الرأي العام في هذه البلاد الواسعة لضبط أي تأمر، حتى قيل أن العدد كان يصل في هذا العصر المبكر إلى ثلاثين ألفاً في خدمة راجاه واحد من حكام الأقاليم.

وقد استغل الإنجليز الخلافات العقائدية بين المسلمين والهندوس، فمثلاً إذا وطئ مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة في الطريق، أو دق هندوسي على طبلة

(١) راجع كتاب الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص ٦٨.

(٢) الطابور الخامس: اصطلاح يطلق اليوم ليدل على فئة داخلية خبيثة مخربة في مجتمع ما. عرفت هذه العبارة لأول مرة عام ١٩٢٩ عندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا التي بدأت عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩م والتي قادها فرانسيسكو فرانكو ضد نظام الحكم الجمهوري الذي قام عام ١٩٣١م. ولما سئل أحد قادة فرانكو وهو «امينيوليو» عن خطته لمهاجمة العاصمة الإسبانية / مدريد قال: سأهاجمها في أربعة طوابير وطابور خامس داخل المدينة مدريد. ولما سئل عن انطابور الخامس الموجود داخل المدينة كيف دخلها قال: لم أقصد طابوراً خامساً عسكرياً بل فئة من سكان المدينة غابيتها تسيطر المهتم وترويج الشائعات وإثارة التبلبل. وفي عام ١٩٣٩ سقطت مدريد بيده وعرف العالم اصطلاحاً جديداً «الطابور الخامس» (راجع كتاب «عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي - شوقي خليل - دار الفكر» حاشية صفحة ٥١).

أمام مسجد أثناء إقامة الصلاة، نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية، واستغل الإنجليز هذه الخلافات لزيادة الشقة بين أصحاب العقائد المختلفة.

وقد استخدم الإنجليز الطوائف المختلفة في كبت الثورات ، فإذا ما ثار السيخ استخدموا المسلمين لكبت الثورة، وإذا ما ثار المسلمون استخدموا السيخ في القضاء على الثورة، وبذلك كانوا يبقون الخلافات بين الجماعات مشتتة دائماً.. وهكذا كان بأبغ سياسة (فرق تسد) استطاع الإنجليز السيطرة بقوات قليلة نسبياً على الهند الواسعة المساحة الكثيرة السكان.^(١)

وأن هذه السياسة (فرق تسد) طبقت من قبل الإنجليز في جميع البلاد الإسلامية ومازالت آثارها حتى الآن في تقسيمات البلاد العربية على إثر معاهدة / سايكس بيكو عام ١٩١٦م^(٢) . وهكذا كان الإنجليز في تاريخهم الطويل، وجه كالح بغيض .. ومهما حاولوا الآن تلميعه وترتيبه فسيبقى بالنسبة للمسلم هو هو الوجه البغيض نفسه للإسلام والمسلمين.

د - والفرنسيون : ودورهم في بلاد الإسلام لا يختلف عن الإنجليز، فمنذ أن وطئ نابليون بوناپرت أرض مصر عام ١٧٩٨م لم تنته الحرب النفسية المسلطة على المسلمين، إلا أن الفرنسيين يميزون بالدخلة بالنسبة إلى الإنجليز .. لأن خداعهم كان سرعان ما يتكشف أمام الواقع .. فنبليون هذا والذي خلع على نفسه صفة حامى الإسلام، بل ادعى أنه مسلم وأنه يحارب النصرانية في روما، وذلك لخداع المسلمين في مصر، وبالوقت نفسه كانت خيوله ندوس الجوامع وتضرب المجاهدين في وجوههم، ويفر عن وجهه الصليبي القبيح... ولعل في كتابة مقتطفات من

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) معاهدة ، سايكس - بيكو .. السرية عُقدت بين بريطانيا وفرنسا. عام ١٩١٦م وقد كشفت المعاهدة بعد الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٨م.

المنشور الذي وجهه إلى المسلمين في مصر حينما وطئت قدماء مدينة الإسكندرية ما يطلعتنا على صورة واضحة من أساليب الحرب النفسية: « بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه... يا أيها المصريون .. قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح.. فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقاكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك - أعبد الله - سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن الكريم..»

أيها المشايخ والقضاة والأئمة قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام.»

ويتضمن المنشور أيضاً الإغراء بالمراتب العالية لمن يفض بجانب الفرنسيين والويل كل الويل لمن يحاربهم « كل قرية تقوم على العسكر الفرنسي تحرق بالنار»^(١).

بيان كل كلمة فيه تشهد بكذب كاتبه، وخداعهم ، للتوصل إلى السيطرة على بلاد الإسلام .

ثالثاً: صور من الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما :

١- الحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى: في هذه الحرب تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرضية إلى أداة عسكرية رئيسية^(٢) حتى قيل إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب. بل إن أولئك الذين كانوا لا يولون أمر الدعاية في

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص (٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨).

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٣٥١.

صفوف الحلفاء راحوا يشرون الاعتراف بأن مَهَارَتِهِمْ كانت فاطمة، وأن القتال العنيف الذي جرى في الخنادق لم يكن يكثر من شل حركة الجانبين المتضادين^(١).

على كل حال، وإن كان هذا الكلام مبالغاً فيه، إلا أننا مع الذين يقولون بأهمية دور الحرب النفسية في الحروب: أما ما نية هذا الدور فهذا مرجعه إلى الجيوش نفسها وعقيدتها، وأخلاقها.. وقوتها.. وإعدادها..

والذي يهمنا هنا العرض التاريخي للحرب النفسية وأسلحتها الفتاكة في الحرب مثل الدعاية والشائعة وغيرهما..

والدعاية بشكل خاص تطورت - خلال الحرب العالمية الأولى - لتصبح علماً من العلوم التي تقوم على أسس عامة^(٢) وأعيد تنظيم الدعاية بعد الحرب من قبل الحلفاء وأنشأوا إدارة للدعاية ضد العدو. وكونوا لجنة مؤلفة من عدة دول لهذه الغرض فاشتركت فيها المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا^(٣).

وإن الدعاية البريطانية بشكل خاص نشطت منذ بدء الحرب عام ١٩١٤م، وكانت تهدف لتحقيق غايات ثلاث: فكان عليها أولاً: أن تفتح أبناء البلاد في الداخل بعدالة قضيتهم في الحرب، وكان الهدف الثاني هو إقناع الدول الصديقة والمحايطة بأن النصر سوف يعقد لها آخر الأمر، أما الهدف الثالث فهو أن تُلقى البأس والتقنوط في قلوب الألمان^(٤).

- ومن النقاط الرئيسة التي ركزت عليها الدعاية الإنجليزية لتحقيق الهدف الأول وهو إقناع الشعب بعدالة قضيتهم:

- (١) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص ٨٠.
- (٢) الدعاية السياسية - لندي فيريز - ترجمة عبد السلام شحاته - الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٦.
- (٣) المصدر السابق - نفس الصفحة.
- (٤) الدعاية السياسية - لندي فيريز - ترجمة عبد السلام شحاته - الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٢٦.

أ- الاعتداء الألماني على بلجيكا لم يكن إلا اعتداء القوي على جار ضعيف لا حول له ولا قوة.

ب- ذبوع الروايات عن قسوة الألمان ووحشيتهم - إعدام الأسرى - الأعمال الوحشية ضد النساء والأطفال ورجال الدين، وإشاعتها في بريطانيا.

ج- أن الألمان أعلنوا عدم اعترافهم بأي قواعد قانونية حربية.. وامتعاملهم الغازات السامة في الحرب.

وقد نجحت هذه الدعاية، وصدقها الناس، ويتكررها أكثر من مرة وانتشارها بين الناس أصبحت حقيقة لاشك فيها^(١).

وأن دور الصحافة كان له أثر في ذلك.. وذلك بتضخيم الأخبار والمبالغة فيها حتى أيقن الناس بصدق الشائعات.. مما عبأهم نفسياً للقتال ضد العدو الألماني^(٢).

- ولتحقيق الهدف الثاني وهو إقناع الدول الصديقة والمحايدة بأن النصر حليفهم وذلك بتحويل الرأي العام الأمريكي بشكل خاص.. وقد ركزت الدعاية عليه لأنه الأمل في مستقبلها وانتصارها على الألمان.

وقد أثبتت الدعاية الإنجليزية الحذر والحكمة، والطرق العلمية المنظمة لمحور الشكوك التي هاورت الأمريكيين عن موقف الحلفاء، مع العلم أن كثيراً من الأمريكيين ناصرُوا الألمان في بداية الأمر، كما اعتبروا بريطانيا لا حن لها في محاصرة الموانئ الألمانية لمخالفة ذلك لحرية البحار^(٣).

وهكذا أعد الخبراء الدراسات الخاصة بالصحافة الأمريكية دون إزعاج للمقارئ الأمريكي العادي، وتجنبوا المغالاة، وأظهروا الحقائق عن أعمال الألمان، دون تدخل ظاهري ودون القيام بمحاولات عنيفة لكسب الرأي العام الأمريكي.

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

(٣) الدعاية السياسية - لتدلي غريزر - ترجمة عبد السلام شحاتة - الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٢٩.

وقد ساعدت الدعاية الألمانية في نجاح الدعاية البريطانية، إذ إنها وقفت موقف المدافع للمرد على دعايات الحلفاء . وهذا نوع سيئ من الدعاية لأنه يذكر المستمع أو القارئ برأي العدو، فضلاً عن أن محاولة الرد على هذه الدعايات حملت الناس على الظن بأن الألمان يحاولون استثارة العطف عليهم^(١) .

بالإضافة إلى أن وكالات الأنباء البريطانية والحليفة استطاعت أن تتوصل إلى نتائج بعيدة المدى في كسب الرأي العام في مناطق كثيرة من العالم إلى جانب الحلفاء . - أما تحقيق الهدف الثالث وهو إلقاء البأس والقنوط في نفوس الألمان، عن طريق توجيه الدعاية إلى العدو.. فقد اعتمدت على المطبوعات والنشرات التي تُلقيها الطائرات على صفوف الأعداء .. والجدير بالذكر أن هذه النشرات كانت تحتوي على حقائق ولكن ليس كل الحقائق .. وغايتها كسب ثقة الأعداء .

- بالإضافة إلى النشرات بواسطة الطائرات، كان هنالك الجواسيس داخل بلاد العدو فقد ساعدوا على نشر النشرات، وكتابة الشعارات العدائية على الحوائط، ونشر الشائعات التي تفتت في عضد الأعداء . وكانت هذه الوسيلة الوحيدة للنشر قبل اختراع المذيع^(٢) .

وقد نجحت دعاية الحلفاء في الأهداف الثلاث مما اضطر الألمان إلى الجتوح إلى السلم بعد أن صار موقفها الحربي غاية في السوء مما هدد بوقوع كارثة^(٣) .

٢- الحرب النفسية ما بين الحربين: إن فترة ما بين الحربين لم تُبرز إلا الحرب النفسية لألمانيا النازية، في داخل ألمانيا وفي خارجها.. إذ استخدم سلاح الدعاية بشكل منظم وعلمي.. وقد كان هتلر نفسه يشرف على الدعاية، بل هي من صنع يديه.

(١) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٢) الدعاية السياسية - لنديلي فريزر - ترجمة عبد السلام شحاته، الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٣٦-٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤ لزيادة التفصيل.

أما الدعاية في داخل ألمانيا فقد ركزت على نقاط هامة بنظر هتلر.. وخاصة وأنه ورث تركة شعب منهزم في الحرب، وهذه النقاط هي:

أ- تأكيد الذات والثقة بها.. وذلك عن طريق الدعاية بأن الجيش لم يهزم وأن الهزيمة قد كانت لعوامل أخرى غير اندحار الجيش.. وظل الألمان يرددون الشعارات المعبرة عن قوتهم ووحدتهم، ويعلقون على صدورهم الشعارات التي ترمز إلى هذه المعاني.. والقول بأن الجيش لم يهزم هو قول يرضى الشعور الكامن بتأكيد الذات.

ب - الخوف من المستقبل.. وذلك بتأكيد روح العداة للدول المجاورة : فرنسا وبولنده ونشيكوسلوفاكيا.. لأن هؤلاء يدبرون هجمات جديدة على ألمانيا من الشرق ومن الغرب بالإضافة إلى أن ألمانيا تعاني أزمة اقتصادية بعد أن حرمت من مستعمراتها.. وباعتبار أن النظرة للمستقبل مظلمة.. فما على ألمانيا إلا الاستعداد لكل طارئ، والنظر بريب إلى كل الدول المجاورة أنها العدو الأول لألمانيا.

ج - أن الرجل الألماني هو الرجل الأسمى (السوبرمان)، وهو البطل الذي لا يقهر، وأن ألمانيا تمتاز على سائر الدول بعلومها وصناعتها.. لذلك تعاديبها الدول الأخرى خوفاً من منافستها لهم في القوة العسكرية والاقتصادية.

وكانت كل غاية هتلر من التركيز على هذه النقاط هو الإعداد للحرب العالمية الثانية.

- أما خارج ألمانيا، فقد كانت الدعاية نشطة جداً، وقد كان أعظم سلاح استخدمته الدعاية الألمانية في الخارج في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هو المذيع . وتعتبر ألمانيا أول دولة استطاعت أن تنظم الدعاية بأسلوب علمي. وكان يشرف عليها الدكتور (جوبلز) وزير الدعاية وذلك في عام ١٩٣٩م قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية.

أما عن ثوجّه الدعاية الخارجية.. فقد كانت تُوجّه إلى الألمان الذين يعيشون في الخارج حتى تزيد فيهم الإحساس بولائهم لموطنهم الأول، وتوجه ثانياً إلى الأعداء اللدودين لألمانيا، بريطانيا وفرنسا.. وفي هذا المجال كانت تسم الدعاية في الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ م بالطابع العدواني وأثناء الحرب تميزت بالطابع الدفاعي وذلك للرد على النشاط المتزايد للدعاية المضادة^(١).

«والحق أن الدعاية المباشرة الموجهة للعدو هي سلاح محدود النفع، ومن الصعوبة بمكان أن يكتب لمثل هذه الدعاية النجاح المرجو، وتتوقف قدرتها في التأثير على مدى صدقها وعدم تضارب أقوالها وعلى فهمها العميق للحالة النفسية للجماهير التي تخاطبها. ولم يكن حزب هتلر يعرف شيئاً عن نفسية الجمهور المعادي، كما أن المبالغات التي صورت بها انتصارات الألمان المنتظرة والتي ساعد على انتشارها نجاحهم السريع في بدء الحرب، جعلت الناس يشكون كثيراً في صحة ما يقال»^(٢).

٣- الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية: كان للإذاعة دور مهم في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء أو دول المحور (روما - برلين - طوكيو) وذلك باستخدامها وسيلة من وسائل الحرب النفسية، حتى ظهر ما يسمى بـ «حرب الإذاعة».

ولقد حققت الدعاية الألمانية انتصارات ثلاث:

- ١- في المجال السياسي يجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والقومية.
- ٢- في المجال الاستراتيجي بأن تبدو كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة، وبذلك كانوا يجنون في كل مرة الفرصة للمضغ الجديد وازدراء ما يصفونونه.

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - لندي فيرر ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

٣- في الميدان النفسي (السيكولوجي) باستخدام « الذعر الكامل » يجعل الشعب الألماني نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة لإضافة الجماعات الحاكمة في دول أخرى ولتحطيم المعنويات، وتسبب عن ذلك ما يسمى « بالانهيار العصبي » للأسم، وذلك بإيقاتها دائماً في حالة شك وعدم يقين مما يمكن أن يحدث لها غداً^{١١}.

ونظراً لأهمية الحرب الألمانية أو الحرب النفسية، فلقد أنشأ لها هتلر وزارة خاصة بالدعاية والتثوير أو الإرشاد The Ministry Of Popular Enlightenment and Propaganda ، وعين وزيراً لها هو جوزيف جوبيل Joseph Goebbels واستخدما ما نطلق عليه اليوم الطريق السطحي في الإقناع Peripheral route من أجل إقناع الجمهور المستهدف من دعايتها. وفي بعض الأحيان كانا يتخاطبان عواطف الناس Emotions، كما اعتمدا على تكرار إطلاق بعض الشعارات Slogans ، ولم تكن هذه الدعاية نهتم كثيراً بالمبادئ الأخلاقية Ethics منجحة في ذلك بأن النصر هو أهم الأهداف وهو الانتصار « الكاسح » Swift victory ، كما كانت تذهب إليه دعاية النازية. ولكن في واقع الحال، انتهت بهزيمة منكرة ومن معها من دول المحور « إيطاليا واليابان ».

ومن هذه المبادئ المستخدمة في الدعاية الألمانية ما يلي:

١- الاعتماد على غربة أو تصفية المادة المراد إرسالها، بحيث تحقق الهدف النفسي منها، ومؤدى ذلك أنه لا يلزم بالضرورة سرد الحقائق كلها أو كما هو في الواقع Selective filtering of materials بل إن الواقعة الواحدة يمكن تجزئتها واستقطاع جزء واحد منها واستعماله.

ولقد تمكنت النازية من تحقيق ذلك بعد سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيرية أو وسائل الاتصال الجماهيرية Mass media ، وتشمل الآن الإذاعة والرائي (الثلفاز) الصحف والمجلات والدوريات والسينما والمسرح والمعارض والمهرجانات، بحيث لا يصل إلى الناس سواء في الداخل أو في الخارج إلا المعلومات «المفلترة» أو المفاة أو المصفاة والمختارة خصيصاً لتحقيق الأثر النفسي.

وسيراً في طريق السيطرة على الصحافة كان الصحفيون يتم اختيارهم بدقة شديدة من أصحاب الولاء للفكر النازي، وكانوا يخضعون للعقاب أو نيل الثواب والجزاء بصورة منتظمة، بناء على جهودهم في خدمة النازية، أو السماح لبعضهم بالاطلاع على بعض الحقائق أو القصص. وكانت صورة شائعة عن الشخصية النازية؛ صورة الجسارة والشجاعة والإقدام عن طريق عرض الشعارات والملصقات ذات القدرات العالية على جذب الانتباه، وكانت الرسائل الموالية للنازية تنتج مع برامج التلية الشيقة والمشهورة.

٢- نعملد إقناع الناس بأن انجلترا تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة، أو عدم الاستقرار السياسي.

٣- عرض الأفلام التي توضح اتفاق الشعب مع هتلر وسياسته.

٤- خلق صورة من مشاعر العظمة والسمو لدى الشعب الألماني Creation of grandeur ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض تم بناء استديوهات كبيرة واستخدمها لعقد اللقاءات والمقابلات بين الناس لإقناع الناس بأن للنازيين أصولاً ثقافية عريقة وقوية في الماضي وذلك لإقناع الناس بقوة النازية.

٥- تكوين جماعات من الشبيبة الموالية هتلر، يدينون بالولاء للنازية، وكانوا يتميزون بارتداء القمصان البنية اللون كشعار لهم.

٦- الاستفادة من حالة الخوف والإحباط التي توتبت عن خوض ألمانيا الحرب العالمية الأولى، والتي تركتها تعاني أشد المعاناة من الصعوبات الاقتصادية، وشعور

الناس بعدم الأمان حول المستقبل؛ ولذلك ابتكر هتلر فكرة أن اليهود هم نسيبوا في امتصاص الاقتصاد الألماني ومصادره أو منابعه، وبذلك لفظ المجتمع الألماني اليهود بينما توحد الشعب الألماني معاً.

٧ - استخدام الإذاعة أثناء الحرب العالمية الثانية، من طرفي النزاع على حد سواء بقصد إضعاف معنويات العدو. واستخدم النازي بعض الخونة من الإنجليز في الإذاعة، كما استخدمتهم اليابان لهذا الغرض. وتم استخدام هذه الإذاعات والبرامج الإذاعية إلى جانب إسقاط المنشورات والكتيبات والأوراق والصور من الطيران.

٨ - إثارة حرب الأعصاب التي كان النازي يشنها قبيل توجيه عدوانه نحو الشعوب الأوروبية بالإدعاء بأن الأقلية الألمانية في البلد المستهدف تم القبض عليها وأن الجيش الألماني يفت على أهبة الاستعداد للرد الصارم على ذلك. هذه الدعاية أو حرب الأعصاب كانت تستهدف إضعاف العدو، وجعله في حالة من الحيرة والتردد والانقسام على نفسه.

٩ - تصوير هتلر في صورة الأب العظوف والقائد الكفء والمحارب الفذ، وأن مشاكل الأمة تجدد حلها في الالتفاف حول هذا القائد العسكري الخبير. فكانت صورته كالأب المتواضع، وأن الشعب كله يقف من ورائه. كما يقال الآن في بعض المجتمعات «زعيم الأمة» أو «حبيب الشعب» «راعي الشباب» «نصير الحق». ركزت جهودها لمقاومة أو مكافحة دعاية الأعداء، ولخفض معنويات القوات المسلحة الأنانية والإيطالية واليابانية، والنيل من معلومات المدنيين، وفي الوقت نفسه كانت تعمل هذه الدعاية لتغوية الروح المعنوية في الداخل، وتقوية الدوافع نحو الحرب^(١).

(١) انظر: د. عبد الرحمن محمد العيسوي - الحرب النفسية دفاعاً وهجوماً، مجلة المجتدي المسلم - العدد ١١١ في ١/٤/٢٠٠٣م.

وقد استخدمت بريطانيا الإذاعة أيضاً في حربها الدعائية، ولكنها تتميز كما يقول نندلي فريزر الدعائي العملي « بأنها التزمت جانب الصدق في بثها.. لأن العالم كان قد أيقن بأن الدعاية التي أساسها الكذب ستودي في آخر الأمر بالغايات التي تهدف إلى تحقيقها»^(١).

أما أن الإذاعة البريطانية التزمت بالصدق، فهذا الإدعاء يحتاج إلى دليل، إذ إن رجال هذه الإذاعة وحتى اليوم يدعون ذلك وأنها موضوعية في بث أخبارها وتعليقاتها إلا أن تجربة المسلمين مع هذه الإذاعة عرفتهم كيف أنها في كثير من مواضعها « تدس السم في الدسم » وإن جاءت بخبر لا تائي به كاملاً، أو أن تصوغ الخبر بشكل يتلاءم مع تصورهما وسياستها المصلية.

وسرجع « فريزر » نفسه فيقول : « فإن الحقائق يمكن أن تعرض بأسلوب شيع فيه التفاؤل أو يشوبه التشاؤم ، بحيث يثير تعليقات معينة في كل حالة، وقد حاولت الإذاعة البريطانية أن تسلك هذا المنهج ».

إذاً يمكن للإذاعة البريطانية أن تتلاعب بالحقيقة كيفما تريد، وما يخدم مصالحها .. فأين الصدق والتزامه؟.

وإن الدور الذي أدته الإذاعة البريطانية في الحرب العالمية الثانية كان كبيراً جداً وخاصة فيما يتعلق بالرد على دعاية ألمانيا النازية، إذ كانت تعرض المسائل بطريقة أكثر حيوية. فأخرجت زعماء النازية باستمرار، وذلك حين أظهرت مبالغاتهم وعدم تماسك أقوالهم وعجزهم في إنجاز وعودهم. بالإضافة إلى أنها كانت تحتفظ

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم ص ٥٩.

انظر: أيضاً الفصل الثالث - البحث الثاني : « الدعاية الغربية » فقرة أسلوب الدعاية الغربية للاطلاع على دور الإذاعة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية وفي الوقت الحاضر - وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

بتسجيلات صوتية لجميع الخطب العامة التي ألقاها أولئك الزعماء في الاجتماعات العامة .. وبواسطتها تعمل على تذكير المستمع بصفة دائمة بحقيقة الزعماء النازيين، واستخدمت تلك الطريقة للكشف عما وراء الدعايات الألمانية المغالية، وكان هدف النشاط المبذول - في الرد على الدعاية المضادة هو الخط من شأن العدو.

واستطاعت الإذاعة البريطانية بأَساليبها الملتوية اكتساب الألمان أنفسهم للاستماع إليها، وذلك بإذاعة أسماء الأسرى الألمان الذين وقعوا في قبضة الحلفاء، مع ذكر بيانات من صحتهم والإصابات التي أصيبوا بها، والإشارة إلى ما يلقونه من علاج في المستشفيات وهذا ما ساعد على سرعة انتشار هذه الأخبار في أنحاء ألمانيا بعد ساعات من نشرها^(١).

ولم تكن الإذاعة البريطانية وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل كانت الإذاعة الفرنسية أيضاً تعمل إلى جنبها في بداية الحرب إلى أن سقطت بيد الألمان، وأيضاً الإذاعة الأمريكية تعاونت معها منذ عام ١٩٤٢م - وكانت هذه الإذاعة ترسل من داخل الولايات المتحدة، ثم أنشأت محطة إرسال بعد غزو النرويج بوقت قصير عام ١٩٤٤م عرفت باسم « محطة الإذاعة الأمريكية لدول أوروبا » واتخذت من لندن مقراً لها.

ولم يقتصر الأمر على الإذاعة وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل استخدمت السلطات البريطانية المطبوعات أيضاً باعتبارها وسيلة قيمة للدعاية بالإضافة إلى النشاط الإذاعي . وهكذا ألفت المنشورات التي أعدت في لندن داخل أقليم العدو عن طريق البلاد المحايدة مثل سويسرا والسويد، وبعد انقطاع المواصلات أثناء الحرب أُنشئت المنشورات عن طريق البحر فوق الأقاليم التي احتلتها ألمانيا، وقد

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم: ص ٦٨.

سميت في وقتها « حرب القصاصات »^(١). أما ما تتضمنه هذه النشرات فهو ما يتردد في الإذاعة من إشارة إلى تزايد قوة الحلفاء والسخرية من الحزب القومي الاشتراكي « النازي » والنهكم من تأكيدات ووعوده بالنصر التي أثبتت الأيام كذبها. ثم الإشارة إلى ما في أقوال الزعماء من تناقض.

وقد زادت قيمة هذه النشرات أو القصاصات، وذلك بعد دخول الولايات المتحدة الحرب، وتوحيد جهود الدعاية بإنشاء منظمة مشتركة لهذا الغرض أطلق عليها: لجنة الشؤون النفسية (السيكولوجية) للشؤون الحربية. فصارت المطبوعات في خدمة الغابات العسكرية المباشرة، ووزعت النشرات والقصاصات في الجهات الحربية العسكرية المباشرة ولوحظ أن ثلاثم مائتها الجمهور الذي توجه إليه، وهذا الجمهور هم جنود العدو اللين يقاتلون في الميدان.

والغرض النهائي الذي هدفت تلك المطبوعات إليه هو بث اليأس في قلوب جنود الأعداء وحلهم على الاستسلام أو الهرب، إذا كان ذلك ممكناً. واستخدمت براهين مختلفة لإقناع الجنود بذلك، فهي تشير إلى أن النصر النهائي معقود للحلفاء. وكلما أدرك الجندي الألماني أو الإيطالي هذه الحقيقة فإنه سيتوق لعودته سريعاً لأسرته، وأنه لا خيار أمامه فهو أمام أمرين: الاستسلام أو الموت.. وتشير النشرات إلى مدى تناقض وجبن وخيانة القواد الألمان.. ولكي تدفعهم هذه النشرات إلى الاستسلام فهي تظهره بأنه ليس عادراً مخزياً إذا كان هذا الاستسلام في الظروف الميؤس منها، ومن حق الجندي الألماني الذي يستسلم حسن المعاملة المكفولة بمقتضى اتفاقيات جنيف الدولية. وكان لهذا القول الأخير أثره الفعال في نفسية الجنود الأعداء مما دفع عدداً منهم إلى الاستسلام وذلك في شمال إفريقيا من قبل

(١) مجلة المنار من (روبرت دايجمست) آذار (مارس) ١٩٤٤ مقال بعنوان (حرب القصاصات).

معسكرات الإيطاليين، وإن كان من الصعب الإحصاء بدقة للمستسلمين من الجنود الذين توجه إليهم الدعاية ولا تتوافر إحصاءات تبين أسباب استسلامهم^(١).

وهكذا نجد أن الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية استخدمت سلاح الدعاية بوساطة الإذاعة والنشرات من قبل دول المحور ومن قبل الحلفاء وكانت ذات أثر فاعل ومؤثر في نفسية الجنود.. وهو ما تصبو إليه هذه الحرب.

فالأ : صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

(١) صور من الحرب النفسية الصهيونية: سنذكر مفصلاً أسلحة الحرب النفسية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة.. أما موضوع هذه الفقرة فإننا نعرض وبشكل مختصر صوراً من الحرب النفسية التي تشنها الصهيونية العالمية على العالم أجمع بعامة وعلى العرب والمسلمين بخاصة، من قبل اغتصاب فلسطين وحتى الوقت الحاضر، فمن هذه الصور:

(١) نشر الأساطير والشائعات الصهيونية وتكرارها بوسائل الإعلام حتى تصبح حقائق بزعمهم - مثل الهولوكوست- وما نتحدث عن مذبحه أو حرق ٦ ملايين يهودي على أيدي النازية في الحرب العالمية الثانية^(٢) وشائعة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»^(٣).

(٢) تلميح صورة اليهودي، وإظهاره أنه العبقري المتفوق، وأن الجندي الإسرائيلي هو الجندي الذي لا يقهر، وأثبتت الأيام أن اليهودي إنسان كغيره من الأناس ليس لديه أي تميز، بل إنه إنسان جبان في المعارك.

(٣) تشويه صورة الإنسان العربي - وهي صورة يرددها الإعلام الغربي كافة وليس الصهيوني فحسب، فهم يصورون الإنسان العربي بأنه إنسان متزو ومنذفع

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: كتاب حارودي « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»، وصحيفة «الاندبنت الإنكليزية في ١٦ / ٥ / ٢٠٠٤ م.

(٣) المرجع السابق.

وراء شهواته، عنجهي لا يقسم وزناً لأبي مثل، متخلف، جاهل، عاجز عن استيعاب مبادئ المساواة، انفعالي، عدواني، إرهابي، وتهمة الإرهاب هذه تكررست وفق أسس بحثية علمية تعد أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة « الحشاشين»^(١) وأن هذه الجماعة هي التي اخترعت الإرهاب.

(٤) التضليل الإعلامي.. وأخطر صورة:

- اليهودية هي فومية (بدليل أن إسرائيل وطن فومي لليهود) أما العروية فهي ديانة (بدليل أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية).
- أن (إسرائيل) تملك تاريخاً وأنها أسبق من العرب في ملكيتها للأرض.. مع العلم أن (إسرائيل) تحقفي المخططات التاريخية، وتمنع المؤرخين من مجرد الإطلاع عليها.

- أن (إسرائيل) تحمي مصالح الغرب وهي بمنزلة الخادمة لمصالحه.

(٥) نشر شائعة اللجوء: أطلق الكيان الصهيوني شائعة مازال يرددها حتى اليوم، وقوامها أن الفلسطينيين لم يهربوا من الإبادة في مذابح كفر قاسم ودير ياسين وغيرها.. بل إنهم تركوا أرضهم بناء على أوامر الجيوش العربية التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب^(٢).

(١) صحيفة الأندلندت (مرجع سابق). والحشاشون لقب أطلق على فرقة من غلاة الإسماعيلية، هم التزاريون الذين استغلوا في قلعة الثوت بقيادة الحسن بن الصباح (١٠٩٠م) اشتهروا بتنظيمهم السري وتبليغ الاغتيالات.. حاربوا السلاجقة واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير نظام الملك في نيسبور (١٠٩٢م). عُرف خلفاء الحسن بن الصباح بشيوخ الجبل، اتسع نطاق دعوتهم فبلغ بلاد الشام واستولوا على قلاع مصياف وقدموس (١١٤٦م) قفى عليهم في فارس هولاكو (١٢٥٦م) وفي سورية الظاهر بيبرس سلطان المماليك (١٢٧٢م).

(٢) المرجع السابق.

٦) تفكيك العالم العربي وتمزيقه، وبدا هذا واضعاً من الوثيقة التي نشرتها مجلة (كيفونيم) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية^(١)، وعنوانها: «إستراتيجية إسرائيلية للشاماتينات»، وقد نشرت باللغة العبرية ويتضمن بعض نصوصها:

أ. تقسيم العراق وسورية ولبنان ومصر والسودان والجزيرة العربية إلى دويلات طائفية.

ب. على الرغم من الصورة القائمة للسلول حول إسرائيل وتشكل تحديات وأخطار ومشكلات، ولكنها تشكل فرصاً عظيمة.

ج. إن الدول الأبعد عن إسرائيل مثل المغرب والجزائر والسودان وليبيا سوف لا يكون لها وجود بصورتها الحالية.

د. إن العراق يشكل خطراً على إسرائيل لأنه الأقوى في العالم العربي، لذلك يجب تقسيمه وتفكيته إلى مقاطعات إقليمية طائفية؛ دولة في البصرة ودولة في بغداد ودولة في الموصل وهكذا تنفصل المناطق الشعبية عن الشمال السني الكردي.

هـ. من غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبه الحالية لفترة طويلة، إن سياسة إسرائيل - إما بالحرب أو بالسلم - يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية.

و. إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يودان البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لن يكون لهم وجود ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر، وإن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط.

٧) تيسر العرب من أي انتصار على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر، وقد صرح بهذا أحد وزراء العدو الصهيوني^(٢) بقوله: «إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب بائسين تماماً من مقترتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي».

(١) تم ترجمة الوثيقة إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعة عن المنتهين في قضية تنظيم ثورة مصر عام ١٩٨٨م.

(٢) انظر: إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماعات ص ٣٣١ وانظر الدعابة اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٨) ومن الصور الأخرى التي ستذكر في الفصل الثالث في قوة الدعاية اليهودية بشكل مفصل:

- إسرائيل تمثل حلقة الوصل بين العرب والغرب، وأنها الوحيدة التي تحقق مصالح الغرب في الشرق.

- أن إسرائيل حامية الشرعية والفاضية على الإرهاب في المنطقة.

- إسرائيل حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب.

- إسرائيل دولة عصرية متقدمة تقنياً.

- العرب منخلفون حضارياً وعلمياً وتقنياً.

- تحوير الفكر والثقافة الإسلامية في كتب التعليم داخل الأرض المحتلة.

- التغلغل داخل الكنائس النصرانية واستخدامها لتنفيذ مخططاتها.

- استخدام وسائل الإعلام المتعددة بشكل متقن.

- استخدام السينما والأفلام في الحرب النفسية.

- اعتبار مبدأ معاداة السامية السيف المسلط على كل معارض للصهيونية.

(٢) صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م.

• استخدام الدعاية الرمادية.

- ركزت الحرب النفسية في هذه الفترة على الدعاية.. إما لتمجيد الحاكم أو

للقضاء على الخصوم، وكانت الإذاعة هي الوسيلة الإعلامية المفاعلة في هذا

المجال.. وكان تلميع الحكام بالمشاريع الخيالية، والإحصاءات الكاذبة، والأعمال

البطولية.. الباطلة.. وهدف الدعاية التأثير على سلوك الأفراد وتزييف وعيهم،

بحيث يصبح الحاكم الفرد الوحيد الملهم في الشعب.

ولعل الإنسان العربي الذي عاصر إذاعة « صوت العرب » في الخمسينات وما بعدها ومعلقها المشهور « أحمد سعيد » يدرك الدور الذي قامت به بعض الإذاعات العربية من تحدير للعرب والمسلمين.

- أما الحرب النفسية ضد خصوم الحناكم ومعارضيه فيوضحها (مايلز كوبلاند)^(١) في كتابه « لعبة الأمم » كيف أن حاكم مصر في تلك الفترة حارل القضاء على خصومه بالدعاية السوداء فلم يفلح ، لأن خصومه كانوا يتمتعون بسمعة جيدة في جهاد المستعمر الإنكليزي في قناة السويس، وجهادهم اليهود في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد امتشازة خبراء الدعاية نصحوه باستعمال « الدعاية الرمادية» أو « الدعاية السمراء » وهو مدح العدو بقصد التشهير به لدى أنصارهم في الرأي العام العربي والمصري، والذي يقوم بالمدح هو عدو البلد (إسرائيل) ، واستطاع رئيس المخابرات الأمريكية في تلك الفترة (فناع إسرائيل) للقيام بهذا الدور.. وبدأت فعلاً في مدح القوى المعارضة للحاكم.. وتشويه سمعتها داخل الشعب المصري؛ حيث إن ما يمدحه اليهود ، إذاً هو عميل لهم، وشاركت في الدور إذاعة موسكو أيضاً كما يقول المؤلف، لذا^(٢). أي أن المؤلف لا يعرف دوافع موسكو في هذه الدعاية!!

(٣) صور من الحرب النفسية في حرب الخليج الأولى^(٣):

- بدأت هذه الحرب في عام ١٩٩١م بين قوات التحالف الأمريكية والجيش العراقي ..

(١) مايلز كوبلاند من رجال المخابرات الأمريكية في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م - ومؤلف أيضاً كتاب (لاعب اللعبة).

(٢) انظر كتاب لعبة الأمم، ص ١٥٦. وكتاب: (الديبلوماسية والمكياجيلية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً ١٩٤٧ - ٢١٩٦٧) للدكتور محمد صادق.

(٣) المرجع السابق.

ومن صور الحرب النفسية الأمريكية ضد الجيش العراقي يومها:

١- استخدام مكبرات الصوت من قبل إحدى الوحدات الصغيرة للقوات الأمريكية - أطلقت فيها أصوات الحوامات والذبابات من خلال شرائط مسجلة، من أجل الإيحاء للجيش العراقي بأن إمكانيات الوحدة أكبر بكثير من حقيقة الأمر.

٢- قامت قوات التحالف - وعلى مدى سبعة أسابيع متواصلة - بإسقاط ٢٩ مليون منشور على هيئة ١٤ شكلاً مختلفاً، وصلت إلى ٩٨% من الجيش العراقي ، تقوم بعضها بتهديد الجيش العراقي، وتوعده في حال عدم الاستسلام ، وفي بعضها الأخر تذكر الجنود العراقيين بالأهل وأنهم ينتظرون عودتهم. كما كانت بين تلك المنشورات واحد على شكل (دينار عراقي) سهل إخفاؤه داخل أي محفظة، وقد أكدت القوات الأمريكية أنه من يأتي إليها من العراقيين حاملاً ذلك المنشور فسوف يجد لديهم الملاذ الآمن^(١).

٣- إذاعة شبكة صوت الخليج - وتعد من أهم إنجازات القوات الأمريكية الخاصة بالعمليات النفسية في حرب الخليج، والتي استمر إرسالها - دون انقطاع - في الفترة من ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١م إلى ١ نيسان (إبريل) ١٩٩١م، وكانت الشبكة مكونة من عدة أجهزة إرسال داخل إحدى دول الخليج بالإضافة إلى الإرسال من طائرتين من طراز EC - ١٣٠ Volant sofa .

(٤) صور من الحرب النفسية في العراق:

- يبدأ العدوان الأمريكي البريطاني على العراق فجر يوم الخميس ٢٠/٣/

٢٠٠٣م.

(١) ومن طرق إسقاط المنشورات (قنبلة المنشورات) والتي يتم إسقاطها من إحدى الطائرات، ثم تنفجر القنبلة في الهواء بعد اعتمادها عن الطائرة قليلاً، لتفتح الصندوق الداخلي المحتوي على المنشورات، ومن ثم تنتشر إلى مسافات بعيدة.

- قبل عرض صور الحرب النفسية التي شنت على الجيش العراقي والشعب عامة، نقول مع المفكر الفرنسي جان بودريار : « إن حرب الخليج الثانية انتهت قبل أن تبدأ » وكان يقصد بذلك أن الإستراتيجيات الإعلامية الأمريكية اشغلت على البنية النفسية للقيادة والجيش العراقي، وأفلحت في تفكيكه قبل أن تشتغل فوهات المدافع ونهمر الصواريخ العابرة على المدن العراقية بلا رحمة^(١).

- وأن وسائل الإعلام قامت بدور فاعل في هذه الحرب، في تبييط معنويات القوات العراقية والشعب العراقي، بالإضافة إلى التضليل الإعلامي المركز حيث تسوغ الحكومة لشعبها بوصف الحرب على العراق بالحرب « العادلة » و« لا مفر منها حفاظاً على الأمن القومي الأمريكي » ومن ثم يسمونها « دفاعية » وتصح « وقائية » من خطر محتمل قد يأتي من « أسلحة الدمار الشامل » العراقية المزعومة، ثم وصلت إلى الحرب على « الإرهاب » وغيرها من الدعايات التي تتحكم فيها الترسانة الإعلامية الأمريكية^(٢).

- ومن التضليل الإعلامي وتزييف الوعي لدى الناس جميعاً، إخفاء الهدف الحقيقي من الحرب على العراق، وهو تدمير القوة العراقية الثنافية والتي تشكل خطراً حقيقياً على الكيان الصهيوني، بعد ضرب المفاعل النووي العراقي من قبل الطائرات الصهيونية، حيث أصبح لدى العراق أكثر من سبعين مصنعاً حروبياً لتصنيع الصواريخ، والمدافع والطائرات دون طيار، بالإضافة إلى تدمير تاريخ وحضارة العراق الإسلامية.. وحتى يكون نموذج العراق العلماني الذي ينور تشكيله هو النموذج المتبع في العالم العربي بخاصة.. بعيداً عن الإسلام والشريعة الإسلامية.

(١) انظر: د. محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق - مركز الدراسات النفسية بيروت/ أيار ٢٠٠٣م، وكذلك وليد الكردي - سيكولوجية الاحتلال الأمريكي - شبكة الإنترنت للإعلام العربي في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق.

- ومن الصور الملاحظة للحرب النفسية في العراق:

- ١- إغراق عناوين المسؤولين العراقيين السياسيين والعسكريين برسائل (فاكسات) من قبيل : « تعرف أين أنتم .. الهزيمة ستكون من نصيبكم».
- ٢- إسقاط المنشورات عبر الطائرات قبل وأثناء العمليات، تدعو العراقيين إلى التعاون مع قوات التحالف وعدم الخوف من النظام.
- ٣- استخدام الإذاعة وبث الأخبار التي تبث الرعب في النفوس، وذلك لقلّة وجود أجهزة الإعلام المرئية (التلفاز) والفضائيات في العراق.
- ٤- استخدام الشائعات: مثل شائعة الخيانة التي تلتصق بكبار ضباط الجيش العراقي، وشائعة استسلام ألوية الجيش - وشائعة المقابر الجماعية وكراهية نظام الحكم السابق، وشائعات كثيرة استخدمت لإحراق الهزيمة النفسية للجيش والشعب العراقي، ويظهر هذا واضحاً في سقوط المدن والقرى دون أي قتال حيث كان يعلن الجيش الأمريكي عن احتلال المدينة أو القرية ويتم سقوطها فعلاً بعد ذلك دون أي مقاومة لانتشار الشائعة بين الناس عن سقوطها قبل ذلك^(١).

(٥) صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني:

بدأت الحرب النفسية على الشعب الأفغاني قبل بدء الضربات الأمريكية، وبشكل دقيق في ٨/١٠/٢٠٠١م، ومن صورها:

- ١- إسقاط ٣٧٥٠٠ عبوة من المؤن الغذائية للشعب الأفغاني !! وذلك لأجل تأييد المجتمع الدولي، وكذلك الشعب الأفغاني الفقير الجائع، وخطيب يومها بوش قائلاً: « إن الشعب الأفغاني المقهور سوف يعرف كرم أمريكا وحلفائها عن طريق

(١) د. محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق (مراجع سابق).

- وانظر مجلة الدفاع - الرياض - الحرب الأمريكية على العراق . عبر تداعيات للعميد الركن مطلق بن سالم الأزيمع - (العدد ١٣٢ - في ١/١١/٢٠٠٣م).

إسقاط مؤن غذائية وأدوية وتجهيزات لجوعى أفغانستان من الرجال والنساء والأطفال أثناء قيام الجيش الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية داخل أفغانستان»^(١).

٢- إسقاط منشورات أمريكية تظهر « أن الولايات المتحدة صديقة للشعب الأفغاني كما أنها صديقة لأكثر من مليار مسلم حول العالم»^(٢).

٣- إذاعة برامج إذاعية من طائرات Ec- ١٣٠F Commando تحت الشعب الأفغاني على دحر الإرهاب والقضاء على طالبان والقاعدة اللتين اتهمتا بموادت (١١ أيلول) في الولايات المتحدة الأمريكية^(٣).

٤- إعلان الحكومة الأمريكية توفير ٣٥٠ مليون دولار أمريكي إعانة للاجئين الأفغان لتحسين صورته، وإظهارها بصورة الصديق الذي يسعى لإعانة صديقه وقت الشدة.

٥- إسقاط أعداد هائلة من أجهزة الراد (الرايو) للاستماع إلى إذاعة البيانات والبرامج الأمريكية بلغة الشعب الأفغاني^(٤).

(١) من خطب الرئيس بوش الابن خطب الضربات الأولى لأفغانستان.

(٢) جزء من خطاب بوش الابن أيضاً ، كما جاء في تقرير مجلة جينز العسكرية في تصريح لوزير الدفاع أنه قد تم بالفعل ، وقيل الضربات الأمريكية على أفغانستان شن ما يعرف بالعمليات النفسية Psyops داخل أفغانستان من خلال إسقاط منشورات أمريكية للشعب الأفغاني (انظر د. نادية الموضي - الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني - في ١٣ / ١٠ / ٢٠٠١م - موقع اسلام أون لاين -).

(٣) المرجع السابق

(٤) إذاعة (جي بي سي) البريطانية ، في اليوم الثاني للهجوم الأمريكي على أفغانستان (انظر: المرجع السابق).

(٦) صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة.

هذه الصور ليست هي بنت ليلتها، أي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م - ولكن هذه الأحداث فعلتها وأسرعت من وثيرتها، ومذكر بإذن الله إستراتيجية الغرب عامة وأمريكا خاصة في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الدراسة .. أما في هذه الفقرة فإننا نبين بإيجاز صور هذه الحرب التي أصبحت ممارساتها واضحة لكل ذي بصيرة .. على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وهي:

١- الحرب على الإسلام تحت عنوان الحرب على الإرهاب .. (تم تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة).

٢- عولمة الرعب .. حرب أمريكا الجديدة. هذه الصورة للحرب النفسية هو عنوان لكتاب (ليوسف الأشقر - بيروت ٢٠٠١م) حيث يعدها المؤلف « مشروع نظام عالمي سياسي - عسكري واقتصادي وثقافي، من الممكن والنواجب إسقاطها وإيقافها، إذ إنها من الماضي المتخلف الذي أصبح خطراً، فهي تسليح بشرة الوسائل لتتحم الحاضر والمستقبل وتحاربها بسلاحها»^(١).

٣- إرهاب الدولة باستعراض القوة العسكرية، وذلك للهيمنة على الدول الأخرى. يقول شالمرز جونسون، في كتابه الجديد (٢٠٠٤م) الذي يحمل عنوان: « محنة الإمبراطورية »: « منذ أن قررت الولايات المتحدة ترميخ تفوقها العسكري على العالم أصبحت (أي الولايات المتحدة الأمريكية) تقف وحيدة: تثير الخوف والكراهية، فاسدة وتنتشر الفساد، تفرض « النظام » - بزعمها - باستعمال إرهاب الدولة تارة وبالرشوة تارة أخرى، وكذلك غرقت في شعارات إعلامية جنوبية وزائفة، وسلوكها هنا فهي تسندعي تكاتف العالم ضدها»^(٢).

(١) انظر مراجعة للكتاب - موقع: الإسلام اليوم - ٢٢/١٢/١٤٢٥هـ.

(٢) عرض الكتاب: د. محمد عبد المنعم - مجلة المجتمع - العدد ١٦٠٣ - ١٠-١٦ ربيع الآخر

- ٤- العولمة والهيمنة على العالم (انظر الفصل الرابع) .
- ٥- دعم النوجهات الحداثية والعلمانية في العالم الإسلامي (انظر الفصل الرابع).
- ٦- السيطرة على الإعلام (انظر الفصل الرابع..).
- ٧- الاقتصاد : هذه الصورة من الحرب النفسية تجمع صوراً متعددة منها:
- الحصار الاقتصادي وما يتبعه من بطالة وفقر في الدول الأخرى.
 - تجريد الأرصدة والممتلكات (لن يخالفها).
 - القروض والمساعدات (الرشوة للدول المتعاونة معها).
 - تزوير العملة..
 - العقود التجارية الخاصة^(١) .
- تعد الحرب الأمريكية على العراق وما سبقها أفضل نموذج للصورة المطلوبة.
- ٨- إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة - وهذه تشمل بؤر التوتر في الحدود حيث إن الاستحمار قبل أن يرحل عن العالم العربي ترك بؤراً متوترة على الحدود يثيرها عند النزوم^(٢) .
- ٩- القضاء على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي بحجة تمويل الإرهاب.
- ١٠- التلاعب بالعقول - حيث يقدم الوعي جاهزاً ومعلباً.
- شاكّد هذا الأمر بعد حرب الخليج الأولى والثانية ، حيث اجتذبت وسائل الإعلام الأمريكية الموهوبين للعمل في الإعلام والتضليل ، وبصفة ما يشاع من

(١) انظر : الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد - د. سعد العبيدي - مجلة دنيا العدد ٥٥ ذو الحجة ١٤٢٦هـ (آذار - ٢٠٠٦م).

(٢) المرجع السابق.

النفزيون الأمريكي أنه منارة ديمقراطية ثقافية، وأمام الضغط الإعلامي لا يجد الجمهور فسحة للتأمل والتفكير والتحليل، لذلك يقدم إليه الوعي جاهزاً - ولكنه وعي مبرمج ومُعد باتجاه مرسوم^(١).

١١ - استهداف العقل القاعل للشباب. والشباب في كل أمة هم قوتها الضاربة. فصحتهم البدنية والنفسية وسلامة تفكيرهم، فضلاً عن قوة إيمانهم وعفديتهم.. تعزیز لهذه القوة.

وإلى هذه القوى يحاول العدو الاختراق بوسائل متعددة .. منها الغزو الفكري، والتشكيك بالمعتقدات، وإفساد الأخلاق بالمخدرات، والأفلام الجنسية... وغير ذلك.. وزاد هذا الاختراق بالفنون الفضاوية المتأمركة في العالم العربي والإسلامي^(٢).

١٢ - عزل المجتمع العربي عن الإسلامي .. تشكل المجتمعات الإسلامية عمقاً إستراتيجياً للمجتمعات العربية، حيث تتقارب المشاعر وتحدد العقائد والأمال والآلام.. وهذا التقارب يزعم النظام العالمي الجديد، وهو غير مرغوب فيه، لذلك تركزت الحرب النفسية الأمريكية إلى تكوين أهداف مختلفة وزرع الفتن بين الدول، واتباع سياسة فرق تسد لإضعاف المجتمعين سوية^(٣).

١٣ - تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع الإسلامي، ويظهر هذا واضحاً في الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق والقوى العسكرية التي ترسلها هنا وهناك، والقواعد العسكرية الضخمة التي تبنيها في العالم العربي

(١) انظر: هيربرت شيلر - المتلاعبون بالمقول - نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت - ط ١٩٩٩ م - وكذلك انظر موقع: الإسلام اليوم - قرأة للكتاب في ١٤٢٤/٤/٤ م (٤/٦/٢٠١٣م).

(٢) انظر: الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد (مرجع سابق).

(٣) المرجع السابق.

والإسلامي ، بل في العالم أجمع .. كلها هدفها بث الإحباط في المنطقة والشرق الإسلامي ، ونيتهم من مقاومة مخططات الولايات المتحدة في المنطقة^(١).

١٤- الحرب السياسية، وهي مرادفة للحرب النفسية .. وهي تهدف:

- تدعيم قوة المعارضة في الدول التي لم تهيمن عليها للوصول إلى الحكم، أو إضعاف القوى المنافسة.

- معاونة الدول الواقعة تحت سيطرتها مادياً.

- الانقلابات العسكرية .. حيث تأتي بحكومة ديكتاتورية (على الرغم من مناداتها بالديمقراطية) لتنفيذ سياستها في المنطقة - والأمثلة كثيرة في هذا المجال^(٢).

١٥- استخدام المخابرات الجاسوسية: الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات: تعني مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعمل بالوقت نفسه على مكافحة عملية التجسس أو التخريب المعادية.

وكان دور (السي أي إيه) وهو جهاز المخابرات الأمريكي، فاعلاً في كل الحروب التي خاضتها أمريكا في العالم الإسلامي (أفغانستان، حرب الخليج الأولى، حرب العراق) حيث هي موجودة في العالم الإسلامي تحت غطاء مهني قديم، أو بصفة رجال أعمال، أو طلاب، أو صحفيين ، أو مبشرين ، أو أطباء، أو عمال، أو خدمات بيوت، أو على شكل سياح أو أماندة ، أو ممثلين أو شحاذين، أو شرار نفوس ضعيفة^(٣).

(١) انظر: حسين العسكري السندهم - المخططات الطروحة: حرب نفسية لبث الإحباط في المنطقة العربية . مجلة البيان - ٢ شوال ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر كتاب « لعبة الأمم » مايلز كوبلاند.

(٣) د. حنان الخيس - علم المخابرات الجاسوسية، ٩/١٠/٢٠٠٤م.

١٦- أساليب (السي آي إيه) في التعذيب النفسي والجسدي: إن ما تناقلته وكالات الأنباء والفضائيات من وقائع وصور عن ما يجري في سجن (أبي غريب) في العراق، ومن سجن (غوانتانامو) في كوبا، لتفشع منه الأبدان من وسائل التعذيب والقتل، مما يندى له جبين الإنسانية إن بقي فيه من ندى.. ونذكر هذه الأساليب على سبيل المثال لا الحصر^(١): وكذلك ما حدث من تدنيس القرآن الكريم في غوانتانامو وفي دولة يهود لإذلال المسلمين في إهانة أقدس مقدساتهم ومع هذا لا يستطيعون فعل شيء؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الاعتقال لمدة طويلة دون محاكمات، وهذا ما يثمر القلق النفسي والذهني والشعور بعدم الأمان.

- أسلوب الإكراه ويهدف إلى إحداث حالة من الانكفاء والضعف والزردي النفسي، وفقدان التحكم على الذات، وانهيار الشخصية، وفقدان القدرة على القيام بأي نشاط فكري مما يؤدي إلى الإحباط التام.

- الحبس الانفرادي كوسيلة للضغط على الشخص، حتى يتحول السجين إلى كراهية الأحياء عامة، وإلى الهلوسة والإرهاب والتخيلات.

- استخدام الوسائل الكهربائية على المنطقة الحساسة من الجسم.

- الاغتصاب وضرب النساء.

- التنويم المغناطيسي.

- الحرق بالنار.

- استخدام الكلاب .. إلخ.

وكلّ هدف المخابرات هو الإذلال وفهر الإرادة، ليس للسجناء فقط بل لكل الحكام والمجتمع المسلم.. لذلك كان رد الفعل هزياً، لأن الإحباط سيطر عليهم وكذلك التخاذل واليأس نتيجة لكسر الإرادة.

١٧- الحرب الباردة الثقافية: هذه الصورة للحرب النفسية الأمريكية، هي عنوان كتاب، ومؤلفته الباحثة الأمريكية: فرانسيس ستوفر سوندرز^(١).

يفضح الكتاب زيف الادعاءات التي عاش عليها أجيال الحرب الباردة، ولاسيما في عالمي الفنون والآداب، حيث بصاب الفارئ بالصدمة حين يعلم أن رواد الحداثة الغربيين أمثال سارتر وأورويل، ورسول، وستيفن سبيلر وغيرهم لم يكونوا سوى أبقاق لجهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) الذي استطاع صناعة فضائح أدبية وثقافية من خلال تقديم الرشاوي والأموال لهؤلاء وغيرهم، خدمة للأهداف الأمريكية المتمثلة بمحاربة المد الشيوعي.

ويذكر الكتاب الواقع في ٤٥٧ صفحة أن عام ١٩٤٧م كان بداية النشاط الأمريكي لهذه الحرب الثقافية الباردة، حيث استطاع جهاز (CIA) إنشاء مؤسسات ثقافية ومجلات أدبية لتسويق مخططات الجهاز.

ويتحدث الكتاب عن رابطة حرية الثقافة التي أنشأها جهاز (CIA)، وكان أول مكاتبها في العالم العربي، في لبنان ثم في مصر، وعلى سبيل المثال يؤكد الكتاب أن مجلة « حوار » العربية الصادرة في القاهرة، وقيلها مجلة « شعر »، ١٩٥٧م، من نتاج هذه الرابطة.. بمعنى أن ما انحرفنا به نقاد وشعراء وأدباء ومفكر وما سمي بالحداثة والشعر الجديد المستنير كان زائفاً ويعبر عن رؤية أمريكية خالصة.. ويكفي أن نعرف أن دعاة « الحداثة » العربية على الطريقة الأمريكية اعتبروا كل استلهام للتراث العربي والإسلامي نوعاً من التخلف، وأن الشعر والأدب والفكر ما لم يحاكي التصورات الغربية هو الجهل بعينه.. ومع الأسف كان الوصول إلى هذه الحقائق جاء متأخراً وبلسان غير عربي أيضاً.

(١) ترجمة طلعت الشباب - نشر المجلس الأعلى للثقافة - مصر ٢٠٠٢م عرض الكتاب: محمد عبد الفتاح - في موقع الإسلام اليوم في ١١ ذي الحجة ١٤٢٢هـ (١٢/٢/٢٠٠٣م).

الفصل الثالث

أسلحة الحرب النفسية

المبحث الأول - أسلحة الحرب النفسية:

١ - الدعاية .

٢ - الشائعة.

٣ - غسيل الدماغ.

المبحث الثاني - نماذج من الدعاية المعادية:

١ - الدعاية اليهودية.

٢ - الدعاية الشيوعية.

٣ - الدعاية الغربية.

المبحث الأول

أسلحة الحرب النفسية

قلنا في الفصل الأول^(١) إن الحرب النفسية هي حرب تغيير السلوك ومبدؤها هو الشخصية، لذلك فإن سلاحها هو الكلمات والأفكار من خلال ما يطلق عليه حديثاً «الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ».

وقد اطلعنا في الفصل الثاني على أسلحة الحرب النفسية قديماً مثل الخداع والتخويف والإرهاب، وإنارة الفئز والفرقة بين الجيوش المعادية..

بقي أن نعرف: أسلحة الحرب النفسية الحديثة، وهي لا تختلف عن الأسلحة القديمة من حيث الهدف، وإنما تختلف من حيث الأسلوب والوسيلة، فأسلوبها أسلوب مخطط على أسس علمية دقيقة ومدروسة.. ووسيلتها هي وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة يوماً بعد يوم... لذلك كان خطرها أكبر، وتأثيرها أوسع..

وقد اخترت ثلاثة أسلحة من أسلحة الحرب النفسية الحديثة وتعد أخطرها شأنها

وهي:

أولاً: الدعاية.

ثانياً: الشائعة.

ثالثاً: غسيل الدماغ.

أولاً: الدعاية:

(١) مفهوم الدعاية: إن لكلمة دعاية^(٢) مفاهيم مختلفة، وذلك لتغير هذه المفاهيم

على مدى التاريخ.. وما أدخل عليها من تعديلات.. ويرجع علماء اللغة في

(١) فقرة تعريف الحرب النفسية.

(٢) لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة عند المتخصصين، إلا أن أصلها قد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، مادة «دع» ومنها: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحبت به، والنبي ﷺ داعي الله وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل.

الدراسات اللاتينية أن الأب جريجوري هو أول من استخدمها عندما أسس « جمعية الدعاية المقدسة » عام ١٦٢٢م للمقيام بالتبشير فيما وراء البحار^(١) وإن كان هذا المفهوم لا يختلف عن المفهوم الذي استحدثه المعز لدين الله الفاطمي في مصر ٩٦٩ - ٩٧٥م عندما أسس وظيفة « داعي الدعاة » وسبق به البابا جريجوري بأكثر من ستة قرون^(٢).

والحقيقة أن ورود كلمة « دعاية » بمفهوم الدعوة، كان قبل ذلك بكثير، وذلك عندما ذكرها ﷺ في رسالته إلى هرقل ملك الروم ونص الرسالة كما ورد في صحيح البخاري « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكُتُبِ نَعَالُوا إِلَىٰ حِكْمَةٍ سَوَاءٌ يَبْتَنُوا أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) (الصدر ١١١) ».

- وذكر الأزهري (كتاب تهذيب اللغة) وابن شريد (كتاب جوهرة اللغة) أيضاً معاني كثيرة لكلمة « دعاء » إلا أن الجميع لم يذكرها كلمة « الدعاية » مطلقاً.

أما المشايخون مثل « أحمد رضا » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق - وصاحب معجم متن اللغة فقد ذكرها في مادة « دعو » - معقياً على معنى الدعاوة « مصدر » وهي نشر الدعوة إلى شيء. قال: وهي الدعاية أيضاً وهذه اشتهرت كثيراً عند المتأخرين أهل العصر، وبعضها الحديث الشريف الصحيح الستد (ولم يذكر الحديث)، إلا أنني بعد البحث في كتب السنة وجدت حديثين وفيه الحمد يذكران كلمة الدعاية وسيردان في المتن بإذن الله في فقرة مفهوم الدعاية.

(١) الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - عبد القادر حاتم - ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد - باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون، وفي مسلم كتاب

الجهاد والسير باب: كتب النبي ﷺ.

وكذلك في رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ونصها يشبه النص السابق^(١).

وهكذا نستطيع أن نقول أن الدعاية بمفهومها الأصيل وهو الدعوة إلى أمر ما، كان الإسلام سابق فيها، وأنا أعجب كيف لم يفتن رجال الإعلام المسلمون عندما يؤرخون للدعاية لهذه الحقيقة.

ومفهوم الدعاية بمعنى الدعوة لا يختلف عن المفهوم الحديث للدعاية أو (البروباغنده) وهي كلمة إنجليزية مشتقة من الفعل Propagate ومعناه التنشئة والتنمية، ومفهومه نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل^(٢)، إلا أن المعاصرين حدّدوا هذا المصطلح (الدعاية) ووضعوا له الأسس والأهداف والوسائل. واصطبغت بعد ذلك بصياغ الأكاذيب لتلميع الأفكار والآراء الخبيثة. ومن هنا انحط مفهوم الدعاية: من مفهوم الدعاية القائمة على الإقناع والوضوح لمادتها إلى مفهوم السيطرة على السلوك، والظفر بتأييد الجماهير بأي ثمن وبأي وسيلة، والغموض والإبھام، وهكذا انقلبت صورة الدعاية من صورة جميلة قائمة على الخير والصدق إلى صورة قبيحة قائمة على الشر والخداع وعدم الأمانة. ولعل هذه الصورة اكتملت أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

- الأريسيون أو البريسيون - على اختلاف الروايات - اختلف علماء الحديث واللغة في مدلول هذه الكلمة. والقول المشهور أن الأريسين: ج أريس وهم الخول والخدم والأكارون - وجاء في لسان العرب ((الأرسى)) الأصل و«الأريس» الأكار نقله عن ثعلب (راجع شرح النووي تصحيح مسلم).

(١) المواهب اللدنية ج ٣ ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) الرأي العام وتأثره بالدعاية والأعلام - عبد القادر حاتم ص ١٣٥.

ويختلف مفهوم الدعاية أيضاً من بلد إلى بلد، إذ تختلط بمفهوم التعليم... ففي الاتحاد السوفيتي (قبل سقوطه) يرى الشيوعيون أن التعليم والدعاية شيء واحد، وليست الدعاية إلا توضيح عميق لكتابات ماركس والمجلز ولينين^(١).

وسنرى: بإذن الله، فيما بعد الأسلوب الذي استخدمت به الدعاية في كل من الشرق والغرب وما كان منه من عواقب وخيمة على الإنسانية ومبادئ الخير والصلاح.

(٢) تعريف الدعاية: عرف العلماء الدعاية تعريفات كثيرة، فعلماء الاجتماع والنفس والعلوم السياسية ورجال الإعلام كل قد أطل بدلوه في هذا المجال؛ فمن هذه التعريفات: «الدعاية هي نشر معلومات (حقائق) أو مبادئ أو مجادلات أو شائعات أو انصاف حقائق أو أكاذيب» وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجمهورين^(٢).

وهذا التعريف يشتمل إذا حللناه على:

- معنى الدعاية: وهو نشر للمعلومات.
- مادة الدعاية: الحقائق أو المبادئ أو الأكاذيب.
- هدف الدعاية: تغيير اتجاه الأفراد والجماعات.
- وسائل الدعاية: وسائل الإعلام والاتصال بالجمهورين من صحافة وإذاعة ورائي (تلفزيون) وغيرها..

(١) الإعلام والاتصال بالجمهورين - إبراهيم إمام ص ٢١.

(٢) علم النفس الاجتماعي - د. زهران ص ٣٢١.

وهناك تعريفات تظهر الدعاية بأنها « فن » بالإضافة إلى أنها علم، قال بعضهم: « الدعاية هي فن التأثير والممارسة والسيطرة والإلحاح والتغيير والترغيب لقبول وجهات النظر أو الآراء أو الأعمال أو السلوك»^(١).

وقال آخر: « يمكن تعريف الدعاية بأنها النشاط أو الفن الذي يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط»^(٢). ومما دفع هؤلاء إلى القول بأن الدعاية فن هو أن القضية ليست قضية نشر معلومات فقط، وعرضها بدون اهتمام بالأسلوب الذي يجب أن نبث به الدعاية.. وإلا كان نجاحها مشكوكاً فيه.. ويبدخال عنصر الفن على الدعاية بنضح أماننا لماذا نجح بعض الزعماء في استمالة الجماهير إليهم ولم ينجح البعض الآخر؟.

(٣) أنواع الدعاية: قسمت الدعاية « اصطلاحاً » من ناحية المصدر والهدف منها، أقساماً ثلاثة وهي:

- ١- الدعاية البيضاء: وهي دعاية معروفة المصدر، محدودة الهدف تسعى دائماً إلى خدمة أهداف نبيلة، وهي تعبر عن الدعاية الموجهة للتنوير والإعلام الصادق^(٣).
- ٢- الدعاية السوداء: وهي غير معروفة المصدر، بل تدعى أحياناً أنها تصدر من مكان معين غير التي تصدر فيه حقيقة كالإذاعات السرية مثلاً، التي تدار من أرض محايدة أو على مقربة منها^(٤) وتكون مقنعة ومستترة خفية، خافية الغرض، وتقوم على رفع الشعارات البراقة والكلمات الرنانة مثل (الديمقراطية والحرية والثورية والعدالة) وتطلق الأنماط والقوالب الجامدة (مثل الدكتاتور والحائن والمستعمرين والصهاينة والشبوعيين) وتشتمل التهويل والمبالغة وتعتمد اختيار جانب من

(١) الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام - عبد القادر حاتم - ص ١٣٩.

(٢) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - لندي فريرز - ص ٩.

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير - د. إبراهيم إمام ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠٠.

الحقائق بخدم غرضها دون ذكر باقي الحقائق، وتلجأ إلى الاختلاق والتشويه وتغيير الحقائق والأرقام، وتستخدم الصور (الكاريكاتورية) - التهكم - والسخرية وتعتمد على التكرار حتى يؤمن الناس بالفكرة وإن كانت كذبة^(١).

٣- الدعاية الرمادية (أو السمراء) : وهذا النوع من الدعاية وإن كان معروف المصدر، لكنها ترمي إلى غايات ملتوية ويبدو أن الأمريكيين قد نبغوا في هذا النوع من الدعاية الرمادية منذ الحرب العالمية الثانية^(٢).

وهناك تعريف آخر للدعاية السمراء قاله « مايلز كوبلاند» أحد رجال المخابرات الأمريكية ومؤلف كتاب « لعبة الأمم» إذ مَيَّز هذه الدعاية عن الدعاية السوداء والتي غايتها التشهير بالخصوم ومهاجمتهم بشكل مباشر، أما الدعاية السمراء فهي « التشهير بالخصوم عن طريق مدحهم واثناء عليهم»^(٣). وقد كان « بول لا ينبرجر» أكبر خبير أمريكي فيها « وكان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية بأجهزة الإعلام الأمريكية، وكان يذيع باللغة الألمانية ما يظنه الألمان العاديون في مصلحة ألمانيا ولكن كان هدفه الحقيقي تحطيم الروح المعنوية للشعب الألماني»^(٤) «ولا ينبرجر» هذا استعارته الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م لمعاونتها في تحطيم خصومها من الإخوان المسلمين عن طريق الدعاية السمراء بعد أن عجزت الدعاية السوداء في التشهير بهم لما كانت تتمتع به حركة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت من حالة البطولة بسبب أعمالها الفدائية ضد القوات الإنجليزية في القنال (أي قناة السويس) وضد الإسرائيليين في فلسطين قبل ذلك، فضلاً عن مقاومتهم للشيوعية^(٥).

(١) علم النفس الاجتماعي - زهرنيز - ص ٣٢٣.

(٢) الإعلام والاتصال بالجمهير - إمام - ص ٣٠٠.

(٣) لعبة الأمم - مايلز كوبلاند - ص ٣١٣.

(٤) نفس المصدر - ص ٨٤.

(٥) لعبة الأمم - مايلز كوبلاند - ص ٨٤.

وستبسط هذا الموضوع، إن شاء الله، عندما نتحدث عن الحرب النفسية والدعوة الإسلامية وسنظهر بإذن الله الأساليب التي اتبعت في محاولة هدم الإسلام والحركة الإسلامية في مصر الأزهر عن طريق الدعاية السوداء والرمادية في عهد الثورة (بعد عام ١٩٥٤م).

ولعل تطبيق الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م الواسع للدعاية الرمادية - بالتعاون مع أجهزة الإعلام اليهودية كما يقول كويلاند^(١) أقول لهذا السبب لم ينطرق صلاح نصر رجل المخابرات المصرية الأول في كتابه (الحرب النفسية) ذي الجزئين الكبيرين لهذا النوع من الدعاية سوى جملة قصيرة وهي: (دعاية رمادية: لا توضح أي مصدر) فقط.. بينما ملأ ٢٥ خساً وعشرين صفحة من أنواع الدعاية الأخرى..

ولمَّت الدعاية أيضاً من حيث التوقيت إلى نوعين:

أ- دعاية إستراتيجية.

ب- دعاية تكتيكية.

أ- الدعاية الإستراتيجية: تُوجه ضد قوات العدو، وضد شعوب العدو، وضد المناطق التي يحتلها العدو متناسقة مع تحطيط إستراتيجي، وتوضع بقصد تكملة نتائج مخططة ينشد تحقيقها على مدى أسابيع أو شهور أو سنوات.. وتدار هذه الدعاية دون أن يكون لها تأثير مباشر واضح مرئي، وغرضها إجهاد العدو بتغييرات نفسية (ميكولوجية) يمكن أن تمتد على مدى شهور^(٢).

ب- دعاية تكتيكية: وهي توجه لمستمعين معينين يذكر أسماؤهم في الغالبية وتعد وتنفذ لتعضيد عمليات القتال المحلية. وهي لهذا هدفها قصير الأجل وخلال فترة زمنية محدودة، على عكس الدعاية الإستراتيجية^(٣).

(١) لعبة الأمم - مايلز كويلاند ص ١٥٦ - وانظر الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية.

(٢) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٤٤٠.

(٤) وسائل الدعاية: إن وسائل الدعاية هي وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون) وصحيفة وكتاب وغيرها.. إلا أن الوسيلة المهمة في هذا المجال هي الإذاعة، حتى إنه أطلق على الحرب الدعائية: حرب الإذاعة.. وراينا دورها في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء ودور المحور.

ومع انتشار وسائل الإعلام سهلت العملية الدعائية ويمكن تحديد وسائل الدعاية بما يلي:

١- الوسائل الصوتية أو السمعية: وهي الإذاعة، والخطابة، والشائعات، والأناشيد... إلخ.

٢- الوسائل المرئية أو البصرية وتشمل الفنون: مثل اللوحات، والنحت، والشارات، والألوان، والعلامات التجارية، والأزياء، والأوسمة، والشعارات..

٣- الوسائل الصوتية المرئية وتشمل الرائي (التلفزيون) والأفلام السينمائية.. والمسرح..

٤- الوسائل المقروءة أو المطبوعة - وتشمل الصحف والمجلات والكتب والكتيبات والنشرات واللافتات والملصقات..

٥- المؤسسات والبعثات: وتشمل المؤسسات الثقافية والرياضية والمستشفيات وغيرها وتشمل كذلك البعثات في الخارج.

٦- الاجتماعات: وتعد في مناسبات معينة كما في حملات الدعاية الانتخابية.

٧- المؤتمرات الصحفية: وتعد بصفة خاصة في الدعاية السياسية^(١).

(٥) نفسية (سبكلوجية) الدعاية: عرفنا أن الدعاية نشاط أو فن يحمل الآخرين على سلوك مصلح معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط.

(١) ارجع إلى:

١- حلم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

٢- الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - حاتم - ص ٩٦.

ولكن كيف تعمل الدعاية عملها المؤثر هذا؟ وما هو أسلوبها في هذا المجال؟ وهل الدعاية ناجحة دائماً؟ وما هي أسس الدعاية الناجحة؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة بإيجاز يمكننا القول: إن من أهم الأساليب التي تستخدمها الدعاية: الإيجاء والاستهواء والإقناع^(١) وبرجوعنا إلى معاني هذه الكلمات في علم النفس نجد أن: الإيجاء والاستهواء والتلقين « هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً. والفكرة الموحى بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل، فإن يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع. فالإيجاء (هو المنبه) يدفع حركة سلوك الإنسان على أساس تحضير سابق^(٢)» وهو أيضاً « محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والفحص.

وكل إنسان، إن كان كثيراً أو قليلاً، قابلاً للإيجاء. وتزداد القابلية للإيجاء في حالات ضعف الذكاء وانتقص العقلي عادة، وضعف القدرة على التمييز والتنقد والتكامل كما تزداد في حالات التوم الصناعي^(٣).

إذاً - فرجل الدعاية لا يعتمد على المنطق، أو الإقناع العقلي، للتأثير في سلوك الآخرين.. ولهذا السبب تعتمد الدعاية على العاطفة وليس على العقل وأن الغاية النهائية للدعاية هي غاية عاطفية بالرغم من محاولتها ارتداء ثوب العقل.

ولكن ما هي العواطف التي تحاوي الدعاية أن تستهويها؟ إنها تحاوي استعمال جميع العواطف الإنسانية: كالخوف واحترام الذات والتفاخر والطموح وحب العائلة... وتسنغل هذه العواطف حسب الحاجة والظروف.. وكذلك تستغل

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

(٢) معجم مصطلحات علم النفس - منير وهبة الخازن مادة: الإيجاء . الاستهواء . التلقين .

(٣) المصدر السابق نفس المادة.

الدعاية أحياناً تحب الجماعة لمصالحهم الدنيوية وخاصة إذا كانت الجماعة ليست على قدر كبير من الوعي وعندها قابلية للإيحاء الوجداني والانفعال، وقابلية سرعة التصديق فتثير هذه الجماعة ضد خصومها ..

وفي الحقيقة أنه ليس كل شخص قابلاً للإيحاء والاستهواء والتلفين، فبعض الناس يتقبل كل ما يسمع أو يقرأ، في حين نرى البعض لا يكاد يصدق شيئاً، بل يجادل ويناقش ويشك .. كما أن قابلية الاستهواء تختلف في الفرد الواحد في أحواله المختلفة. ودرجة الوعي هي الميزان في هذا، وكذلك الإيمان بالله، فالإنسان المؤمن الواعي لا يحكم حتى يتبين وهذا ما علمنا إياه القرآن بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَمْ قَاسِقٌ مُّبِينٌ فَتَيَبَّتُوا بِأَن يُصِيبُوا قَوْمًا يَحْتَسِبُ فُتُصِبُحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمُ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ﴾ سورة الحديد ١٠١ .

ولكن ما دور الإقناع العقلي في الدعاية؟

والواقع قد لا يفتنع الفرد أو الجماعة التي توجه إليها الدعاية بما يقول رجل الدعاية بالأساليب السابقة .. هنا يلجأ رجل الدعاية إلى بعض العمليات العقلية مثل التسويغ في حالة الظروف القاسية التي لا يمكن نقاشها، وحين يتوقع معارضة الجمهور الذي يوجه إليه دعائه، فيلجأ إلى إقناعه بالعقل أولاً ..

ويجب أن لا نهمل دور التكرار في الدعاية بلقّت الأنظار وجذب الاهتمام إلى أن تصح الأكذوبة حقيقة، حتى عند رجل الدعاية نفسه، تطبيقاً للمثل القائل : « إكذب ثم إكذب ثم إكذب حتى تصدق نفسك ».

وفي مجال الدعاية البيضاء، نجد أنها تعتمد على العاطفة والعقل أيضاً وهذه الدعاية تسعى إلى تغيير سلوك الإنسان كلياً، وعاطفته العميقة الجذور.

ثانياً: الشائعة:

لقد لاحظ علماء النفس والمهتمون بالحرب النفسية أن الشائعة وسيلة مهمة من وسائل الحرب النفسية، بل هي سلاح من أفتك أسلحتها، لما لها من خاصية سرعة

الانتشار؛ فهي تضعف المصنف، وتقسم الكلمة، وتبطل تقسية الجماهير، وتفقدتها ثقتها بحكومتها إن كانت موجهة من العدو، وكذلك تشككها بقدرة جيشها. وسنحاول في هذه الدراسة إعطاء فكرة ناعد على فهم الشائعة أولاً، ومن ثم مقاومتها، والإطلاع على وسائل العدو في استخدامها.

(١) تعريف الشائعة: يعرف « ألبورت وبوشمان » الشائعة في كتابهما « سيكولوجية الشائعة » بأنها : « اصطلاح يطلق على رأي أو موضوع معين مطروح كي يؤمن به من بسمعه، وهي تنقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل»^(١).

ومن هذا التعريف نجد أن الشائعة تتألف من ثلاثة عناصر هي:

- أنها موضوع معين مطروح بشكل مقصود .
 - هذا الموضوع يتناقله الأفراد.
 - سرعان الشائعة لا يحتاج إلى برهان لتصديقها.
- ومن خلال دراستنا للشائعة سنعرف مقدار دور كل من هذه العناصر الثلاثة في تحقيق أهداف الشائعة.

(٢) أهداف الشائعة: يمكن إيجاز أهداف الشائعة بما يلي:

- ١- تدمير القوى المعنوية للخصم وتفتيتها - وذلك بث الشقاق والعداء وعدم الثقة بين أفرادها أو بين قادته مهتدية ببدأ « فرق تسد ».
- ٢- الإرهاب وبث الرعب في النفوس وذلك بتضخيم قوى الخصم التي لا تغلب.

٣- استخدام الشائعة على أنها ستار من الدخان لإخفاء حقيقة ما، وهذا الأسلوب يعتمد على النظرية القائلة: « إن الشائعة يمكن أن تُخفي الحقيقة » فيقدم

أحد الجانبين المتحارين على تريب معلومات، وبذلك يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الأخبار الحقيقية من الأخبار الكاذبة.

٤- تستخدم الشائعة أيضاً على أنها طعم بقصد إظهار الحقيقة من الجانب الآخر.

٥- وتستخدم أيضاً للحط من شأن مصادر الأنباء المعادية^(١).

(٣) تصنيف الشائعات: حاول بعض علماء النفس استخدام معيار الوقت في تصنيف الشائعات وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

١- الشائعات المزاحفة: وهي التي تروج ببطء وتتاولها الناس همساً وبطريقة سرية تنتهي في آخر الأمر إلى أن يعرفها الناس جميعاً.

٢- شائعات العتف: وهي التي تصف بالعنف، وتنتشر بسرعة انتشار النار في الهشيم، وهذا النوع من الشائعات، تصل إلى جماعة كبيرة من الناس في وقت قصير.. ومن نخط هذا النوع من الشائعات تلك التي تروج عن الكوارث أو الانتصارات أو الهزائم الحربية.

٣- الشائعات الغائصة: وهي التي تروج أولاً ثم تفرض تحت السطح ثم تظهر ثانية عندما تنهيا لها الظروف بالظهور، وهذا النوع من الشائعات غالباً ما يُرَّوَج ضد رجاء الحكم في شكل حملات هامة للنيل من سمعتهم أو التشكيك في نزاهتهم وغائباً ما تأخذ شكل الفكاهة أو التكات^(٢).

وحاول البعض الآخر تصنيف الشائعات حسب موضوعها ومن هذه الشائعات:

(١) علم النفس الاجتماعي - حامد زهران ، ص ٣٦٠.

(٢) ارجع إلى: علم النفس الاجتماعي - د. حامد زهران ص ٣٦١ ومجلة العربي العدد ٩١ مقال: سيكولوجية الإشاعة.

١ - شائعات الأخطار والأمانى: وتستخدم للتنبؤ عن الأمانى والحاجات التي عند الناس.

٢ - شائعات الخوف: وتنتشر أثناء الأزمات والحروب.

٣ - شائعات الكراهية: وهي تعبر عن شعور الكراهية ودوافع العدوان عند الناس^(١). وهذا النوع من الشائعات هو الذي أطلق عليه بعض العلماء شائعات الدوافع النفسية^(٢).

ومن الدراسة الميدانية للشائعات وأنواعها ونسبة وجودها في المجتمعات، ذلك الإحصاء الذي أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٢م حيث درست ألف شائعة فوجد أنها تتوزع كالآتي:

١ - ٦٦% من الشائعات كانت شائعات العدا.

٢ - ٢٥% منها كانت شائعات الخوف.

٣ - ٢% منها كانت شائعات التمني.

٤ - ٧% منها كانت شائعات من أنواع مختلفة.

وقد وُجد أن شائعات الخوف والتمني ما لبثت أن تغيرت طبيعتها باقتراب انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وكذلك لوحظ أن غالبية الشائعات كانت من طبيعة شريرة وتعبر عن عدا ضد هذه الجماعة أو تلك^(٣).

(٤) نفسية (سيكولوجية) الشائعة: إن الشائعة ظاهرة نفسية لها دلالة ولها معنى، وكذلك لها دوافع خاصة دفعت إلى ظهورها وسببت سرعة انتشارها بين الناس،

(١) مجلة العربي العدد ٩٤ جمادى الأولى ١٣٨٦ (أيلول ١٩٦٦) مقال: سيكولوجية الإشاعة - د. فاخر عاقل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة العربي - العدد ٩٤ مقال سيكولوجية الإشاعة - د. فاخر عاقل ١٣٨٦/١٩٦٦.

ولهذا كله اندفع علماء النفس الاجتماعي إلى دراستها وتبيان العمليات النفسية التي تستند عليها.

فمن حيث الأساس النفسي للشائعة، أثبت علماء النفس من اتباع مدرسة الجشتالت^(*) «gestalt» أن العمليات النفسية تأخذ بصياغة أشكال متكاملة ويكره العقل أن يجد فراغات فهو يعمل دائماً على تكميل الصورة وتماسكها، غير أن هذا التكميل أو ملء الفراغات يتأثر بميولنا واتجاهاتنا وخبرتنا السابقة، فإذا كانت هذه الاتجاهات طبيعية نحو القضية أو الشخص الذي تكون عنه الصورة فإن عملية التكميل تكون محيذة ومؤيدة، أما إذا كانت هذه الاتجاهات سلبية فإن عملية التكميل تنطوي على الكراهية والنفور والتشهير، وتأخذ مثلاً على ذلك تصور الإنسان للحرب: « لما كانت الحرب بطبيعتها نكوصاً إلى السلوك البدائي فإن الشائعات المثبتة مع هذا السلوك لا بد وأن تتسم هي الأخرى بالأخيلة الغليظة...»^(١).

وبما لاشك فيه أن الشائعات تتأثر بتخلفياتنا الفكرية والعقدية وأهوائنا ومن الممكن أن تتم الشائعة بها، وأيضاً فإن جو الحرب يساعد على سريان الشائعة واتساعها.

أما عن ظهور الشائعة وسريانها في الناس فقد أوضحها العالم « بيساو » « مييناً » أن هذه العمليات تتم في ثلاث مراحل: أولها: إدراك الحوادث من جانب شخص أو

(*) مدرسة « الجشتالت » أو مدرسة « علم النفس الشكلي ». ولفظ « جشتالت » أو الشكالية كلمة ألمانية أصبحت الآن كلمة دولية تفيد معنى الصيغة أو الشكل. ومن أهم القضايا التي تقررها هذه المدرسة:

- ١- أن الإدراك يكون موجهاً في بادئ الأمر نحو الشكل الكلي لا نحو الأجزاء.
- ٢- خصائص الصيغة هي غير مجموع خصائص أجزائها التي تكونها.

(١) الإلهام والاتصال بالجماعهبر - د. إبراهيم إمام ص ٢٥٥.

عدة أشخاص، ويرجع اهتمامهم بالحدث إلى المفزى الاجتماعي لهذا الحادث، وصداه في نفوسهم، ثم تجري عمليات التنقيح بالحذف والإضافة حتى تنمشى العناصر المكونة للشائعة بعضها مع بعض من جهة ومع ثقافة المجتمع من جهة أخرى، وعندما يتم التنقيح والتعديل بصورة تجعل الشائعة مستساغة متقبلة سهلة الاستيعاب، فإنها تنطلق ونسري بين الجماهير، فكان المراحل الأساسية لظهور الشائعة وسريانها هي الإدراك الانتقائي والتنقيح بالحذف والإضافة والاستيعاب النهائي تمشياً مع المعتقدات والأفكار والقيم السائدة في المجتمع^(١).

«ويذهب ألبرت وبوستمان» إلى أن سريان الشائعة يخضع لشروطين أساسيين: أما الشرط الأول فينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمتسمع .. وأما الشرط الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويخلفه. والحق أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع والتخيلات ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلها عن الجوانب الخيالية.. ويؤكد الباحثان أن الشرطين الأساسيين للشائعة وهما الأهمية والغموض يرتبطان ارتباطاً كعياً على وجه التقريب فيما يبدو بسريان الشائعة، والمعادلة التي تعبر عن ذلك تصاغ هكذا:

$$\text{سريان الشائعة} = \text{الأهمية} \times \text{الغموض}^{(٢)}$$

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هي علاقة ضرب، وهذا يعني أن انعدام أحدهما يعني انعدام الآخر أي يجب وجودهما معاً.. والغموض الذي هو أحد عناصر سريان الشائعة ينتج عن انعدام وسائل الاتصال، أو فقدان الأخبار الموثوقة، أو أمثال ذلك من الأسباب التي تكثر أثناء الحروب، أو في البلاد التي

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير - إبراهيم إسام ص ٣٤٦ وكذلك ارجع إلى مقال الدكتور فاخر عاتق في مجلة العربي « سيكولوجية الإشاعة » العدد ٩٤ - ١٣٨٦/١٩٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧.

مزقتها الحروب، أو بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية، أو بعض الجماعات النائية. كما قد ينأى الغموض على الأخبار وسواها. ولهذا السبب الآخر نجد الشائعات تكثر في الدول التي تحكمها النظم الاستبدادية.. والتي لا تذب من الأخبار إلا بما فيه مصلحتها.. وحتى إن الشائعات لتدور في هذه الدول حول المواد الغذائية والتي نأتي أهميتها في الدرجة الأولى للإنسان العادي، وقد يكون مصدر الشائعات، وهذه الدولة ذاتها لترتبط الناس جميعاً بلقمة العيش والجرى الدائم لتأمينها، ويتم لها بذلك إبعادهم عن الاهتمام بحرينهم وكرامتهم.

وتساءل بعد ذلك، ألا تنتج الشائعة عن الخوف وعدم الأمان في هذه الحياة؟ مما لا شك فيه أن الخوف والقلق الدائم وعدم الأمان، كل هذه من أسباب سرعان كثير من الشائعات وخاصة أثناء الحروب .. لذا فالإنسان في هذه الأجواء يفتح أذنيه لالتقاط أي شائعة يسمعها، وحتى إن كان قد أطلقها إنسان بريء أو جماعة من العملاء والجواسيس، وعدم الأمان يدفع الإنسان إلى نشر الشائعة والتفشي عن شاركه فيها ويقف معه تجاه الخطر المرتقب.

وتساءل أيضاً : ألا يزول القلق والخوف بوجود الأخبار المتوافرة، وبذلك تنعدم الشائعة لانعدام أحد أسسها وهو الغموض؟

قبل أن أجيب عن هذا السؤال أقول: إنه مما لا شك فيه أننا نعيش اليوم عصر وسائل الاتصال المختلفة من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب.. إلخ.

ولكن ومع ذلك ما زالت الشائعة تعمل في الرأي العام.. بل إن وسائل الاتصال هذه قد تسهم هي الأخرى في نشر الشائعات وتحويل الأخبار وتزويدها بصورة مشوهة تبعد كثيراً عن حقيقتها التقليدية^(١).

(١) ارجع إلى الإعلام والاتصال بلجهاير د. إبراهيم إمام ص ٢٦١.

وعلة وجود الشائعات وانتشارها حتى لو كانت هناك أخبار متوافرة، هي أن للشائعات دلالة تعبيرية أو معاني مجازية كامنة وراء الألفاظ وهذه المعاني ليست معلومات معرفية كالأخبار مثلاً، ولا حاجة هنا إلى أن نقارن بين مضمون الشائعة مع الحقائق الموضوعية ونفيس مدى الصدق بدرجة قربها من الواقع أو بعدها عنه، وإن هذه المعاني المجازية الكامنة وراء الألفاظ تنطوي عادة على أحكام تصدر على موقف أو شخص أو حدث وهذه الدلالة التعبيرية من أهم الخصائص التفرعية للشائعة. «و» ناقل الشائعة لا يعبر عن الواقع بقدر ما يعبر عن حالة نفسية أو قلق انفعالي. وهنا تختلط الوقائع بالأمثولة والدلالات الموضوعية بالمثيرات العاطفية ولعل هذا التفسير للشائعة هو الذي يعلل سبب انتشار الشائعات حتى عندما تكون الأخبار متوافرة تماماً»^(١).

ويؤيد هذا المعنى الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وقد مر ذكرها آنفاً. إذ قد تبين من الدراسة أن الأسباب الرئيسة لانتشار الشائعات هي أنها تقوم بوظيفة مزدوجة فهي تفسر التوترات الانفعالية التي يستشعرها الأفراد وتنفس عنها، فهي حادثة «بيرل هاربور»^(٢) مثلاً ساعدت الشائعات على تفسير القلق الذي شعر به الناس، ومن ذا الذي لا يقلق إذا أصبح أسطول بلاده مسحاً كما قيل آنذا، ثم إن العائلات التي فقدت أبناءها أو مَعيلها تريد أشخاصاً تصب عليهم نعمتها، ولذلك كان لوم الأقليات متفصلاً للناس، وهكذا انصببت الشائعات على خيانة بعض الأقليات القومية في الولايات

(١) نفس المصدر ص ٢٥٣.

(٢) بيرل هاربور - ميناء ضُرب فيه الأسطول الأمريكي من قبل اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية وكان ضربه من أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.

المتحدة (مثل الأقلية الألمانية) وأشير إلى جشع اليهود وعلاقتهم بالسوق السوداء وغير ذلك^(١).

(٥) الرأي العام والشائعة: ونساءل الآن: هل للشائعة هذا الأثر الكبير في الرأي العام، وهل يمكن أن تكون رأياً عاماً في مجتمع من المجتمعات؟

لقد تأكد من بحوث العلماء أن الشائعات الكاذبة لا تنتشر إلا في المجتمعات الانفعالية التي تتلقى الأمور بالانفعال، والتي لم تبلغ من الوعي درجة كافية بحيث تحلل الشائعة وتبين صدقها من كذبها، وبخاصة إذا استولى على هذه المجتمعات حكام مستبدون، هم أنفسهم يستخدمون وسائل الإعلام في نشر الشائعات، وتحريف الأخبار وترديدها بصورة مشوهة تبعدها كثيراً عن حقيقتها.. ولكي يجذع هؤلاء شعوبهم يعطون للشائعة صورة معقولة يلجأونها إلى مصدر مؤثوق (على حد زعمهم)، والشعوب المغلوبة على أمرها تصدقهم ونسب وراهم مغمضة العين (بغريزة القطيع)^(٢).

ويرى البعض الآخر « أن جميع الناس في أي مجتمع وفي أي زمان متهابون لثلقى الشائعة وتصديقها.. لأن الناس ليس لديهم الوقت الكافي الذي يسمح بمراجعة ما يسمعون وطرحه على معايير الصدق، فضلاً عن أنه يصعب عليهم إثبات تكذيب الشائعة..»^(٣).

ويظهر أن المؤلف اعتمد على هذه المقولة في ترويض الشائعات والدعايات الكاذبة ضد الحركة الإسلامية في بلده، خلال ربع قرن من الزمان (١٩٥٤ -

(١) مجلة العربي العدد ٩٤/١٣٨٦/١٩٦٦ - مقال: سيكولوجية الإشاعة.

(٢) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٣٤٩

(٣) (غريزة القطيع) تعبر عن الانقياد داخل الجماعة بدون وعي، كقطع الغنم الذي يسير وراء كبيرهم.. وتعبر أيضاً عن تعطل ملكة المحاكمة الشخصية، وغياب حس النقد والتمييز، ويقدم الفرد كأنه منوم مغناطيسياً سهل التخليد.

١٩٧٨)، ويلبس المؤلف ثوب الأخلاق الفاضلة عندما يقول « إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة، معادية أم مدمرة تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية ويمكن أن تشبهها بسم الخنجر المسموم الذي يطعن الأبرياء من الخلف مستغلاً أحد صفات الإنسان من جبنه ونذاله، وغالباً ما يعصف هذا السلاح بكيان مجتمع أو بأصول حضارة»^(١).

وثمة جانب آخر من تأثير الشائعة في المجتمعات البشرية، ذلك عندما تتحول الشائعة إلى أسطورة خالدة في أذهان الناس لا تموت على مر الأزمان. ويضرب لنا الدكتور إبراهيم إمام مثلاً على ذلك: « أسطورة جوليات وداود» وهي من أمثلة استخدام الشائعات في الحرب النفسية بقول: « لأن الأسطورة في حقيقتها ليست سوى شائعة خالدة استطاعت أن تحيا على مر العصور لتصبح جزءاً لا يتجزأ من تراث الأمة» والمعروف أن إسرائيل تستخدم هذه الفصّة (أسطورة جوليات وداود) في حربها النفسية وتلقنها للصغار منذ نعومة أظفارهم وترونها للعالم موعزة إلى أن داود يمثل إسرائيل والعملاق (جوليات) يمثل العرب. وتبين هذه الأسطورة أيضاً أهمية العزيمة الصلبة والثقة في النفس والذكاء إلى جانب الاعتقاد الراسخ والإيمان العميق»^(٢).

ويلاحظ أن الدكتور لم يوفق في اختيار المثال، ونحن نسأله - بصفة أن الأسطورة في حقيقتها ليست إلا شائعة هل قصة داود وجوليات أسطورة؟ أم أنها قصة حقيقية ذكرت في القرآن الكريم؟ بصرف النظر عن استخدام إسرائيل لها في حربها النفسية وفي مجال التربية والتاريخ»^(٣).

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص (٧).

(٢) الإعلام والاتصال بالجمهور - إبراهيم إمام - ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَثُمَّ نَزَلُوا إِلَىٰ بَابِ الْمَدِينَةِ وَجُودِبُوا فَكَلِمًا مِّنْهُم مَّا قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن مَّا نَدْعُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسِّرْ لَنَا ذُرُوعَنَا وَتَفْهَرِ الْعَصْبِيَّةُ ﴿٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِرَدِّبِ أَنْفُسِهِمْ فَذُرُّوا نَابِلَاتِ الْمَدِينَةِ وَاسْرَابِلِ نَدْعَىٰ أَنْ دَاوُدَ -

- ٣- التوعية المستمرة لتثبيت الإيمان والثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات.
- ٤- اختفاء خط سير الشائعة والوصول إلى جذورها، وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة بشأنها والتخطيط الشامل وتكاتف الجمهور.
- ٥- الثقة بالقيادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تُحاط دائماً بالسرية والكتمان وأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لا تتيسر لديه الحقائق.
- ٦- تولية الأمر والقيادة لأهل العلم والخبرة والخلفي والدين.
- ويستعرض لنا الدكتور إبراهيم إمام محاولة الأمريكيين في مقاومة الشائعات خلال الحرب العالمية الثانية قائلاً: « حاول الأمريكيون إنشاء ما أسموه « عيادات الشائعات» وفيها تقوم الصحافة بتفنيد كل شائعة والرد عليها وشعارها: (أذكر الشائعة واضربها بكل قوة) وأعطى ما تعرضت له عيادات الشائعات، إفاعة الأقاليم الكاذبة والمساهمة في نشر الشائعات على نطاق أوسع مما كان مقدراً لها».
- « ومن ناحية أخرى اتجه مكتب الإعلام الحربي الأمريكي (١-٧-٥) برئاسة « ليورستن » إلى محاربة الشائعات بالأخبار الصحيحة على أساس أن الشائعات تسري في جو من الغموض الناجم عن ندرة الأخبار».
- « ولكن يبدو أن خبر وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصين الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه، وتوعية الجماهير وإيقاظ الضمائر؛ وهي مهمة لا بد وأن تتظافر على أذائها هيئات التعليم والتربية والثقافة والإعلام والتنظيمات السياسية، ذلك أن التعبئة النفسية للجماهير وتمسكها بأيديولوجيتها عن إيمان واقتناع من أهم الدعائم الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية»^(١).

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير - إمام ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

ونحن نرى أن الشائعات يُقضى عليها بمساعدة عنصرين مهمين في الدولة وهما الفرد المؤمن والحكومة الصالحة.

فبإيجاد الفرد المؤمن بالله حق الإيمان، المتخلق بأخلاق القرآن، تكون قد أوجدنا الإنسان المتميز الذي يزن الأمور بميزان الإسلام. والذي لا يتلقى أي أمر أو قول إلا بعد تدقيقٍ ونمحيص، تبعاً لقول الله تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِهِمْ بَلَاءٌ فَتُضِلُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١٠١﴾﴾^{١٠١} وراينا آنفاً^{١٠٠} في الدرس الذي أعطاه الله للجماعة المسلمة في المدينة، في حادثة الإفك، إذ علمها أن لا تلوك بألسنتها شائعات دون إنعام نظر وتبين ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٢﴾﴾^{١٠٢} وقال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾^{١٠٣} يُعْظِمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾^{١٠٤} ولقد انطلقت شائعة الإفك بمجرد نزول الآيات في تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها.

- فالطريق الأول إذاً لمقاومة الشائعات هو الإيمان الصادق الذي يربى المؤمن على منهج فكري يحميه من الشائعات، وهذا يتطلب أيضاً أن يكون المسلم لديه وعي كامل بمفاهيم الإسلام وبالأمور التي تحري من حوله في جميع مجالات الحياة. ومن هنا يأتي واجب رجال التربية والدعوة في تربية وعي المسلمين بدينهم أولاً وبما يجري حولهم - أي زيادة وعيهم السياسي الذي يفنقه مسلم اليوم، حتى لا تناهبهم وسائل الإعلام الغربية والشرقية وهم حائرون واقفون على مفترق طرق لا يعرفون إلى أين يتجهون.

وبالإيمان أيضاً نقضي على شائعات الخوف والتي نكثر في الحروب خاصة، ومن عاش في جو الحروب يرى بعينه الملح والخوف الذي يصيب الناس عامة، إلا الذين آمنوا، فقد ضربوا مثلاً عظيماً في الشجاعة والتضحية، وصدق الله العظيم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة الحديد: ١٧].

- وأما الطريق الثاني للقضاء على الشائعات فهو إيجاد الحكومة الصالحة، التي تعمل لصالح الأفراد بإخلاص وصدق وعدالة، وبذلك تنال ثقة الإنسان في هذه الدولة لأنها تعطيه حقه فبعطيها واجبه، وبوجود هذه الحكومة الصالحة تُنشر الأخبار من وسائل الإعلام المختلفة بصدق وفي وقتها، بحيث لا يبقى مجال لانتشار الشائعات المختلفة المغرضة، صحيح أنها لا تنعدم بشكل نهائي - وذلك لوجود الأوشاب في كل مجتمع - ولكنها نادرة، ولا حكم للنادر. ولاشك أن الشعب يحتاج إلى النوعية الدائمة ودعم إيمانه بالله وتبيان أهداف أعدائه، وأساليبهم في الدعاية والشائعات حتى لا يتأثر بها.

أما في أوقات الحروب، وعند إعلان الجهاد على أعداء الله وأعداء المسلمين، فلن تكون هناك أجواء لتقبل الشائعات، كما في المجتمعات غير الإسلامية، لأن الجهاد في الدولة الإسلامية يختلف عن الحروب التي تشنها الدول الأخرى من حيث المضمون والمظهر والأداء، فزمن الجهاد هو زمن الاستبشار والسرور، لأن المسلم يجاهد وهو يتظر إحدى الحسينين، إما النصر وإما الشهادة.

وفي هذه الأوقات بالذات، يكون الجيش المسلم، هو ذاته، حرباً نفسية على الأعداء، ويُخشى بأسه وشجاعته، ويُرهب جانبه.

ثالثاً: غسل الدماغ:

(١) مفهوم غسل الدماغ وتعريفه: غسل الدماغ سلاح من أسلحة الحروب النفسية، يرمى إلى السيطرة على العقل البشري وتوجيهه بغايات مرسومة بعد أن يجرد من مبادئه السابقة..

وكان أول من ابتكر اصطلاح غسل الدماغ صحفي أمريكي يدعى « إدوارد هنتر » ألف كتاباً عن الموضوع على أثر الحرب الكورية، إذ لاحظ هذا الصحفي أن ثلث أسرى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذوا اتجاهاً جديداً ضد وطنهم، وكانت هذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الحرب البشرية، وقد عنى الصحفي بهذا الاصطلاح « المحاولات المخططة أو الأساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لإقناع غير الشيوعيين بالإيمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم »^(١).

إلا أن اصطلاح « غسل الدماغ » اتسع معناه، واستعمل في مختلف ميادين للحياة من إعلان تجاري، أو دعاية أو اجتماع أو سياسة، ولم يعد قاصراً على الشيوعيين - وهم أول من استخدمه - بل نعداه إلى الشرق والغرب، ليصبح له تعريف عام وهو: « كل وسيلة تقنية مخططة ترمي إلى تحوير الفكر أو السلوك البشري ضد رغبة الإنسان أو إرادته أو سابق ثقافته وتعليمه »^(٢).

وقد أطلق بعضهم على هذه العملية في السيطرة على العقل البشري وتوجيهه، أسماء أخرى، أعم وأشمل من اصطلاح غسل الدماغ، من مثل: إعادة تقويم الأفكار - أو التحوير الفكري، أو المذهبة، أو الإقناع الخفي^(٣).

(١) د. فخري الدباغ - غسل الدماغ - ص ١١ و ١٢ بيروت ١٩٧٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٢.

(٣) د. زهران - علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

ونصل أخيراً إلى تعريف لاصطلاح غسيل المخ « بأنه عملية تطويع المخ وإعادة تشكيل التفكير، وهو عملية تغيير الاتجاهات النفسية بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير، وهو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره ومعتقداته وقيمه، إنه عملية إعادة تعليم (RE - education) وهو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم إلى الإيمان بنقيضها»^(١).

(٢) الأساس النفسي لغسل الدماغ: لقد استغل المشغولون بالحرب النفسية دراسات علماء النفس لعلم وظائف الأعضاء والجهاز العصبي، والعلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتها على المخ. ويذكر في هذا المجال تجارب بافلوف* على الحيوانات، ويستحسن تلخيص اكتشافاته في النقاط الرئيسة الآتية حتى يمكن الربط بينها وبين عمليات غسيل الدماغ التي سنذكرها بعد ذلك، والتي طبقها الشيوعيون على الأسرى والسجناء، وهاك خلاصة نظرية بافلوف التي استخلصها من تجريبه على الكلاب:

- (١) عند حدوث توترات معينة أو صدمات فإن الكلاب تستجيب تماماً مثل الإنسان تبعاً لاختلاف أمزجتها المختلفة الموروثة.
- (٢) لا تتوقف ردود فعل الإنسان والكلب للتوترات العادية على كيانه الموروث فقط بل كذلك على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها، وهذه المؤثرات تغير تفاصيل سلوكه فقط، ولكن لا تغير النمط السلوكي الأساسي.
- (٣) تنهار الكلاب كالأدميين وذلك حينما تصبغ التوترات أو الصدمات أكثر مما ينبغي أو بدرجة لا تستطيع أجهزتها العصبية السيطرة عليها.

(١) المصدر السابق نفسها.

(٢) بافلوف: هو عالم فيسيولوجي روسي - كان غرضه دراسة وظيفة المراكز العصبية في الدماغ.

٤) يختلف مقدار التوتر الذي يستطيع الإنسان أو الحيوان السيطرة عليه دون أن يصاب بالانهيار باختلاف حالته البدنية، كما يمكن تقليل المقاومة وبوسائل أخرى مثل: الإجهاد - الحمى - المخدرات والتغير في وظائف الغدد.

٥) عندما يستثار الجهاز العصبي استثارة شاملة، ويحدث له موقف كامل فإننا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مختلفة من التغيرات في السلوك، وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة « المتعادلة » حيث يعطي فيها المخ الاستجابات نفسها لكل من المثيرات القوية والضعيفة.

ب- مرحلة التناقض وهي التي يستجيب فيها المخ للمثير الضعيف بشكل أكثر إيجابية من المثير القوي.

ج- مرحلة التناقض الشديد وهي التي تتحول فيها ردود الفعل الشرطية والأنماط السلوكية من الموجب إلى السالب أو بالعكس.

وقد توصل « بافلوف » إلى هذه الاكتشافات عن طريق مراقبة ما يحدث للأنماط السلوكية الشرطية في الكلاب حينما يستثار مخ كلب بواسطة توترات أو صدمات تفوق قدرته على الاستجابة العادية.

يقول « وليم سار جنت » وهو أحد أطباء النفس، في اكتشافات بافلوف في هذا المجال « إن تطبيق اكتشافات بافلوف في الكلاب على آلية أنواع عديدة من التحول الديني أو السياسي في الكائنات البشرية توحى بأنه لكي يكون التحول مؤثراً يجب أن تستثار انفعالات الشخص حتى يصل إلى درجة شاذة من درجات الغضب أو الخوف أو النسوة، فإذا أمكن الاحتفاظ بهذه الحالة أو أمكن زيادة حدوثها بوسيلة أو بأخرى فقد ينتهي الأمر بالشخص إلى حالة من حالات الهستيريا، وحينئذ يصبح الإنسان أكثر استعداداً لتلقي الإيحاءات التي قد لا يتقبلها في الظروف العادية وقد يحدث بدلاً عن ذلك مرحلة من المراحل: « المتعادلة » أو « المتناقضة » أو « شديدة

التناقض « أو قد يحدث « انهيار امتناعي كامل » يقضي على كل المعتقدات السابقة.

هذه الأحداث يمكن أن تكون عاملاً مساعداً في غرس معتقدات وأنماط سلوك جديدة، وسوف نلاحظ هذه الظاهرة نفسها في كثير من العلاجات الحديثة في مرض الطب النفسي. على أنه يمكن إحداث جميع مراحل النشاط الذهني من زيادة الإثارة إلى حد الإنهاك الانفعالي والانهيار إلى الاستسلام الهادئ الصامت: إما بوسائل سيكولوجية (نفسية) أو باستخدام العقاقير أو بالعلاج بالصدمات الكهربائية أو بتخفيض كمية السكر في دم المريض بمحفنه بالأنسولين، كما تأتي بعض النتائج الأفضل في علاج حالات من أمراض الطب النفسي مثل: العصاب^(١) أو الذهان^(٢) بأحداث حالات من حالات « الامتناع الوقائي»^(٣). وهذا يحدث دائماً بالاستمرار

(١) العصاب: مجموعة من الأمراض النفسية وتحوي: القلق النفسي، والمستريا، والوسواس القهري، والإجهاد، والاكئاب النفسي.

وكان المظنون قديماً أن العصاب مرض يعيب الأعصاب، إلا أن علماء النفس اكتشفوا أنه اضطراب انفعالي بسبب صراع داخلي وتصنع في الشخصية، فهو اضطراب في الشخصية وليس اضطراباً في الأعصاب. (انظر موسوعة علم النفس والتحويل النفسي الدكتور عبد المنعم الحفني - ج ٢ ص ٢٤ - مكتبة مديولي - القاهرة ١٩٧٨ م).

(٢) الذهان: من الأمراض العقلية، يعمل العصاب به معنوياً أو يختلط العقل والمريض بالذهان لا يعرف أنه مريض، وعادة ما يكون المريض بعيداً عن الواقع مضطرب الشخصية تحت تأثير اعتقادات خاطئة مع تغير في المزاج والوجدان.

وهناك أنواع كثيرة من الذهان: (المرجع السابق ص ١٨٣ ج ٢).

(٣) الامتناع الوقائي: هي الحالة التي إذا تعرض فيها الحيوان لاستشارة شديدة فإنه يصل إلى حالة التوقف الكامل لتجهاز العصبي فيصبح المخ حينئذ عاجزاً مؤقتاً عن تأدية وظائفه السائدة وهذه الحالة التي لاحظها بافلوف على كلابه ظهرت في جرحى الحرب، وكانت تملكهم حالة من الاستسلام الهادئ أو يصابون بتفقدان الذاكرة أو يعجز بقدمهم عن استعمال أطرافهم أو يتوبخت من الغيوبة.

في فرض التوترات الصناعية على المخ حتى يصل إلى مرحلة نهائية من مراحل الانهيار الانفعالي المؤقت والانسلاخ المؤقت، ويبدو أنه من المحتمل أن تتبدد بعدها بعض الأنماط الشاذة الجديدة كما يتحمل عودة الأصح والأسلم منها أو غرسها في المخ من جديد»^(١).

إلا أن ادعاءات بافلوف بأن في الإمكان غسل الدماغ وجعله نظيفاً خالياً من كل الانطباعات والعلاقات القديمة فيها كثير من المغالاة « فالعقل البشري هو غير العقل الحيواني، كما أن الشدائد التي سلطها على الكلاب لم تؤد بأجمعها إلى عين النتائج المتوقعة، ولعل الأكثر صحة اعتبار العلاقات والأفكار القديمة مطموسة أو ثابتة وأنها يمكن أن تعود إلى قوتها وفعاليتها في ظروف مناسبة أخرى»^(٢).

وأيضاً ما زال كثير من علماء النفس الغربيين ينظرون إلى أبحاث بافلوف نظرة مقت، ويرون أن المعتقدات الثقافية تمنح الإنسان بالإضافة إلى مخه وجهازه العصبي روحاً عقلية مستقلة تساعد على التحكم في سلوكه الأخلاقي وتصيب عليه قيمته الروحية^(٣).

والخطأ الكبير الذي يقع فيه بافلوف وغيره من علماء النفس الماديين خاصة هو قياس الإنسان على الحيوان، مع العلم أن الإنسان متميز عن الحيوان بقواه العقلية التي وهبها الله إياه، والله عز وجل خاطب الإنسان بهذه القوى وطلب منه استخدامها بالوصول إلى الإيمان ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾^(٤) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٧﴾.

ويوم لا يستخدم الإنسان هذه القوى العقلية يهبط إلى مستوى الحيوان؛ قال تعالى واصفاً الكافرين ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ

(١) ارجع إلى « الحرب النفسية » صلاح نصر ج ٢ ص ٦٠ / ٥٩.

(٢) فخري الدماغ - غسيل الدماغ - ص ١٣٢.

(٣) صلاح نصر - الحرب النفسية ج ٢ ص ٥٨.

هُمُ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
الضَّمُّ الْبِكُمْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾.

هذا بالإضافة إلى القوى الروحية التي هي أساس السلوك الأخلاقي عند الإنسان وتحكم بهذا السلوك، لذا ليس من السهل غسل عقل الإنسان، لأنه ليس دماغاً أو جهازاً عصبياً فقط، والتأثير يمكن عن طريق الاستهواء على أناس يفقدون من القوى الروحية الإيمانية التي تثبت الإنسان، في أوقات الشدائد، والدليل على ذلك أن التأثير الشيوعي بعد الحرب الكورية، كان فاعلاً في جنود الولايات المتحدة الأمريكية وجنود بريطانيا، فقد انهارت نسبة كبيرة منهم، بينما لم يراجع أي جندي تركي مسلم آنذاك^(١).

وإن مؤلف كتاب «غسيل الدماغ» أرجع ثبات الأتراك المسلمين إلى التفاهم حول بعضهم مع وجود قيادة متسلسلة من بين الأسرى استطاعت إدارة ونوجه المجموع نحو تحمل البعد والوحدة والعذاب النفسي^(٢).

ولا ندري من جاء بهذا التفسير لثبات الجنود الأتراك ولماذا لا يكون الإسلام، هو سبب الثبات، وإذا كانت القيادة هي السبب، ألم تكن للجنود الأمريكيين والإنكليز قيادة؟

(٣) طريقة غسل الدماغ.

تتم عملية غسل المخ على طريقتين :

(١) الطريقة العنيفة.

(١) فخري الدباغ - غسل الدماغ ص ٣٢٢.

لقد اشترك الجنود الأتراك في الحرب الكورية مع الجيش الأمريكي.. وعن طريق الجنود الأتراك دخل الإسلام إلى كوريا في الخمسينات..

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩.

ب) الطريقة التربوية الهادئة، وهذه يمكن أن نسميها التحوير الفكري أو الإقناع الخفي.

أ- الطريقة العنيفة، وهي التي ركز عليها العلماء وشرحوها وبينوها لأنها ألصق بالاصطلاح، وهي الأساس الذي اعتمد أولاً في عمليات غسل المخ في البلاد الشيوعية، والتي هي من ابتكارهم، والمعبرة عن وحشيتهم تجاه الإنسان المكرّم عند الله، وعندما يطلع المرء على أسلوبهم هذا وأسلوب تلامذتهم في البلاد الإسلامية بعد أن حكموا البلاد والعباد بالحديد والنار، سيعرف مقدار عظمة الإسلام في رفعه لشان الفرد وعدم إكراهه على أمر ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (هود: ١٠٦) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (ص: ١٠) ونشمل طريقة غسل المخ بهذا الأسلوب نقطتين:

- الاعتراف بالكشف عن الأخطاء.

- إعادة التعليم والتخفيف، أي إعادة تشكيل الفرد في الشكل المطلوب^(١).

ويصل الفرد إلى الاعتراف بالأخطاء، والوقوف موقف العداء من أفكاره السابقة كلها، لا بد من تعريض الفرد لتوترات شديدة.. وتشمل المراحل الآتية:

١- عزل الفرد اجتماعياً عزلاً كاملاً وحرمانه من أي مشيرات خاصة بالموضوعات المطلوب غسلها (في مستشفى أو معتقل أو سجن)^(٢) وبعد فترة من القلق المستمر، وتطبيق بعض الأساليب الأخرى التي ستذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب، ومن المحتمل أن ينحطم الإنسان تلقائياً وبدرجة ملموسة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعترف به ويصبح في يأس ونعاسة « وهناك وسيلة معروفة استخدمت في السجون السياسية وهي أن يوحى إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع

(١) محمد عبد القادر حاتم - التراي العام وتأثيره بالحماية والإعلام (ج ٢ ص ١١٠).

(٢) د. حامد عبد السلام زهران - علم النفس الاجتماعي - ص ٣٦٢.

صوتاً واحداً من أجله وأن يحبه وأصدقائه تخلّوا عنه مما يجعله يشعر بأنه أصبح وحيداً تماماً فينقاد إلى المحاكمة المحزنة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطأة وعنفاً»^(١).

٢- الضغط الجسماني: ويشمل تعريض الفرد لمؤثرات الجوع والتعب والألم، والأساليب الأخرى مثل الصدمات الكهربائية واستخدام العقاقير المخدرة والتعذيب الشديد، وهذه تضعف قدرة الفرد على التحكم في إرادته^(٢). وهذه الأمور كلها الهدف منها الوصول بالفرد إلى درجة الإعياء والانهيار حتى يكون عقله قابلاً لتقبل أي توجيه من المستجوب .. ويشمل الضغط الجسماني إضعاف الفرد عن طريق تقليل ساعات نومه أو الحرمان منه، ونقص الغذاء أو الحرمان منه وحرمانه من الملابس الكافية المناسبة. واستخدام كل ما من شأنه أن يجعل الفرد في حالة اكتئاب شديد غير قادر على القيام بأي نشاط، والعمل على اضطراب التوجيه لديه بالنسبة لنفسه وذاتيته، وبالنسبة للزمان والمكان، وإشعاره أنه تحت ضغط تام، وتعريضه للمرض الجسمي والمرض العقلي وحتى الإشراف على الموت.^(٣) وجعل الفرد في حالة « يكلم فيها نفسه » أو تظهر لديه أعراض مثل

(١) صلاح نصر - الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٣.

(٢) حامد زهران - علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

(٣) يقول المشير علي جريشة في كتابه - في الزنانة - يصف الوان التعذيب التي وأما بنفسه، ومر بها في تجربة شخصه : « هنا جحيم من صنع البشر، الوان لا تحظر على بال، جثت معلقة من أوجطها، مملوخة من جلدها، تماماً كالنبات، تصاعد منها مرخات ثم تخفت لئلا تات، ثم تخفت الأتات إلى أنفاس تتردد، حتى تلفظ الأنفاس، طبعاً السليخ يتم بطريقة مؤلمة .. هي الضرب السياط .. ثلاثة أو أربعة على واحد حتى ينسلخ جلده ويفر كوه بين الحياة والموت، كلاب متوحشة تعوى وتهاجم وتقتطع أجزاء حية من الأجساد .. أسلاك الكهرباء تسري في الأسناد وتصيبها برعدة شديدة وتركها كذلك بين الموت والحياة .. نزع الشعور وانتلاع الأظافر .. الحرمان من الطعام ومن الشراب في عز الحر .. زنانة لها عتبة عالية تملأ بماء بارد، يقذف فيها المعدب يومين أو ثلاثة، بلا نوم، بلا راحة، بلا جلوس .. الكيبت مع الكلاب .. » ص ٦٥ ط

الطلوسات والأرواح. وحسب شخصية الفرد ونمط انفعالاته ومعتقداته ونقاط قوته وضعفه، فقد يظهر البعض مضطربين وقد يتغير البعض بشكل ظاهر، وقد يقاوم البعض^(١).

٣- التهديدات وأعمال العنف: « يتخذ هذا الأسلوب شكلين متناقضين، فإما أن يكون مباشراً كاستخدام العنف والضرب والركل حتى الموت، وربط المسجين إلى أسفل بحيث لا يستطيع حراكاً ثم يوضع حجر ثقيل فوقه ويترك هكذا لمدة طويلة .. إلى غير ذلك من الوسائل غير الإنسانية^(٢).

وإما أن يكون التهديد والعنف بشكل غير مباشر، فمثلاً قد يعامل الفرد معاملة ودبة طيبة، وينكرم المستجوب فيعطيه لقافة تبغ، وفي أثناء الحديث يسمع هذا الفرد زميله في الغرفة المجاورة بصرخ من الألم لرفضه الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه نفسها، أو أن يوضع عدد من السجناء في زنزانة واحدة وعندما يعود أحد الزملاء مخضياً بدمائه كقطعة من اللحم أو تعاد ملابسه في لقافه صغيرة .. يكون هذا كافياً للأخرين كصورة من التهديد غير المباشر^(٣).

٤- الإذلال والضغط: تعتمد هذه الوسيلة على اتباع كل نظم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الإذلال في أسلوب: تناول الطعام والنوم والاختسال وما إلى هذا طبقاً لنظم محددة، مع العلم عدم القيام إلا بإذن من الحارس، وإخفاء الرأس وإبقاء الأعين موجهة إلى الأرض أثناء التحدث إلى الحارس، بالإضافة إلى السب والشتم بأقذع الألفاظ^(٤).

(١) حامد زهران - علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٣.

(٢) صلاح نصر - الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٦.

(٣) صلاح نصر - الحرب النفسية ص ٣٦ ج ٢.

(٤) هذا الأسلوب يتبع في كل السجون السياسية، إذ أول ما يبدأ بالسجين هو إهائه وإذلاله.

٥- الدروس الجماعية: واستخدمت الدروس الجماعية اليومية في الصين حيث كانت تدرس العقيدة الجديدة بواسطة قراءات ومحاضرات تتبعها أسئلة ليثبت كل فرد فهمه للدراسات التي يتلقاها، على أن يتبع هذا مناقشات يطلب فيها من فرد أن يوضح كيف يستنبط الأهداف من مقدمات الدراسات الشيوعية، وكيف يمكنه تطبيقها هو بالنسبة لنفسه. ويعتبر النقد المتبادل ونقد النفس جزءاً مهماً من المناقشات التي تجري بين أفراد الجماعة.

وفي هذه الجلسات يمارس موظفو السجن والزملاء في زنازات السجن ضغطاً مستمراً على السجن لجعله يعيد تقويم ماضيه من وجهة النظر الشيوعية لينحقق من إثمه ويعترف بجريمته^(١)، وإقناعه بأنه منهم بنهم خطيرة لكنها غامضة ولا بد أن يعترف بها ويقرر أنه مخطئ ومذنب، وتنمية الإحساس بالذنب لديه، وأن ما يلاقه من معاملة إنما هو نتيجة لأنه مذنب وليس ظلماً واقعاً عليه. ولتشكيكه في أصدقائه وفي الجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها ومعايير السلوكية السابقة حتى يتبرأ منها، وللغضاء على أي ولاء لماضيه، مع دفعه إلى الاعتراف حتى يتم شفاؤه.

٦- المعاملة اللينة^(٢): ثم تبدأ مرحلة اللين والهواة والنسائل والرفق والاعتذار عن المعاملة السابقة وإظهار الصداقة، وإتاحة الفرصة أمام الفرد لبلمس ذلك (فسجين الزنازة يخرج إلى الشمس والهواء تحت حراسة مخففة أو دون حراسة، والمتضور جوعاً يأكل ويشرب الشاي والقهوة، وتتحول التحقيقات والاستجوابات إلى مناقشات، ويتغير إهمال شأنه إلى عناية).

(١) صلاح نصر - الحرب النفسية - ج ٢ ص ٢٨.

(٢) حامد زهران - علم النفس الاجتماعي - ص ٣٦٣.

ومن خلال هذا كله يحمل الفرد على مزيد من الاعتراف وهذا يعتبر إجباراً على الاعتراف، لأن الفرد قد أصبح يعرف أنه إذا اعترف فإن المعاملة ستزداد تحسناً ويمكنه أن يعيش . وتزداد محاولات « جعل الفرد يتكلم » يقول: « كل شيء وأي شيء » وتزداد الضغوط لكي يعترف .

٧- الإقناع والتعليم: ثم يبدأ إقناعه عن طريق المقابلات الشخصية بوجهة النظر والأفكار المراد غرسها. وهذه عملية إعادة تعليم تستخدم فيها كل الأساليب الممكنة حيث يتعلم الفرد أن يتخذ نفسه ويلعن كل ما كان منه. يلي ذلك مرحلة اعتراف نهائي. ويحدث تغيير مفهوم الذات لدى الفرد ويستخدم أساليب مثل: التنويم الإيحائي^(١) أو الإيحاء النفسي^(٢) حيث يكون الفرد مائلاً تماماً للإيحاء.

(١) التنويم الإيحائي أو الاستهواء المغناطيسي وهو نوم اصطناعي يحدث بواسطة الإيحاء والسأم الناتج من تكرار منه معين لا بواسطة مادة مخدرة، ومع أن النوم المغناطيسي هو نوم جزئي يشبه أحياناً النوم الطبيعي في بعض مظاهره رتب أصول علم التنويم العليل النسائي « مسر » وذلك في أواخر القرن الثامن عشر ثم جاء بعده (ليبوت) و(شركو) و(برنهام) هؤلاء حولوا مغناطيسية (مسر) إلى علم جديد أسموه بالتنويم، وابتدأوا يطبقونه في شفاء الأمراض العصبية والتنسية والفكرية، ولا يزال هذا العلم في رُئي دائم حتى اليوم.

(أرجع إلى معجم مصطلحات علم النفس - عزيز وهيبه الخازن - بيروت ١٩٥٦ ص ٥٩) مادة التنويم أو الاستهواء المغناطيسي.

(٢) الإيحاء النفسي: هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحماً دقيقاً، والفكرة المحي بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس لتعمل فإن المرء يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع.

وهو أيضاً محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه اخركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والنهي، وكل إنسان قابل للإيحاء، وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والضعف العقلي عادة وضعف القدرة على التمييز والتفند والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي. (المرجع السابق ص ١٤١ - مادة الإيحاء ، الاستهواء ، التلقين).

ثم يتم محو الأفكار المراد محوها تماماً. وتقدم بعد ذلك الأفكار الجديدة ويحمل الفرد على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة ومن ثم يتم تحويل الفرد إلى فرد جديد^(١).

ب - الطريقة التربوية الهادئة: هذه الطريقة من غسيل الدماغ تتم بأسلوب هادئ، لطيف، وتلبس ثوباً جميلاً براقاً، يستهوي الألباب، ولكن غايتها نفس الغايات من الأسلوب الأول: إخلاء العقل الإنساني من كل الأفكار والمعتقدات السابقة وتهبته لتعلم عقائد وأفكار جديدة.. وهذه الطريقة صور مختلفة نعرض منها ما يلي:

١- الأسلوب التبشيري (أو التنصيري): أورد مثلاً بين الأسلوب التبشيري في غسيل الدماغ.. وهنا العملية لا تحتاج إلى جهد كبير، لأنها تتعامل مع أطفال، قلوبهم صفحة بيضاء أو كما يقول الغزالي رحمه الله « جوهرة خالصة قابلة لكل نقش» فهم مهياون لتلقي أي أفكار، أو عقائد.. من قبل المبشرين، والتونر النفسي الذي يوضع فيه الإنسان لغسل دماغه.. يستبدل بتونر اجتماعي نفسي يوضع فيه اهالي الأطفال، مما يجعلهم لقمة سائغة للاستجابة إلى ما يطلب منهم بكل راحة وهدوء..

يقول الدكتور محمد الطواري^(٢): في أرائل عام ١٩٦٦م كنت أودع أحد الأخوة في محطة القطار بمدينة بروكسل في بلجيكا، وبينما نحن في انتظار موعد القطار إذا بنا نشاهد على الرصيف المقابل قطاراً احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يُودعونهم وينهم عدد لا بأس به من الرهبان

(١) على النفس الاجتماعي - زهران - ص ٢٦٣ - ٣٦٤.

(٢) في محاضرة القاها في: اللقاء الثالث لتنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩٦ / ١٦ أكتوبر ١٩٧٦ طبعته المحاضرات في مجلد بعنوان: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

والرايات . لقد لقت نظرنا هذا المشهد العجيب وأردنا استطلاع الأمر، فذهبنا إلى الرصيف، وتبين لنا هناك أن الأطفال هم أبناء عائلات إسلامية تعمل في شمال فرنسا في عدد من المعامل والمناجم ضمن شروط معيشة سيئة ووضيعة، ويعاني أبنائها نقصاً كبيراً في التغذية والرعاية الصحية، وتنبهت لهذا الأمر جمعيات تنصيرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فأرسلت أفراداً منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوتات نصرانية تستقبلهم وتعني بتغذيتهم وتقديم لهم الرعاية والعناية، وكل وسائل التسلية والترفيه خلال فترة الصيف إلى ما هنالك من الأمور التي تترك أكبر الأثر في نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

لقد شاهدت بعيني هؤلاء الأطفال في أحسن حلة في اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيديهم الهدايا والحلوى ولذائد الطعام، واضرورت الدموع في عيون كثير منهم أسفاً على المراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وفعلت فيهم فعلتها ووصلت إلى غايتها المشودة، حتى إن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفوس بعض المودعين فلوحوا بأيديهم وأعينهم تفيض من الدمع.

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة من نوعها، فقد صادفنا مثيلات لها يوم أن هاجر عدد كبير من العائلات الألبانية المسلمة، هرباً بدينهم من الشيوعية إلى ديار الغرب، فتلقفتهم في بلجيكا الجمعيات التبشيرية لتأمين سكنهم ومعاشهم وتدير شؤونهم والعناية بأطفالهم.

وكذلك يوم حلت الهزة الأرضية بمدينة أغادير في المغرب، جيء بعدد من الأطفال يتنامى المسلمين إلى أوروبا وأقاموا أياماً طوالاً بين العائلات النصرانية باسم الإنسانية، وتحت الإشراف المباشر للجمعيات التبشيرية النصرانية. واتبعت المدارس التبشيرية من روضة الأطفال وحتى الجامعة هذا الأسلوب من غسل الدماغ لسليح الإنسان المسلم من عقيدته أولاً ثم توجيهه نحو الغرب، وحب الغرب وتاريخ الغرب، وعلم الغرب... حتى ولدت عنده عقدة « الخواجا » المعروفة في بلادنا الإسلامية.

٢- الأسلوب الإعلامي: يقوم الإعلام المعادي في الغرب والشرق، وإعلام تلاميذه بهذه المهمة أيضاً من عملية غسيل الدماغ للفرد المسلم ولتحقيق هدفه يسير الإعلام المعادي في خطين متوازيين:

- التعنيم نعتياً رهيباً على ما يضر مصالحه وينفع غيره.
- إلغاء الأضواء على ما يخدم مصالحه فقط.. مع التلميح الشديد لأهوائه ومآربه البعيدة.

وبهذا الأسلوب .. تم التعنيم على كل خير وصالح في الدعوة الإسلامية ودورها في المجتمع، ومعارضتها الشديدة للشر أينما كان.

وبالمقابل تقوم وسائل الإعلام كلها من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب وسينما (وفيديو) .. تقوم بإلغاء الأضواء يوماً ، وبشكل دائم ، على تغريب المجتمع المسلم وسلخه من عقيدته بالميوعة والتحلل، والاتصاف بالدنيا وحب المادة والتكالب على المال، وعبادة الدرهم والدنيا والمرأة، ويكفي المرء نظرة واحدة على وسائل إعلام الكثير من الدول الإسلامية، والتي هي ظل لوسائل الإعلام الأخرى الشرقية والغربية ليرى بنفسه برهان ذلك.

٣- الأسلوب التربوي التعليمي: وتقوم بهذا الدور الجامعات الغربية والشيوعية في بلادها، فهي تغسل دماغ طلابها - إلا من رحم الله - من كل عقيدة سابقة ومن كل سلوك أخلاقي، وكل فكر صادق، لتجعله إنساناً آخر، بعيداً كل البعد من أخلاقه ومبادئه ودينه.

« إن صفوة الأذكيا وخيرة الشباب من أبناء المسلمين يدرسون الثقافة العصرية في أوروبا وأمريكا - خاصة - ويخوضون خلال ذلك في لجة الحضارة الغربية ويعيشون الانطلاق الأخلاقي والتحلل السلوكي والنظرة المادية المسرفة والاتجاهات الإلحادية والسياسية من قومية واشتراكية وليبرالية فيرجع معظمهم دعاء متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية ونشر قيمها ومفاهيمها وتصوراتها.

بل رجح كثير منهم منسبوعين بروج الغرب، يتفلسفون برثة الغرب ويفكرون بعقل الغرب ويرددون في بلادهم صدى آسآلتهم المستشرقين وينشرون أفكارهم ونظرياتهم بإيمان عميق وحاسة زائدة ولياقة وبلاغة وبيان، ومن هنا يكون خطر هؤلاء أعظم من خطر آسآلتهم».

«والخطورة البالغة تكمن في أن يتسلم هؤلاء المبتعثون بعد عودتهم مسؤوليات التوجيه والتربية والإعلام.. إنهم عندئذ يسلمون أمتهم عن دينها، ويقومون بعملية مسخ لواقعها وقيمها ومثلها»^(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة .. فهذا طه حسين عندما رجع إلى مصر بعد أن غسل دماغه من كل قيمة إسلامية تلقاها قبل ذهابه إلى فرنسا لإتمام دراسته العالية . نادى في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » بالأمور الآتية:

١- الدعوة إلى اتباع مصر للحضارة الغربية خيرها وشرها وفتح ما يربطها بقديها وإسلامها.

٢- إقامة شؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للمدين.

٣- إخضاع اللغة العربية لسنة التطور .

هذا نموذج فقط لعملية غسيل المخ في الجامعات الغربية.. ولا حاجة للإطالة في هذا الموضوع فقد قُتل بحثاً من قبل رجال الفكر الإسلامي^(٢).

(١) الدكتور محمد بن لظفي الصباغ - الابدات ومخاطره - مجلة - أضواء الشريعة - وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة في الرياض - العدد الثامن - جردى الأخرى ١٣٩٧ هـ ص ٥٢٨.

(٢) ارجع إلى :

١- المرجع السابق.

ب- اعلام من الشرق والغرب - لمحمد عبد الغني حسن - ص ٨.

ج- الإسلام والحضارة الغربية - محمد محمد حسين.

د- اباطيل وأسماز - محمود محمد شاكر.

هـ - الأنجاعات الوطنية - محمد محمد حسين ج ٢ / ٢١٤.

وبما لا شك فيه أن عملية غسل الدماغ هذه لم تؤثر في كثير من الشباب المسلم المتمسك بعقيدته ودينه، بل استطاع هذا الشباب أن يؤسس المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.. واستطاعوا أن يقوموا بدور التيسر للغرب، وذلك بإقناعه بأن قلعة الإسلام صامدة، وأنه غزاه بعقر داره، بالإضافة إلى دوره في حفظ شباب الإسلام في الغرب من الأفكار الهدامة والتحلل الخلقي وغير ذلك من المغريات.

(٤) مقاومة غسل الدماغ والوقاية منه: كتب كثير من الباحثين عن الوسائل المختلفة لمقاومة غسل الدماغ بنوعيه العنيف واللين، وإن كنا نرى أنها وسائل فرعية أثبتت عدم جدواها في عالم الواقع وباعتراف الباحثين أنفسهم.. أما الأصل فلم يتطرق إليه الباحثون إلا الغلب، ولم يعطوه اهتمامهم مع العلم أنه وسيلة مهمة لمقاومة غسل الدماغ والوقاية منه في أي ظرف من الظروف..

هذا الأصل في مقاومة غسل الدماغ هو: العقيدة الصلبة والثبات على الحق.. وقد اثبتت الوقائع ذلك قديماً وحديثاً.. فالمؤمنون الصادقون هم الثابتون عند الفتنة ولو تعرضوا للقتل والتعذيب والتحريق من قبل الكافرين.. ونرى معاً بعض النماذج للعقيدة الصلبة وهي تمشي على الأرض:

١- أصحاب الأعدود، ذكرهم القرآن الكريم، مثلاً للنصليّة والثبات على الحق ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١٠٠﴾ وَالنَّوْمِرَاتِ الْوَعُودِ ﴿١٠١﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿١٠٢﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿١٠٣﴾ أَلَسَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿١٠٤﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿١٠٥﴾ هود: ١٠١ ويقص الرسول ﷺ قصة أصحاب الأعدود.. ضارباً المثل لأصحابه في صبر المؤمنين، فنقطع هذا المقطع من آخر القصة التي رواها مسلم في صحيحه: « فأمر بالأعدود (أي الملك الكافر) بأفواه السكك فحدّت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحجموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعهما صبيّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام (يا أمه اصبري فإنك على الحق)»^(١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٢٠ ورواه البخاري (فتح الباري ج ٦ ص ١٢٨).

٣- عدم التعاون مع القوى التي تريد غسل دماغه، وتقهيره وتفتاده إلى مآربها، لأن المؤمن يحتفظ بكيانه وتفكيره الأصيل ، لذلك فإن عدم الاهتمام واللامبالاة وعدم الإصغاء الجدي للعدو خير سلاح ضد غسل الدماغ.

٤- شغل النفس بأمور أخرى حتى لا يقع تحت تأثير الإيحاء .. مثل قراءة القرآن وقراءة الأدعية الماثورة ، وتحميل صور مختلفة للمجاهدين والشهداء في سبيل الله، وكذلك بذكر الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب ».

٥- اختلاق الجو المريح : الجو المريح درع واق أمام الهجوم الفكري الرامي إلى تفكيك الوحدة الفكرية والانسجام الداخلي للفرد. وعنصر الإيمان يعزل المرء عن المؤثرات والمثبطات والتهديدات الخارجية.

٦- الاستعلاء على القوى المعادية: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المدثر: ١١٣] فالؤمن يشعر أنه هو الأعلى دائماً في قيمه وتصوراته وعقيدته.. وأن هؤلاء الأعداء ما هم إلا عبدة الأوثان والغووى والشیطان .. فكيف يخضع لهم؟ وكيف يستجيب لما يريدون؟

هذا الشعور يرفع من الروح المعنوية للمرء ويجعله يتفادى الاستسلام ومحاولات غسل الدماغ.

٧- القيادة الجيدة التي تفود الجماعات، وتسوسهم ، وترعاهم بشكل دائم، هي التي تبعث الاطمئنان للأفراد في أوقات الأزمات والمحن، والمعارك، وهي التي تعزز مقاومة التحوير الفكري للأفراد وتطرد عنهم أي تخاذل أو نكوص.

٨- اكتساب الراحة الجسمية: من وسائل تحوير الأفكار وغسل الدماغ التحجوع والإرهاق واضطراب النوم وتقليل التدفئة واستبعاد كل راحة.. والفرد الممرض لفسيل دماغه وتحوير فكره يستطيع أن يهتبل الراحة الجسمية إذا عرف كيف؟ ومتى؟ ولو فترات قصيرة وعليه الابتعاد عن المموم والقنوط لأنها لو وحدها تفقد

الإنسان من وزنه وتضعفه وكذلك الابتعاد عن الانفعال لأنه يرهق الجسم بالإضافة إلى النفس^(١).

هذه بعض الوسائل للوقاية ولتقاومة غسل الدماغ .. الذي هو منهج من مناهج الجاهلية المعاصرة، وسلاح من أسلحتها في الحرب النفسية، والتي نشنتها على من يخالفها في فكرها وعقيدتها.. ونعود للسؤال من جديد.. هل نجحت هذه المناهج في حمل الآخرين على اعتناق مذاهبهم الباطلة.. المخالفة للفطرة والمعادية للإنسانية؟

نقول: قد تكون قد نجحت بشكل جزئي ، ولكنها لا بد أن تفشل وتتصر القيم الحثيرة التي تسمى لخير الإنسان والبشرية جمعاء... ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَأَيُّهَا جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَسِينَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [١٣٠].

(١) د. فخري الدباغ - غسل الدماغ ص ٢٢١.

المبحث الثاني

نماذج من الدعايات المعادية

نتناول الآن ثلاثة نماذج من الدعايات المعادية للإسلام والمجتمع الإسلامي،

وهي:

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية.

ثانياً: الدعاية الشيوعية الملحدة.

ثالثاً: الدعاية الغربية الصليبية.

ونظراً لخطر هذه الدعايات الثلاث اقتصرنا عليها، وسنبسط فيها البحث، حتى يطلع المسلم على مكامن الخطر فيحذره، ويعرف مصدر الشر فلا يقع فيه.

والحق أن الدعايات الثلاث هذه تمثل الثالوث المعادي للإسلام وتقف بتحالف شرس على الرغم من تباين أهدافها ضد الإسلام والمسلمين، وتعتبره عدوها الأكبر، الذي يجب أن تقضي عليه، حتى تحقق أهدافها في التفرير بالمسلمين أولاً وابتلاع دار الإسلام ثانياً.

كفى هل وعى المسلمون هذه الدعايات حتى الوعي، واتخذوا التدابير الكافية للوقاية من شرورها؟ هذا السؤال جوابه عند المسلمين، الواعين منهم بشكل خاص، الذين يدركون جيداً مدى خطر هذا الثالوث. في هجمته الشرسة على الإسلام والمسلمين، ومما زاد البلاء بلاء « والحشَفُ سوءَ كيلة » أن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية ذاتها تُستخدم ضد عقيدة أمنها وبلادها، وكيف لا ومازالت وسائل الإعلام في أكثر العرَبية والإسلامية عبدة للإعلام الغربي خاصة ولوكالات أنبائه، تنقل عنهم حرفياً الأخبار وتفسيرات الأخبار من وجهة نظرهم المنطلقة من مصالحهم الخاصة.

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية:

(١) مراحل الدعاية اليهودية: لا نريد في هذا البحث أن نذهب بعيداً في تحليل الدعاية اليهودية وتفصيلها، أو نبيان تاريخها القديم مع الإسلام خاصة، وإنما همنا الأول أن نشير إشارات سريعة إلى الدعاية اليهودية ومراحلها التي مرت بها بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٧م وحتى الوقت الحاضر، وكيف أنها كانت تسير في خطة دقيقة، لكل مرحلة من المراحل.. فضلاً عن بناء هذه الدعاية على أسس مدروسة، مستندة على نظريات علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته العملية في الأفراد والمجتمعات..

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يفتنون في نوم عميق، لم يستيقظوا فيه إلا بإعلان «الدولة اليهودية» المزعومة في فلسطين واعتراف الدول بها وعلى رأس هذه الدول روسيا وأمريكا..

وإن في إطلاع المسلم اليوم على ماهية الدعاية اليهودية وتخطيلها والمرتكزات التي تستند عليها والمذاهب التي تسخرها لخدمتها.. يزيد في وعبه لحاضره ومستقبله ليدرا عن نفسه الخطر، ويعد للأمر عدته لتحرير أرضه ومقدساته، وردع اليهودية العالمية التي تعيش في ظل الدول الكبرى.

وقد مرت الدعاية اليهودية في خمس مراحل نوضحها فيما يلي:

المرحلة الأولى: هذه المرحلة أطلق عليها مرحلة «الدفاع اليهودي» وتبدأ إجمالاً منذ الثورة الفرنسية ١٧٨٧م وتنتهي في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت مرحلة أعدت لتكون الأرضية المهيأة للدعوة الصهيونية على أنها حركة سياسية قامت على أساس استخدام الأدب، وإعادة كتابة التاريخ ليكونا وسيلة من وسائل الدفاع عن الطابع اليهودي، وذلك لإحياء الشعور بأن اليهودي لا يختلف عن غيره، وأن عليه أن ينظر إلى الآخرين نظرة المساواة لا نظرة التبعية، ونعرف قيمة هذه المرحلة إذا

عرفنا وضع اليهودي في المجتمعات التي كان يعيش فيها، وأنه كان منبوذاً، يشعر بالذل والضعف والاحتقار من قبل الآخرين^(١).

المرحلة الثانية: وتبدأ بالقرون العشرين وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، وفيها يضع « هرتزل »^(٢) كتابه عن الدولة اليهودية، وفيها تصبح الدعاية الوجه الآخر للحركة السياسية، إذ تنجح إلى الرأي العام الدولي، وعلى وجه التحديد ذلك الرأي العام الذي يستطيع أن يؤثر في القوى المتحكمة في السياسة الدولية بقصد اكتساب تلك الشرعية التي هي في أشد الحاجة إليها، مع القيام بعملية تخدير وتعتيم كاملة لحقيقة أهداف الحركة الصهيونية^(٣).

وفي هذه المرحلة نبلور الفكر اليهودي بإيجاد الحركة الصهيونية، وهي الحركة السياسية التي تزعمها « هرتزل » ووقفت نفسها على إيجاد وطن لليهود، يجتمعون فيه، وإن كانت الأفكار الصهيونية، والمؤسسة للمنظمة الصهيونية العالمية، وجدت قبل نهاية القرن التاسع عشر عند كل من الحاخام « يهودا القالعي »^(٤) والحاخام « زفي هيرش كالبشر »^(٥).

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية - الدكتور حامد ربيع - ص ٦٠.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) أول رئيس للمنظمة الصهيونية.

(٣) ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع ص ٦١.

(٤) الحاخام يهودا القالعي (١٧٩٨ - ١٨٧٨م) ولد في سراجيفو عاصمة إقليم الصرب اليوغسلافي، أصبح حاخاماً تشبهاً بوالده ونشر في ١٨٣٤م كتاب تحت عنوان « اسمع يا إسرائيل » عبر فيه عن ضرورة القيام بمجهودات ذاتية لتخليص الذاتي ودعا فيه إلى اضرة الجماعة والحاد اليهود واختيار قادتهم وإل تكوين ما أسماه (بالجمم اليهودي العالمي) وهو ما تخفض بعد ذلك عن المنظمة الصهيونية.

(٥) الحاخام زفي هيرش كالبشر: برليندي. ظل يعمل حاخاماً لمدة ٤٠ سنة وبعد من أوائل الدعاة الصهيونيين (١٧٩٥ - ١٨٧٤م) ولم تخرج دعوة كالبشر عن عملية إضفاء الشرعية الدينية -

وكانت دعوة القالمي واضحة، إلى الدولة اليهودية، والعودة إلى الأرض المقدسة فكما يقول في رسالته المعنونة باسم « الخلاص الثالث » ١٨٤٣ م ونصه: « مكتوب في التوراة : (ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل) وقد علق الحاخامون على هذا القول في التلمود بما يلي: إنها برهان على أن الحضور الإلهي يتم في وجود اثنين وعشرين ألفاً من اليهود معاً . ثم يستطرد الحاخامون ومع هذا نصلي كل يوم: دع عبوتنا تشاهد عودتك برحمة إلى صهيون (وتقال ثلاث مرات يومياً في الصلاة الصامتة) ثم يسأل القالمي : على من سيقع الحضور الإلهي ؟ على الأرض والحجارة؟ إذا كخطوة أولى لخلاص نفوسنا يجب أن نعمل على إعادة اثنين وعشرين ألفاً إلى الأرض المقدسة. وحرّم القالمي اسم إسرائيل على اليهود إلا في الأرض المقدسة فيقول : (نحن شعب يليق بنا أن ندعى إسرائيل في أرض إسرائيل فقط)^(١).

لذلك يحق لكثير من الباحثين أن يعزوا إليه وإلى معاصريه إبراز الفكرة الصهيونية السياسية والرواية التفسيرية لها، في ضرورة الاعتماد على الجهود الذاتية لليهود، وفي هذه المرحلة وجدت الصهيونية في اللاسامية مجالاً خصياً لكي تؤدي دورها في مجالين مختلفين في مدلولها:

١- المجال اليهودي:

١- حاولت أن تؤكد على انفصال اليهود عن بقية الشعوب التي يعيشون بين ظهراتها، وحاولت دائماً - مستغلة في ذلك الخلفية الدينية والتاريخية - تأكيد نزعة الخوف وعدم الثقة في نفوس اليهود، حتى إن كثيراً من المؤرخين بذهبون إلى القول

- على الحركة الصهيونية . (ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف - محمود سعيد عبد انظار - القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠ - ٢١).

(١) الصهيونية وسياسة العنف - ص ٢١.

ان القادة الصهيونيين تورطوا مع مدبري الحوادث التي تعرض لها اليهود في عام ١٨٨١م وحوادث كيشينيف عام ١٩٠٣م^(١) وأنهم أدوا دوراً كبيراً في تاجيح أوار الدعوة للاضطهادية المظلمة إلى حد تعاونهم الكامل مع مدبري الحوادث التي راح ضحيتها العديد من أبناء دينهم^(٢).

٢- عملت على إيقاظ الإحساسين النفسيين: مركب العظمة بسبب الشعور بالانتماء إلى الشعب المختار، ومركب النقص الناجم عن النظرة العامة لليهود، لتعمل على تدعيم الجو الانطوائي لليهود.

٣- زيفت التاريخ وأوردت الحكايات والأساطير وأخذت تؤكد على تميز الجنس اليهودي، وجعلوا من طبيعة انتماء الأفراد إلى دينهم طبيعة جنسية، وأصبغوا على اليهود في كل زمان ومكان صبغة الأمة^(٣).

(١) حوادث ١٨٨١م: قامت موجة من الإرهاب عمث روسيا بعد اختيال القيصر الروسي الكسندر الثاني والذي حكم روسيا من ١٨٨١ - ١٨٩٥م وكان من اغتالوه ثلاثة من اليهود، فقامت ضد اليهود المذابح والاضطهادات المختلفة.

أما « كيشينيف » فمدينة روسية وصلت نسبة اليهود فيها عام ١٨٦٧م إلى أكثر من خمس سكانها، وفي عام ١٩٠٣م قامت مظاهرات وفلافل ضد اليهود قتل فيها سبعة وأربعين وجرح اثنين وتسعين ولم تتدخل الشرطة القيصرية إلى جانب اليهود (المرجع السابق ص ٢٣ و ٢٤).

(٢) اليوم تعود الصهيونية وتقوم بالدور السابق نفسه. فقد ثبت أنها وراء ما يدعي بالنازية الحديثة/ وأن هناك بنكاً يهودياً يمول عمليات النازية الحديثة، وأنها وراء كل الحوادث ضد اليهود ومؤسساتهم في أوروبا، فالتقيلة التي انفجرت أمام الكنيس اليهودي في باريس خلال تشرين أول ١٩٨١م ثبت أنها من صنع شخص يهودي: ارجع إلى مجلة الحوادث ١٣ شباط ١٩٨١ العدد ١٢٦٢ مقال بعنوان : الصهيونية تعيد « ليلة التجمعة » النازية في ألمانيا .

(٣) المرجع السابق ص (من ٢٣ وحتى ٢٦).

ب - المجال العالمي:

١- قامت الصهيونية بتأكيد الذات الصهيونية التي استمدت خصائصها من اليهودية، وحاولت حصر اليهود في النطاق الصهيوني، وربطت مصالح اليهود بمصالحها وأخذت تنوب عنهم عند حكوماتهم.

٢- قام « هرتزل » المنظم الأول للصهيونية الحديثة يتكلم باسم يهود العالم كله خلال محادثاته مع حكوماته الدول الأخرى^(١).

٣- أعادت الصهيونية كتابة التاريخ اليهودي وصياغته بشكل يتوافق مع المدلولات التي تركز عليها، وأوضحت في كثير من كتاباتها أن المساندة في إنشاء دولة لليهود وما يلي ذلك هو مرحلة البعث القومي لليهود أو كما سماها القائل « الخلاص الثالث » وأن اليهود عندما يعصبون فلسطين فإنهم يعودون إلى أرض الأجداد، حتى إنهم أطلقوا على حرب ١٩٤٨ م تسمية حرب الاستقلال.

(١) كما فعل مع « فون باكسلاف » وزير الداخلية القيصري وذلك للسماح بالهجرة اليهودية في مطلع القرن العشرين. وكما فعل مع السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٨٩٨م الذي قبله - بتوسط من السفارة الألمانية - وطلب منه السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وقدم له «هدية» تقدر بحمسة ملايين ليرة ذهبية .. وبعد أن استمع السلطان إلى هذا العرض بكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهم من القصر وأصدر على الفور أمراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين (ارجع إلى « أسرار الانقلاب العثماني » مصطفى طوران ترجمة كمال خوجه ص ١٦، ١٧ - ط بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

وهكذا يكون السلطان عبد الحميد هو السد الأخير ضد تسرب اليهود إلى فلسطين، يسجل له موافقه « هرتزل » في يرمياته، أجرت له على عروضه المالية: «إني لست مستعداً أن أخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي، وشعبي رؤى تربتها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب « أيضاً » إن جعل البضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بنرت من إمبراطوريتي» (ارجع إلى « في قضية فلسطين - الحق والباطل » نيل شبيب ص ٣٢ - ط المركز الإسلامي في لندن - ألمانيا الاتحادية ١٣٩٨ / ١٩٧٨م).

ودعوى أن اليهود يعودون إلى أرض الأجداد دعوى هزيلة تتعارض مع التاريخ نفسه، إذ يذهب كثير من العلماء المختصين بتاريخ الشعوب إلى الاعتقاد بأن يهود اليوم ليسوا أصلاً من أحفاد بني إسرائيل الذين بعث إليهم موسى عليه السلام، وليسوا من سلالة إبراهيم عليه السلام^(١).

وفي هذه المرحلة تمركزت الصهيونية في « جنيف »، وأنشأت فيها (أي في هذه المرحلة) « لجنة الإعلام العام » عام ١٩٢٩م في أمريكا، حيث استطاعت هذه اللجنة أن تدفع بإرسال نصف مليون برفية إلى البيت الأبيض، وأن تحقق تجمعاً ضم ربع مليون يهودي يصبح بالأغنية اليهودية التقليدية : « إذا نسيتك أنت يا بيت المقدس فلتصب ذراعي اليمنى بالشلل »^(٢).

المرحلة الثالثة: وتمتد هذه المرحلة من بداية الحرب العالمية الثانية وحتى الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي، وبإنشاء ما يسمى بدولة « إسرائيل » وهذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الصهيونية ، لأن الحركة السياسية انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث جعلت هدفها إيجاد تيار قوي من الراي العام الأمريكي يقوده مجلس الطوارئ الصهيوني من خلال مسالك معينة؛ بحيث تبني السياسة الأمريكية مهمة الدفاع عن شرعية إقامة دولة يهودية، وفي هذه المرحلة تتصف الدعاية اليهودية بأنها داخلية، وتنبع من مواقف داخلية بقصد

(١) لزيادة الاطلاع على التاريخ اليهودي يرجع إلى ما يلي:

- ١- « الصهيونية وسياسة العنف » ص ٢٥/٢٦.
- ٢- « في قضية فلسطين - الحزن والباطل .. (مرجع سابق)، ومن الذين ذكروا على أن يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل - على سبيل المثال لا الحصر - اليهودي « فريدريك هرتس » في كتابه (الجنس والحضارة). و« ريسلي » في كتابه (أجناس أوروبا) و« أوجسبن ستار » في كتابه (الأجناس والتاريخ) وغيرهم.

(٢) الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع - (ص ٦١ - ٦٢).

التحكم في القوي السياسية الأمريكية. وهنا نلاحظ مدى عمق التخطيط الدعائي الصهيوني، فلو أن الحركة الصهيونية جعلت منطلقها الدعائي لندن أو جنيف لما كانت استطاعت أن تغزو الرأي العام الأمريكي، السبب في ذلك يعود أساساً إلى ذلك المتغير والذي كثيراً ما يخفى على المسؤولين في الإعلام العربي، وهو أن الدعاية الداخلية تختلف اختلافاً جذرياً عن الدعاية الخارجية، فانتقال الحركة الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية سمح لها أن تجعل منطلقها الاتصالي هو نظرية الدعاية الداخلية على عكس ما كان يمكن أن يحدث لو قدر لها أن تتمركز في جنيف أو لندن، إذ إن دعائها في تلك اللحظة تصير دعاية خارجية، والواقع أن الحركة الصهيونية منذ بدايتها فهمت هذه الحقيقة، وهي لذلك عندما أرادت أن تقوم بدعاية في تركيا ومنذ بداية القرن الحالي أرسلت اثنين من قادتها ومفكريها وهم أولاً « جاكوبسن » يساعده الزعيم المشهور « جابوتنسكي »^(١) للإشراف على أجهزة الدعاية الصهيونية ابتداءً من (اسطنبول) واستناداً إلى الأقلية اليهودية الضخمة التي كانت ولا تزال منتشرة في تلك المنطقة^(٢).

(١) جابوتنسكي: روسي الأصل من مدينة أوديسا على البحر الأسود - ولد عام ١٨٨٠م وتوفي عام ١٩٤٠م. وهو من رواد الصهيونية الأوائل، ونادى بالعضف وبالقتال المسلح حتى تكون لليهود دولة في فلسطين... ومن تلاميذه في سياسته « مناحيم بييجين » (ارجع إلى « الصهيونية وسياسة العنف » زليف جابوتنسكي وتلاميذه في السياسة الإسرائيلية - إذ إن الكتاب يدور حوله).

(٢) « فيكتور جاكوبسن » وهو مندوب المنظمة الصهيونية في العاصمة التركية « دافيد والفسيون » زعيم المنظمة بتركيا، وفعلاً وصل جابوتنسكي إلى اسطنبول عام ١٩٠٩ وتشكلت اللجنة الصحفية في تركيا من كل من (جاكوبسن وهو تشيخبرغ وجابوتنسكي) وأصبح الأخير مشرفاً على الوكالة الصحفية الصهيونية التي تصدر في الأستانة والتي تضم الصحف الآتية:

١- صحيفة « الشباب التركي » وتصدر باللغة القريسية.

٢- « الفجر » مجلة أسبوعية وتصدر بالفرنسية أيضاً.

٣- مجلة أسبوعية باللادينو (اللغة اليهودية الأسبانية).

وفي أمريكا تحددت أهداف العمل الدعائي بالنسبة للصهيونية السياسية في أربعة أبعاد:

أ- اكتساب الرأي العام المحلي الأمريكي بحيث يصير قوة مساندة للحركة الصهيونية في النطاق الدولي.

ب- القضاء على أي فرقة داخلية من حيث التعبيرات الدعائية، أن خلافات الأسرة لا يجوز أن تخرج من نطاق منزل العائلة أمام المجتمع الخارجي بحيث تظهر الحركة الصهيونية قوة واحدة متماسكة لا تنقسم.

ج- الحركة الدعائية وقد أضحت مركزية، مركزة ومتناسقة فمن الطبيعي أن يسهل عليها أن نصير عدوانية مهاجمة استفزازية ولا نكتفي باخذ موقف الدفاع عن القضية.

د- وذلك إلى جانب خلق درجة معينة من درجات التضامن مع المجتمع اليهودي الأمريكي والحركة الصهيونية أساسها لا فقط الإيمان بتلك الدعوة بل والتعصب في الدفاع عن المبادئ التي تتضمنها العقيدة الجديدة^(١).

٤ - مجلة أسبوعية باللغة العبرية وتدعى (المبشر) وكتب فيها جابوتنسكي العديد من المقالات.

(ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف ص ٥٤).

وخلل في هذا المنصب لمدّة عامين. في خلال هذه الفترة أحدث تغييراً كاملاً في أسلوب التعامل مع القوى اليهودية التركية، كانت الدعابة الصهيونية تقوم على تضليل رجال «تركيا الفتاة» في محاولة إفتاعهم بأن الصهيونية لا تسعى إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين بل إلى مجرد اتساع هجرة اليهود بحرية «على العكس من ذلك بدأ جابوتنسكي تعامللاً أساسه الدعوة في مفهومها الحقيقي: ليس الكذب وإنما الصدق، ليس محاولة الحصول على التأييد وإنما السعي نحو خلق الأنصار، وأعد نطلة بعد ذلك بغصد تنفيذ حركة ثقافية تربط اليهودي بتقاليد الحضارة» (ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع ص ١٠٤).

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية ص ٦٦.

والذي يعيننا في هذه المرحلة البحث عن أسباب النجاح الذي حققته الدعاية الصهيونية خلال الفترة السابقة على الاعتراف الدولي.

ايعود النجاح إلى التخطيط الدعائي للصهيونية؟ أم إلى القادة والدعاة الذين قادوا هذا التخطيط؟ أم لكليهما معاً؟

والواقع أن التخطيط يحتاج إلى قائد ينفذه بأحكام ودقة، وإلا كان حبراً على ورق. لقد كانت البداية للعمل الدعائي الصهيوني في أمريكا، دراسة الخلفية الاجتماعية له.. ما هي شرائح المجتمع التي تتوجه الدعاية له؟ فهناك:

أولاً: اليهودي الأمريكي: الهدف بخصوصه واحد لا يتعدد، هو خلق المؤمن المتعصب الذي هو على استعداد لأن يتخلى عن كل شيء، ثروته وأسرته بل وحياته في سبيل الأرض الموعودة. وإذا كان هذا الهدف هو الحد الأقصى فهناك حد أدنى في مواجهة اليهودي الأمريكي: التأييد المادي والمعنوي الإيجابي والمنظم، والمستمر الذي لا ينقطع ولا يتوقف.

ثانياً: ثم هناك الأمريكي غير اليهودي: وهنا الهدف يختلف، فالدعاية الصهيونية تسعى لأن تخلق من أبناء المجتمع الأمريكي غير اليهودي موجات كاملة لتأييد القضية أو على الأقل العطف عليها.

ثالثاً: ولا تنسى الدعاية الصهيونية من هو خارج المجتمع الأمريكي وبصفة خاصة من آمن بالصهيونية وأضحى بالنسبة للقضية يمثل الطابور الخامس في المجتمعات الأوروبية، حيث لا يزال لتلك المجتمعات أهميتها وقدرتها في نطاق التوازن الدولي ومن ثم في صنع القرار السياسي.

وهكذا نجد الشرائح الاجتماعية التي تتجه إليها الدعاية الصهيونية تتداخل: فاليهودي منه الصهيوني وغير الصهيوني، والصهيوني منه اليهودي وغير اليهودي وكل هذا لا بد أن يفرض تخطيطاً متكاملًا.

فما هي هذه الحقول التي استطاعت ان تحقق هذه العملية؟

لقد كان هناك ثلاثة مفكرين قادوا العمل الدعائي الصهيوني في المجتمع الأمريكي وهم: نويمان وسيلفر ولوين. ونرجز عمل كل واحد منهم، لنطلع على حقيقة الدعاية اليهودية ومساهاها الخبيث في كسب الأنصار والمؤيدين..

أ- نويمان^(١): قام بتنظيم لجنة أمريكية لفلسطين كانت تتكون من بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومن بعض كبار المسؤولين في الحياة السياسية الأمريكية.

وهذا يفصح عن حقيقة تصوره للحركة الصهيونية^١ وهو خلق مسالك واضحة ومحددة للوصول إلى مراكز القوى. بهذا المعنى استطاع أن يتغلغل في أوساط قادة الرأي في المجتمع الأمريكي.

وفي عام ١٩٥٤م أنشأ معهد هرتزل ثم مطابع هرتزل واختيراً مؤسسة هرتزل التي تنشر المجلة الشهيرة «ميدستريم» والتي تعد محور الدعاية والدعوة الصهيونية في الولايات المتحدة^(٢).

ب- سيلفر^(٣): هو الرجل الثاني الذي تدين له الدعوة الصهيونية بوضع قواعد وأصول التخطيط للعمل الدعائي وما قدمه حقيقة هو قيادته الواضحة التي يوزت

(١) قائد صهيوني وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو طفل، تعلم العبرية ولا يتكلم في بيته إلا بها، ولد عام ١٨٩٣م ومنذ شبابه الأول اشتهرت عنه الحركة حتى إنه في عام ١٩١٠م وهو في السابعة عشرة من عمره أسس ما يسمى بجمعية الشباب اليهودي، اشترك في المؤتمر الصهيوني عام ١٩٢٠م، مثل القوى اليهودية الأمريكية في المؤتمر الصهيوني بل وانتخب عام ١٩٣٦م عضواً في الهيئة التنفيذية للصهيونية العالمية، عقب ذلك انتقل إلى القدس حيث رأس ما أسماه «التوكاة اليهودية للإدارة الاقتصادية» (انظر المرجع السابق ص ٦٨).

(٢) المرجع السابق ص ٦٩.

(٣) سيلفر: ولد عام ١٨٩٣م في نيوآسيا وتوفي في أمريكا عام ١٩٦٣م، حصل على عدة درجات للدكتوراه من أكثر من جامعة غربية. خطيب مفوه، استطاع أن يكتل الرأي العام الأمريكي واليهودي للدفاع عن القضية الصهيونية.

منذ أن فاد الصراع في أمريكا وخارجها في سبيل الاعتراف بالدولة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها.

ج- لوين^(١): استطاع من خلال نظرياته - وهو عالم النفس - أن يقيم البناء الكلي المتكامل لمنطق الدعاية الصهيونية - وأن يواجه اليهود غير الصهيونيين والمعادية لها.. ويدرسهم دراسة نفسية واجتماعية^(٢) واستطاع بعد ذلك أن يواصل ما أسماه بفكرة الكراهية الذاتية، وأن يستخلص منها منطقاً دعائياً كان أساساً للحملة المخيفة التي تولى مجلس الطوارئ الصهيوني شنها على خصومه من اليهود.

المرحلة الرابعة: وتمتد قرابة عشرين عاماً، وذلك منذ الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي وعلى رأس هذه الدول «روسيا وأمريكا»، وحتى نكبة عام ١٩٦٧م في الخامس من حزيران. وفي هذه المرحلة صبغت الدعاية الصهيونية بطابع متميز، هذا الطابع هو أنها دعاية سياسية داخلية وخارجية بأن واحد، وقدمت هذه الدعاية بصورة ملمعة بحيث استحوذت على إعجاب الرأي العام الدولي، وهي بالوقت نفسه خدعت الرأي العام الأمريكي وأفتتعه بادعاءات باطلة ومن أشهرها تناقضاً مع التاريخ، دعواهم التي أطلقوها في العالم أنهم جاؤوا إلى أرض قاحلة خالية من السكان، أو أن سكانها أهملوها، وعجزوا عن النهوض

(١) لوين : عالم لعلم النفس والاجتماع - أصله ألماني ولد عام ١٨٩٠م وترقى في مناصب العمل الجامعي حتى وحصل إلى كرسي الأستاذية بجامعة برلين عام ١٩٣٢م، في ذلك العام هاجر إلى الولايات المتحدة وبدأ حياته في جامعة «كورنيل» ومنها انتقل إلى معهد «ماناشترستس للتكنولوجيا» حيث أنشأ مركزاً لأبحاث ديناميات الجماعة، ابتداء من عام ١٩٣٨م بدأ لوين يهتم اهتماماً خاصاً بنظرية الشخصية وعلاقتها بمشاكل الجماعة.

وكان الالتقاء بين سيلفر ولوين هو نقطة البداية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق ص (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤) للإطلاع على هذه الدراسة.

بها... وأن الصهيونيين جاؤوها رسلاً للحضارة.. ليعمروها بعد الخراب ويزرعوها بعد البوار ويصنعوها بعد التأخر^(١).

وأنهم عادوا إلى بلدتهم الأول، فلسطين، البلد الذي ظهر فيه أنبيائهم ووعدهم به توراتهم، وقام به «مبكلهم» المنتشر^(٢).

وقد أدركت اليهودية أنها، بعد الحرب العالمية الثانية، تتعامل مع إنسان يحقت الحروب والاحتلال والعدوان، ويبحث عن العمران والسلام، فرفضت شعارات «إسرائيل المعجزة» و«إسرائيل المسالمة» و«إسرائيل التي تحول الصحراء إلى جنة» و«إسرائيل الساعية لوقاية نفسها دعماً للسلام».

ثم وضعت «تكتيكاً» صالحاً لإخفاء «إسرائيليتها» التوسعية. مهّدت به الطريق، للتأكد من دعم الغرب لها في أي معركة فاصلة على أساس أن دور إسرائيل سيكون فقط وقاية نفسها لا الرد على القوة بالقوة، وما زالت تعبير الحرب الوقائية التي سادت زمن حرب السويس (١٩٥٦م) ترن في آذاننا، ومازلنا نذكر كيف استغطبت إسرائيل جانباً لا يستهان به من الرأي العام في العالم^(٣).

(١) يقول عارف العارف في كتابه «الفصل في تاريخ القدس» فصل «القدس كما رأيتها عام ١٩٤٧م» «لقد كان في القدس وحدها يوم احتلال الجزء منها : ٢٠٠ مدرسة وأكثر من ٤٠ مكتبة وداراً للكتب، وأكثر من ٢٠٠٠ جمعية ورابطة أدبية وثقافية ورياضية وخبيرية وعشرات المستشفيات، وكان فيها العديد من مصانع النسيج والقماش والخزف والبلاط والشمع والأخشاب، وكانت مركزاً تجارياً زاهراً فيه أكثر من ثلاثين سوقاً تجارية.. أما الزراعة في فلسطين فكان أشجار الزيتون التي غرست قبل خمسة آلاف عام أو أكثر لم ينقطع ثمرها إلا بعد احتلال اليهود الحديث لفلسطين».

(٢) ارجع إلى « قضية فلسطين -- الحق والباطل » تبيل شبيب ص ١٥.

(٣) تخطيط الإعلام العربي -- عقيل هاشم ص ٧١.

وبعد حرب السويس عام ١٩٥٦م وضعت اليهودية خطة جديدة في الدعاية تمشي مع خطتها التوسعية القديمة، والتي تنتظر الفرصة الملائمة لوضعها موضع التنفيذ، فأخذت الدعاية اليهودية ترفع شعارات فحواها أن العرب مصممون على إفنائها، وكورت هذه الشعارات حتى أصبحت في أذهان الناس حقيقة لا تقبل المناقشة، ومن ثم راحت تلوك عبارة « الحرب الدفاعية » متبعة ذلك حملات استدرار الدموع لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بوساطة أفلام « سينمائية » غزت بها دور السينما، والرائي (التلفزيون) في العالم، على مدى عشرين سنة ولا تزال سائرة على هذا المنوال.. هذه الأفلام تصور آلام اليهود واضطهادهم على يد الألمان النازيين مثل فيلم « آن فرانك » الذي يدور حول طفلة كتبت مذكراتها عن تعذيب النازيين لأسرتها، وكذلك أفلام تصور العودة إلى أرض الأجداد «فلسطين» مثل فيلم « الخروج » الذي يدور حول قيام « إسرائيل » الدولة المزعومة.. وأفلام تلمع وجه اليهود الكالح في نظر النصارى.. وتستهدف إبعاد تهمة قتل المسيح عن اليهود وتحميلها للرومان مثل فيلم « بن حور »^(١).

وهكذا أخذت الدعاية اليهودية منذ الخمسينات وعن طريق « استوديوهات هوليوود »^(٢) تنشر العديد من الأفلام لشحن ذكره الرأي العام في الغرب حتى لا ينسى اليهود ما أصابهم على يد النازيين وغيرهم^(٣).

(١) جريدة الرياض - العدد ٤١٦٩ - مقال « هوككومست بين شحن الذكوة واختصار التاريخ - مصطفى المصياوي.

(٢) مدينة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) إن اليهودية العالمية استغلت الاضطهاد النازي لليهود ولعدة قوميات أخرى لتبشّر على الرأي العام الدولي والشعور الإنساني ضغومتاً لا تطلق، تنيقه من أنواع انتائب واللموم على مدى ثلاثين سنة، مما جعل الرأي العام الغربي يصبح : نعم أذنبنا وقصرنا، نحن مستعدون للتكفير عن ذنوبنا فأمرونا بما تريدون ولكم ما تطلبونه وهذا بالضبط ما تريده الصهيونية، وكانت السينما

وكذلك أخذت الصهيونية تربط بين الاضطهاد النازي لليهود، والاضطهاد المزعوم التي تتعرض له الآن، مستغلة أقوال بعض الزعماء العرب، في إلقاءها في البحر، ثم راحت تتمسح بحقوق الإنسان وتنغنى بالمبادئ المثالية وكل ذلك تخديراً للرأي العام وتفسيراً للعدوان الغاشم الذي أسقط القناع عن وجه اليهودية الحقيقية ومبأسنها التوسعية^(١).

المرحلة الخامسة: وتبدأ بعد نكبة حزيران ١٩٦٧م، وهذه المرحلة تمثل نقطة الانطلاق في حركة تدريجية ترمى إلى تحويل « إستراتيجية القتال » إلى « إستراتيجية سلمية » أسامها التخلخل النفسي بالإقناع والاتصال المباشر.

« فسمى اليهود إلى نيبس العرب من الحصول على أي نصر على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يفهم.. وهذا ما يتبين من خطب الدوائر الحاكمة في «إسرائيل»^(٢) وخاصة خطب « أبا أيان » وزير الخارجية - في ذلك العهد وأن

- أداتهم في التعامل النفسي مع الرأي العام الغربي، ومن أهم الأفلام التي استخدعت لشحن ذاكرة الغرب حتى لا يمسس اليهود هو فيلم « هولوكوست » الذي يستغرق عرضه سبع ساعات، قدم بشكل مسلسل.. أخرج هذا الفيلم في نيسان عام ١٩٧٨م وعرض في أمريكا، ثم في ألمانيا وأخيراً في فرنسا (١٩٨٠م) ويحكى الفيلم قصة عائلة ألمانية يهودية تعيش في برلين ثم يقع نشيت أفرادها وترحيلها إلى « فرسوفيا » عاصمة « بولندا » حيث قامت السلطات النازية الأتية بجمع الجاليات اليهودية في محتفلات بنتها لهم.. ويتعرض الفيلم في أثناء ذلك إلى أنواع المعاملة السيئة التي تقبها اليهود على أيدي النازيين.. والغاية من الفيلم وعرضه الآن بعد مضي أربعين عاماً على الحرب العالمية الثانية شحن ذاكرة الرأي العام في الغرب وفي ألمانيا بشكل خاص ولكي تعيد في أذهان الجيل الألماني الجديد ذكرى ما فعله أبائهم، وحتى لا يعم شعور البراءة من اضطهاد اليهود، نعوس هذا الجيل (نرجع إلى المرجع السابق).

(١) - إبراهيم أمام في «الإعلام والاتصال بالجمهور» ص ٣٣١.

(٢) - كنا نفضل أن يستخدم المؤلف تسمية « فلسطين المحتلة » بدلاً من « إسرائيل » إذ إن تعبيره اعتراف ضمني بأعداء الله أنهم « دولة ».

التكثيف اليهودي يقوم على إشاعة اليأس والأمل في نفوس العرب، فهو يقول: « إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يائسين تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي» .

« وفي الوقت نفسه تسعى الدعاية اليهودية إلى إشاعة روح الأمل في نفوس العرب حول الوصول إلى سلام مع اليهود، وهكذا يكون التلاعب بالألفاظ واستخدام « التكثيف » المتناقض في وقت واحد» ^(١) وإن احتلال اليهود لأراض واسعة (سيناء ، الضفة الغربية وهضبة الجولان) أبرز منطقاً جديداً في الدعاية وهو منطق العلاقات الدولية ولو تتبعنا تطور المطالب للعدو اليهودي لبرزت هذه الحقيقة لا مجال للشك في دلالتها، وهي تطوي على المراحل الآتية:

١- هي تبدأ بالحديث عن المفاوضات المباشرة، وهذا مفهوم منطقي ومتداول في نطاق العلاقات الدولية حيث إن كل فتال لابد وأن ينتهي بالجلوس على مائدة المفاوضات.

٢- وعقب عام (١٩٧٠م) تبدأ تركز حول فكرة الحدود الآمنة فتضعه في هذا بموقف العرب من رفض فكرة المفاوضات، وفكرة الحدود الآمنة ليست جديدة في تاريخ العلاقات الدولية.

٣- وعقب أن أضحت هذه النغمة مستقرة في الأذهان بدأت تظهر « أسطوانة » جديدة حول مفهوم السلام وفرض ما تسميه بالسلام العبري، ورغم أن هذا المفهوم، أي مفهوم السلام ، هو منطلق بطبيعته لسياسة القوة، لا تتحدث عنه إلا الدول المسيطرة، إلا أن جعل هذا المفهوم يتدرج في منطلقات متتابعة ابتداء من

(١) د. إبراهيم إمام في « الإعلام والاتصال بالجمهير » ص ٣٣٢.

فكرة المفاوضات المباشرة ومروراً بمفهوم الحدود الآمنة، لا بد وأن يعطى فكرة السلام دلالة تختلف عن حقيقتها^(١).

وعلى المستوى الداخلي، في الأراضي المحتلة (عام ١٩٤٨م و عام ١٩٦٧م) بدأت الدعاية اليهودية تتحدث « بلغات متعددة» نظراً للكثافة السكانية العربية والتي باتت تحت سيطرتها، بحيث تخاطب سكان كل منطقة على حدة، إن المنطق واللغة التي تحدث بها الضفة الغربية يختلفان عن منطق ولغة أهالي غزة. ورغم أنها تجعل من هذا الحديث وسيلة وفناة لمخاطبة الرأي العام العربي إلا أنها تركز على أبعاد مختلفة تبعاً لكل منطقة: فعدم المساواة بين الفلسطينيين وأهالي الأردن، ووضوح الفقر والتخلف بالنسبة لأهالي الضفة الغربية لو قورنوا بأبناء الأردن تصير منطلقاً لحديث يختلف نبراته عندما تنتقل إلى أهالي غزة حيث نجد العزف على وتر آخر وهو الإرهاب المصري والعنجهية الغرغونية^(٢).

أما على المستوى الخارجي فإن الدعاية اليهودية أخذت مساراً آخر، فهي أولاً: تطرح الوجود اليهودي كرائد في المشرق الأوسط، وأنه يعمل على تحقيق الرسالة التاريخية الحضارية، وقيادة الإنسانية المعذبة المتركة في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

(١) د. حامد ربيع «الحرب النفسية في المنطقة العربية» ص ٩١. وانظر أيضاً «الجيروز اليم بوست» بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٧ حيث يصرح أبا إيمان وزير خارجية العدو رداً على سؤال عن إمكانية الصلح مع العالم العربي، وفيه تتضح أن السياسة الخارجية للعدو تقوم أساساً افتناع العرب بمضائق متعددة: أولاً استحقاق هزيمة العدو اليهودي من جانب العرب، وثانياً: استحالة أي تدخل اجنبي في هذا الصراع، وثالثاً: الافتناع بأنه لا يمكن تغيير الوضع القائم إلا من خلال محاولة استكشاف شروط السلام (ص ١١١ - الهوامش لنفس المصدر).

(٢) د. حامد ربيع - المرجع السابق ص ٩١.

وهي ثانياً: نحتاج إلى طاقة بشرية من اليهود، تملأ بها الأماكن الشاسعة التي احتلتها، وخاصة من يهود « الإمبراطورية الروسية » والذين أخذوا يهاجرون في موجات متتابعة إلى الأرض المحتلة^(١).

وهكذا تتضح الأهداف التي يسعى إليها العدو اليهودي من خلال دعايته الخارجية كما يلي:

١- تثبيت الأقدام حيث وصلت، وإقناع العالم بأن ما وصلت إليه يمثل الوضع القائم الذي يجب حمايته.

٢- تأكيد أن « إسرائيل » تمثل حلقة الوصل بين العالم العربي والعالم الغربي وأنها الوحيدة التي تسعى إلى تحقيق مصالح الغرب في الشرق، وعلى الغرب أن يتخلى عن فكرة اتصاله المباشر بالعرب لأنه لا يفهمهم، وهي الوحيدة التي فهمتهم.. وهذه النتائج (انتصارها في الحرب) خير دليل على صحة هذه الدعوى.

٣- إبراز « إسرائيل » على أنها وحدها تستطيع حماية الشرعية في المنطقة إذ إنها أضحت الإرادة المتحكمة والسيطرة فيها، فهي التي تستطيع وضع حد للاضطرابات وخلق حالة سلام في المنطقة . وتؤدّب الإرهابيين أينما كانوا (في لبنان وغيره) وتعلن أن هدفها هو تعقّب الثوار ضد النظم العميلة للغرب..

٤- تقديم « إسرائيل » على أنها حرة متقدمة لحماية المصالح الأمريكية، والمصالح الأمريكية كثيرة جداً في المنطقة، فالمصادر البترولية، والتحكم في البحر الأحمر ليس فقط بثرواته بل وبممراته ومواصلاته.. من أولى هذه المصالح. وهذا ينضج بارتباطاتها العسكرية والاقتصادية والعسكرية بآسيويًا^(٢).

(١) وصل تعداد اليهود الذين هاجروا من « الاتحاد السوفيتي » إلى فلسطين المحتلة إلى (١٠٠, ٢٣٦) يهودي وذلك منذ عام ١٩٧١م حتى شهر سبتمبر ١٩٨٠م (جريدة السياسة ٢٢/١٢/١٩٨٠).

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

(٢) المراكز الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي: تتضمن المراكز المنطقية الرئيسة للتخطيط الدعائي اليهودي ما يلي^(١):

- ١- أن «إسرائيل» حقيقة تاريخية: إذ إنها كانت قائمة في أرض فلسطين ثم فقدت استقلالها، وأن قيامها عام ١٩٤٨م كان بمثابة إعادة قيام الدولة، وعلى هذا الأساس يؤكد أن حرب «١٩٤٨م» هي حرب الاستقلال بالنسبة «لإسرائيل».
- ٢- في قيام «إسرائيل» تحقيق لنبوء دينية: ينحعب المنطق الدعائي اليهودي إلى أن هناك وعداً إلهياً خاصاً بإعطاء فلسطين لليهود وأن في قيامها تحقيق لنبوء دينية.
- ٣- هناك ما يسمى بالعنصر اليهودي، وأن هناك أمة يهودية تجمعها صفة القومية اليهودية على حد زعم المنطق اليهودي، وعلى أساس هذا الزعم يقتضي الأمر أن يهاجر اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى «إسرائيل».
- ٤- «إسرائيل» حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب: عاش كثير من اليهود الغربيين في أوروبا، وقد تأثر تفكيرهم بالعقلية الغربية، وأسهموا في التطور الحضاري الأوروبي لذا يزعم المنطق «الإسرائيلي» أن اليهود هم رواد الحضارة الغربية في الشرق الأوسط.
- ٥- «إسرائيل» تعبر عن العقائد السياسية المعاصرة: يأخذ المنطق الدعائي «الإسرائيلي» في اعتباره مُستقبلي الرسالة الإعلامية فعندما يتحدث إلى الديمقراطية الليبرالي يركز على النظام الحزبي والرقابة الشعبية والحريات الفردية وحماتها الخ. وعندما يتحدث إلى الاشتراكي يركز على المفكرين اليهود في المجال الاشتراكي ونظام المسنوطات الزراعية باعتبارها نموذجاً للتطبيق الاشتراكي.

(١) د. حامد ربيع - فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص ١٧٤، ٢٢، ٨٠ - بيروت - مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٠.

٦- « إسرائيل » تؤمن بالعالية: صبغت الصهيونية دعوتها باسم الصهيونية العالمية وهي تزعم أن قيام « إسرائيل » تأكيداً لبداً العالمية والقومية اليهودية تطوّر في تحقيق المفهوم العالمي الذي لم يصل إليه أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة؟

٧- « إسرائيل » تدافع عن المسؤولية التاريخية: اتجه الفكر السياسي الغربي إلى رفض تفسير التخلف على أنه نتيجة للاستعمار، إذ يقدم تفسيره على أساس الواقع التاريخي، لتحديد مسؤولية كل مجتمع طبقاً لما وصل إليه. وقد استغلت « إسرائيل » هذا المنطق في تصوير الوضع السائد في المجتمع العربي كمسؤولية تقع عليه لأنه تُخذ طبقاً لإرادته. وطبقته أيضاً في تحديد مسؤولية المجتمع الأوربي عامة والمجتمع الألماني خاصة بالنسبة للمشكلة اليهودية كمسؤولية جماعية لا يكتفي بربطها بالنظام النازي المعادي للسامية.

٨- « إسرائيل » متقدمة « تكنولوجياً » : تصور « إسرائيل » نفسها على أنها دولة عصرية تكنولوجية وترتكز على هذا المنطق تجاه الدول المتخلفة على وجه الخصوص.

٩- العالم العربي يمثل مظاهر التخلف الحضاري والنظامي والثقافي: تصور « إسرائيل » الدول العربية أنها متخلفة وأن نظام الحكم فيها دكتاتوري يتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبناء نظم عسكرية عنصرية رجعية مستغلة، كما تدعى أن النظم العربية تعاني فساداً في جهازها المالي والإداري، بالإضافة إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والطائفية في تولي الوظائف.

١٠- « إسرائيل » جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط: تركّز « إسرائيل » على أنها تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط، ونصّور أن وجودها مستقر في المنطقة وأنها ليست دخيلة عليها، وأنها دولة أسبوية لها رسالة بين دول الشرق الأوسط والدول النامية.

١١- «إسرائيل» تمثل فكرة النموذج: تذهب إسرائيل أنها تعد نموذجاً للدول النامية مما يحتم على هذه الدول أن تستفيد من التجربة الإسرائيلية التي تحققت التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وخلاصة القول أن المنطق الدعائي «الإسرائيلي» يقوم على التشويه والمبالغة والكذب والغموض، ورغم ذلك استطاعت أن تؤثر على الرأي العام بفضل ما تملكه من الوسائل الدعائية وأساليب تخطيطها وإدارتها، مما يقتضي دراستها دراسة فاحصة^(١).

(٣) الدعاية اليهودية والإسلام: حاولت الدعاية الصهيونية تصوير الإسلام على أنه دين بشري مفتيس من اليهودية، عقيدة وأخلاقاً، وهي بهذا تسير على منهج المستشرقين المعادية للإسلام نفسه في القديم والحديث، والذين حاولوا دائماً أن يؤسسوا الإسلام على اليهودية والنصرانية^(٢) وهذا هو أحد دعاة الصهيونية وهو المؤرخ «توري» أصدر كتاباً قبل الحرب العالمية الثانية بعنوان «التأسيس اليهودي للإسلام» يحاول من خلاله أن يثبت الأصول اليهودية ليس فقط للحضارة الإسلامية بل وللشريعة المحمدية ذاتها، وقد عبّر عن المفهوم نفسه «روزنثال» في كتابه الأشهر عن الفكر السياسي الإسلامي في خلال العصور الوسطى. وكلاهما يصل به الأمر إلى أن يقرر بأن الفواعد اليهودية كانت مصدراً تنظيمياً للحضارة الإسلامية، وأنه في بعض الأحيان فإن التقاليد اليهودية هي وحدها التي تشبعت بها التقاليد الإسلامية الأصيلة^(٣).

- (١) الدكتور محمد علي العويقي - الإعلام العربي - ص ٢٦٠ القاهرة - عالم الكتب ١٩٧٩.
 (٢) ارجع إلى ما يتعلق «بالاستشراق» في الدعاية الغربية من الفصل الثالث من هذا البحث.
 (٣) الدكتور حامد ربيع الحروب التنسية في المنطقة العربية ص ٧٧ وإن كان المؤلف قد اتخذ هذين المؤلفين - وما فيهما من أفكار خطيرة، نوع من التقارب بين اليهودية والإسلام وأن العلاقة بين الدين الإسلامي والدين اليهودي (الحالي) علاقة إنسانية ترفع عن مستوى النزاع أو الصراع بين الأجناس.. وذلك ما قبل (١٩٦٧م) .. ونحن لا نوافق على ذلك.. لأن نظرة واحدة لعنواني الكتابين، وإيجاز المؤلف لمضمونهما، تعلمنا مقاصد الكتابين دون تفسير للمضمون.

هذا على المستوى الفكري، حيث مازالت هذه الأفكار المشبوهة عن الإسلام هي التي يتزود بها الطلاب في جامعات أوروبا وأمريكا..

أما على المستوى الداخلي في إسرائيل، فإن الدعاية اليهودية، تحاول أن تحور الشريعة الإسلامية في عقل المسلم، والذي يعيش في الأرض المحتلة (عام ١٩٤٨ - ١٩٦٧م) بعملية « غسيل دماغ » للأطفال المسلمين في كتب التعليم خاصة. وتغرس في فكرهم مفاهيم خطيرة، تضللهم بها وتبعدهم عن الإسلام شيئاً فشيئاً، ومن ثم تربطهم بيهود « دولتهم المسخ » لينسلخوا عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم..

ومن كتب التعليم هذه كتاب « أنا مواطن إسرائيلي » تأليف « مصطفى مراد » وهو من مبادئ القراءة العربية (الجزء الثالث) للصف الثالث الابتدائي. وفي أسفل غلاف الكتاب عبارة « إسرائيل شعب عامل »^(١) ويتضمن الكتاب سموماً يهودية لإفساد عقول الأطفال، وفيه تطاول على الدين الإسلامي، فالدرس الرابع مثلاً بعنوان: « بسم الله الرحمن الرحيم » وتقول كلماته: متى يقول المسلم بسم الله الرحمن الرحيم؟ إنه يقولها متى بدأ يتناول الطعام حتى تفتح شهيته للطعام (كذا).

وكتاب « علوم الطبيعة للطلاب العرب » تأليف « يائير هشوامي » الذي يبدأ بدرس عن الخمر، الذي يحللها ويُطَنَّبُ في وصف مزايها، وتدخُل في روع الطلاب أن الخمر حلال وأن الكحول يضيف على المشروب رائحة خاصة وطعماً طيباً ونكهة متميزة.. وفي ص (١٢٢) من الكتاب يتحدث المؤلف عن « معامل عصير العنب في البلاد » وخاصة القديمة منها التي أقامها « المحسن اللورد روتشيلد ».

وحتى أسئلة الدرس « النموذجية » تحاول أن تلفن الطالب كل المعلومات عن الخمر ومذاقاتها.. والكتاب يلتزم في عرضه لأشهر السنة بالأشهر العبرية.. كما

(١) انظر جريدة « القبس » الكويتية العدد ٢٥٣٩ تاريخ ١١/٦/١٩٧٩.

أنه يزور التاريخ حينما ينكلم عن شجرة « البطم » إذ يقول: « هذه الشجرة قدسها الكنعانيون الذين «استعمروا بلادنا» وأقاموا فيها المذابح لأصنامهم بالقرب من اشجار البطم المقدسة وأسمها العبري « إيلاه » أي الآهة»^(١).

هذا في داخل « فلسطين المحتلة » والجولان والضفة الغربية وغزة...

أما في الخارج .. حيث تسيطر الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية.. وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تخفى اليهودية وجهها القبيح وراء الأفتحة الزائفة. بل إن دعايتها صريحة في مهاجمة الإسلام والمسلمين، وإن المتبع للحملات الدعائية ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية يجد أنها تصور العرب والمسلمين شعباً منحوشة متعطشة لسفك الدماء، وأن الإسلام مجموعة من القوانين السلطوية في أحكامها وأنها تدفع محتقبيها إلى التطلع لبيسط السيطرة السياسية على شؤون الحكم والإدارة وعلى الشعوب الأخرى.

وهناك مثال واضح على هذا القول وهو المقال الذي نشره كاتب أمريكي معروف بميوله وخضوعه للصهيونية يدعي « جوزيف كرافت » في عدة صحف ومجلات رئيسة أمريكية منها جريدة « واشتنطن بوست » و« نيويورك تايمز » و«ستار ليدجر» تحت عنوان : « كيف عجز الإسلام عن الإصلاح والتطور وجعل دوره قاصراً على شؤون السياسة والحكم » ومقال آخر للكاتب نفسه « الإسلام دين تأخر وجود جعل المجتمع الإسلامي عاجزاً عن اللحاق بركب المجتمع الغربي الحضاري».

(١) المرجع السابق - تستغل الصحيفة صورتين (بالرئكَراف) لغلاف كتاب القراءة وص ١٢٢ من كتاب « علوم الطبيعة » وقد حصل كاتب المقال على الكتابين من بعض يهود الدرُك والذين كانوا في رحلة سياحية إلى « فلسطين المحتلة ».

وإن هذين الكتابين يدرسان للطلاب العرب، إذ كُتب على الغلاف الأول لكتاب القراءة «قررت إدارة المعارف العربية تدريس هذا الكتاب في مدارسها».

وأما جريدة « سن تايمز » فقد نشرت مقالاً لكاتب صليبي ملحد ومأجور لخدمة الصهيونية يدعى « وليام غريلبي » وعنوان المقال : « الماركسية أفضل من الإسلام » يقول فيه: إن الإسلام منذ أن جاء والمسيحية تعاني من تعصب المسلمين وعدائهم للمسيحيين، وأورد في المقال أمثلة كثيرة عن مقاتلة المسلمين للمسيحيين منذ طردوا الروم من سورية وإفريقية وآسية الصغرى وبلاد الأندلس وحتى نهاية الحروب الصليبية، واختتم مقاله قائلاً : وهل يمكن للمسيحية في هذا العصر من التعامل مع المسلمين بأقل مما تعاملت به مع صلاح الدين الأيوبي؟ واتخذ من مقاله ذريعة لمزيد من الظمن بالمسلمين فيقول: إن كل من شاهد رجال الدين الإيرانيين في ثورتهم هذه وما قاموا به لا بد وأن يحكم بأن الشيوعية أفضل من الإسلام!!

« وأمثلة أخرى عديدة لمشاهد عرّضها التلفزيون الأمريكي للتهجم على الرسول الكريم ﷺ ومبادئ الإسلام واحكام الإسلام الشرعية والقضائية. فقد عرضوا فيلماً يمثل فيه « كلب » أطلق عليه اسم « محمد » ومثلوا فيلماً آخر اسمه « قراصنة البحار » أظهروا فيه أن العرب والمسلمين هم « قراصنة ولصوص البحار»^(١).

وبما لاشك فيه أن هدف الصهيونية العالمية من حملاتها الدعائية والإعلامية هو إثارة شعوب العالم الغربي بوجه عام، والشعب الأمريكي بوجه خاص لمعاداة المسلمين والعرب، وذلك لخدمة المصالح « الإسرائيلية » وذلك لكي يستمر الصهاينة في تنفيذ مآربهم الخبيثة، ومؤامراتهم الخائفة في إحكام سيطرتهم على عقول الشعب الأمريكي وغسل أدمغته، ومن ثم تسخير هذا الشعب وطاقاته لتأييد

(١) من بحث قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المتفق بجاكرتا من قبل (احمد سعد - نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية) ونشرته مجلة « الإرشاد » اليمنية في العدد الثاني والثالث / ١٤٠٦ هـ بعنوان : « الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها ».

ومساعدة إسرائيل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. وهذا ما هو واضح للعيان اليوم إذ إن أمريكا بقيت الدولة الوحيدة المساندة لإسرائيل نتيجة سيطرة الصهيونية ونفوذها الإعلامي في أمريكا^(١).

(١) «الدعاية اليهودية ونسخة النصرانية لها: لقد تمكنت الصهيونية المعروفة بأساليب الدهاء والمكر من التغلغل داخل الكنيسة وفي أوساط رجال الدين «النصارى» لخدمة أهدافها الدعائية. وقد تمكنت من استخدام أكثر من (٣٠٠٠) ثلاث آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي تلغف لهم الصهيونية مرتبات شهرية ثابتة مقابل إقناعهم الوعظ في الكنائس ضد الإسلام والمسلمين والعرب.

هذا بالإضافة إلى سيطرتها على الكنيسة الإنجليكانية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إن رؤساء هذه الكنيسة ورجال الدين فيها أعلنوا تأييدهم المطلق لإسرائيل، وجعل القدس عاصمة للدولة الصهيونية، ولا يخفى على جميع المسلمين مدى النشاط الديني والدعائيات الباطلة التي يقوم بها القسيس «بيلي غراهام» رئيس هذه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين لخدمة للصهيونية^(٢).

ولإحكام الصهيونية سيطرتها وإخضاعها للمؤسسات النصرانية الدينية، فقد أقامت هيئة مشتركة من رجال الدين في العقيدتين النصرانية واليهودية، وتدعى حركة «أنصار العقيدة المشتركة»، وأصبح لهذه الحركة أكثر من ٧٠ (سبعين) دائرة إقليمية وأكثر من مائتي مجموعة من الصليبية والصهيونية. وقد خصصت الصهيونية لهذه الحركة ميزانية سنوية مقدارها ستة ملايين ونصف مليون دولار أمريكي.

(١) المرجع السابق. والواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست الوحيدة المساندة لليهود في فلسطين.. إلا أن الدول الأخرى تفضي وجهها بالوان لا تخفى على المسلمين.

(٢) المرجع السابق.

وقد انشق عن هذه الحركة « المؤتمر الوطني المسيحي اليهودي » من أجل إيجاد المجالات الدينية والسياسية والعالمية . وقد جندت الحركة كل إمكانياتها البشرية والمادية لخدمة أهداف الصهيونية في توجيه العقل الأمريكي لمساندة ما ندعى به إسرائيل وبكل السبل والوسائل الإعلامية في الداخل والخارج .

وللاسف العميق ، فإن الصهيونية استطاعت أن تطمس على قلوب كثير من النصراري في أمريكا وأعمت بصيرتهم وجعلتهم مطية لخدمة مآربها الخبيثة، فتناسى انتصارى أن اليهود ليسوا وحدهم ضحايا الحرب العالمية الثانية في أوروبا، وأن سكان أوروبا من غير اليهود كانوا هم الآخرين ضحايا هذه الحرب، ولكن الإعلام الأمريكي كان يصور أن اليهود هم ضحايا النازية فقط .

وهكذا استطاع الصهاينة استدرار عطف الشعب الأمريكي وعطف العالم عن طريق استخدام النصراري في دعائهم المضلنة . وهذا العطف بالذات كان أهم الأسباب التي ساندت وأيدت الدولة الصهيونية لإنشائها على حساب الأرض الفلسطينية، وعلى جثث السلمين في فلسطين دون أن يعأ العالم لهذه الجريمة والعدوان من جانب الصهيونية .

وللاسف إن فلة المدعاية ووسائل الإعلام العربي والإسلامي ظلت عاجزة عن إيصال الحقائق والوفائع للشعب الأمريكي وغيره من الشعوب، وتعريفه بعدالة قضايانا وسماحة ديننا وأحكامه الشرعية القوية .

أما الكنيسة الكاثوليكية، ومفرها الفاتيكان، فقد بقيت تتعرض للمضغوط اليهودية، ولأساليب الإرهاب حتى رضخت أخيراً عام ١٩٦٥م وأصدرت بيانها في تبرئة اليهود من دم المسيح .. وهذه الوثيقة التي أقرها الفاتيكان تطلب من الكاثوليك الاعتراف بالمعنى الديني لدولة إسرائيل بالنسبة إلى اليهود، وأن يفهموا

ويحترموا صلة اليهود بتلك الأرض^(١). وأن صلة التبشير والاستعمار واليهودية في فلسطين قضية أخرى تتعرض لها في غير هذا الفصل، والذي يمكن إنجازها في كلمات.. أن الصليبية هي العامل الأول والأخير في إيجاد دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة^(٢) ولولا الدعم الدعائي والإعلامي والاقتصادي لهم ما استطاعت أن تستأسد على الشعوب العربية والإسلامية.

(٥) مصادر الدعاية اليهودية ووسائلها: هناك عديد من المؤسسات «الإسرائيلية» المعنية بالدعاية وذلك بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ومن هذه المؤسسات: وزارة الخارجية، ومكتب الإعلام المركزي، والمكتب الصحفي للحكومة التابعان لمكتب رئيس الوزراء، والمتحدث الرسمي باسم الجيش، وجهاز الإذاعة الإسرائيلية، ومنصب وزير الدولة للإعلام الذي انغمس، ومراكز الإعلام الإسرائيلي في الخارج، والبعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية في الخارج، والمنظمات الصهيونية واليهودية في الخارج وجمعيات الصداقة... إلخ^(٣).

ولأهمية هذه المصادر والوسائل في الدعاية اليهودية، نعطيها بعض التفصيل لكي يطلع المسلم على منافذ الدعاية اليهودية، إلى العالم كله .. وبمحكم خطة إعلامه ودعايته في سد هذه المنافذ.

ومن أهم مصادر الدعاية اليهودية ما يلي^(٤):

(١) الدكتور عمر خروخ ومصطفى الخالدي - التبشير والاستعمار (ص ٢٦٦). ونشرت الوثيقة التاريخية أيضاً جريدة «النهار» البيروتية بتاريخ (١٢/١٢/١٩٦٩) - الصفحة الأولى وكذلك بإذاعتها وكالات الأنباء العالمية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق (ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥).

(٣) الدكتور محمد علي العوني - الإعلام العربي ص ١٩٧.

(٤) الدكتور محمد علي العوني - الإعلام العربي - ص ٢٠١.

١- إدارة الإعلام: لا توجد في « إسرائيل » وزارة خاصة بالإعلام، ولكن هناك إدارة للإعلام تابعة لوزارة الخارجية، كما يوجد وزير بلا وزارة مسؤول عن الإعلام^(١) وتقوم هذه الإدارة بمتابعة الإعلام مختلطاً بالدعاية في الدول ومنها الدول الإفريقية.. ومن أعمال هذه الإدارة:

١- تقوم بدراسات خاصة عن « إسرائيل » تخدم السياسة الإعلامية.

٢- تقوم بتوزيع الكتاب السنوي الذي يعده المكتب الصحفي للحكومة بعنوان « حقائق عن إسرائيل » كما تنشر مجلة ملونة بلغات مختلفة تحت اسم « إسرائيل » ونوزع في إفريقية على الهيئات والمؤسسات والأفراد المدرجة أسماؤهم في قوائم المبعثات الإسرائيلية الدبلوماسية.

٣- تشارك في المعارض الفنية والثقافية والتجارية في الخارج.

٤- تقييم الإدارة علاقات وثيقة، مع شبكات التلفزيون الأجنبية وتزودها بالأفلام التسجيلية وغيرها، كما تتصل بمؤسسات السينما في العالم لتمدها بشكل دوري بشريط الأنباء الإسرائيلي.

ب- مكتب الإعلام المركزي والمكتب الصحفي للحكومة: ويشكل إدارة واحدة مرتبطة بمكتب رئيس الوزراء .

ويعني مكتب الإعلام بالدرجة الأولى بنشر المعلومات عن نشاط الحكومة ومشكلاتها، ومنجزات « إسرائيل »، وعلى وجه الخصوص كل ما يتصل بالوحدة الثقافية والروحية بين سكان فلسطين المحتلة ولأسبما المهاجرين الجدد.

(١) الذي منصب وزير الدولة للإعلام سبب الخلافات بينه وبين الأجهزة الأخرى التي تقوم بالعمل الإعلامي ودعوة الأول إلى إنشاء وزارة للإعلام نظراً لأن هذا المنصب بلا وزارة . (ارجع إلى المرجع السابق ص ١٩٧) - وانظر أيضاً تحليل عن إلغاء وزارة الإعلام الإسرائيلية - الإدارة العامة للإعلام - جامعة الدول العربية ٣ آذار ١٩٧٥ م.

وتنفر عن المكتب قسم الأفلام، والذي عمله كما في إدارة الإعلام، وكذلك يتفرع عنه وحدة ماوراء البحار التي تعمل على تقوية العلاقات بين « إسرائيل » والهيئات اليهودية في الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والدراسات والرحلات وإرسال المحاضرين والأفلام إلى الخارج.

أما المكتب الصحفي للحكومة فهو المعبر عن الحكومة للصحافة المحلية والأجنبية ويعني بتزويد المراسلين بآباء الأحداث الجارية، كما ينظم المؤتمرات والمقابلات الصحفية للمسؤولين اليهود.

وهناك علاقة وثيقة بين المكتب الصحفي ومكتب الإعلام المركزي وبين إدارة الإعلام بوزارة الخارجية من حيث الاستفادة المتبادلة^(١).

ج- هيئة الإذاعة « الإسرائيلية »: هي هيئة عامة وتتبع رئيس الوزراء الإسرائيلي .. وتذيع بما يقدر ٣٥٠ ساعة أسبوعياً بـ ١١ لغة، وهناك إذاعات خاصة يومية بالعبرية الميسرة والفرنسية والإنجليزية والرومانية والعربية. وهناك برامج موجهة لما وراء البحار بعشر لغات بما فيها الروسية، وبرنامج أسبوعي موجه إلى شمال أمريكا وبعدد الاشتراك مع الوكالة اليهودية، بالإضافة إلى إذاعة بعض شعائر إسلامية ومسيحية^(٢).

وهناك محطة تسمى « صوت صهيون إلى يهود النفى » وتذيع بلغات متعددة ومنها الدروس الملقاة بالعبرية والأخبار بالعربية الميسرة ، وتعمل هذه الإذاعة على ممارسة أهدافها من خلال العمل الإذاعي بأشكاله المختلفة.

(١) د. منظر عبتاوي - أعضاء على الإعلام الإسرائيلي - بيروت - مركز الأبحاث الفلسطينية حزيران ١٩٦٨ م ص (١٤٦، ١٤٨).

(٢) د. محمد علي العويضي - الإعلام العربي ص ٥٠٣.

وأما خارج ما يسمى بدولة «إسرائيل» فإن أهم نشاط دعائي تقوم به اليهودية هو في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تفرض الصهيونية سيطرتها على وسائل الإعلام الأمريكي؛ من محطات إذاعية؛ ودور للصحف، وحتى الكتب المدرسية والكنائس، وسخرت كثير من رجال الدين النصراني في تنفيذ مآربها، والحقيقة أن المحاولات الصهيونية للسيطرة على توجيه الإعلام الأمريكي لم تكن مجرد ظاهرة عفوية أو طبيعية، وإنما كانت مبنية على خطة مدروسة بغاية من الدعاء والمكر، إذ أدركت أن أفضل طريقة لنشر دعايتها الباطلة هي السيطرة على وسائل الإعلام ودور الصحف والنشر والطبع، ووجدت في هذه الوسائل أفضل السبل للنفوذ إلى عقول الأمريكيين وغسل أدمغتهم، ومن ثم بتعباً للصهيانية توجيه الشؤون السياسية لخدمة مصالحهم وأهدافهم الرئيسة، وهي ضمان مساعدة الولايات المتحدة ومساندتها «لإسرائيل» سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا تنتهج وسائل الإعلام الأمريكي حملة دعائية واسعة بتوجيه الصهيونية لإثارة الشعب الأمريكي ضد العرب والمسلمين وقضاياهم، وخاصة القضية الفلسطينية عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام وغيرها من الوسائل، كما نبيتها الحقائق الآتية^(١):

١- محطات الإذاعة (المرئية والسموعة): وتسيطر الصهيونية على أكبر وأشهر ثلاث محطات إذاعية رئيسة في أمريكا والمعروفة باسم محطة (سي . بي . أس) ومحطة (إن . بي . سي) ومحطة (أي . بي . سي) وهذه المحطات لها شبكات تغطي القارة الأمريكية (الولايات المتحدة وكندا) ولها مراسلون في جميع أنحاء العالم بما فيه العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى مراسليها في القارة الأمريكية نفسها.

(١) من البحث الذي قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا بعنوان «الجملة الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها» من قبل - (أحمد محمد - نيويورك - الولايات المتحدة) ونشرته مجلة «الإرشاد» اليمنية في المجلد الثاني والثالث (١٤٠٦هـ).

ولتقدير مدى سيطرة الصهيونية على هذه المحطات الثلاثة نجد أن إدارتها تخضع لعناصر يهودية مباشرة.

فمحطة (سي - بي - إس) تحت إدارة اليهودي « ونيام بالي » ومحطة (إي - بي - سي) يديرها يهودي اسمه « ليونارد جونسون » وأما محطة « إن - بي - سي » يقوم على إدارتها اليهودي « ألفرد سلفرمان » كما أن للصهيونية سيطرة على أكثر من (٢٠٠) محطة إذاعية أخرى محلية في الخمسين ولاية الأمريكية.

٢- دور الصحف (الجرائد والمجلات) الأمريكية: والصهيونية تسيطر على أكبر وأشهر الصحف الأمريكية وهما: نيويورك تايمز، واشنطن بوست، النيويورك نيوز، ونيويورك بوست، كما يسيطر الصهاينة على أشهر مجلتي أسبوعيتين وهما مجلتا: الأيم ونيوزويك. بالإضافة إلى أن هناك نفوذاً يهودياً على أكثر من (١٠٠٠) ألف صحيفة ومجلة في جميع الولايات المتحدة، وإن معظم المعلقين والكتاب والمحررين والمراسلين إما عناصر يهودية وإما أمريكية من ذوي الأقلام المأجورة في خدمة الصهيونية. وقد جندت الصهيونية أكثر من ألف صحافي ومراسل أمريكيين لخدمة أهدافها إما لأنهم يهود أو من ذوي الأقلام المأجورة، كما لها آلاف المراسلين في جميع أنحاء العالم.

٣- الكتب المدرسية: وقد أدت الصهيونية عن طريق استخدام المؤلفين ودور الطباعة والنشر الأمريكية دوراً كبيراً في حشو الكتب المقررة للتدريس في مدارس أمريكا الابتدائية والثانوية بمعلومات خاطئة مسممة لأفكار الشعب والطلاب الأمريكيين تحمل الضغينة والحقد والظعن في الإسلام ومبادئ السمحة وعن شخصية الرسول ﷺ. وخاصة كتب التاريخ والجغرافية ففيها تشويه كبير ضد تاريخ العرب والمسلمين وجغرافية العالم العربي الطبيعية، حيث تُظهر أن إسرائيل

صاحبة الحق في فلسطين التي يطلقون عليها في هذه الكتب المدرسية زوراً اسم « أرض الميعاد ».

٤- الكنائس ورجال الدين « النصراني »: وقد مر ذكر كيف استخدمت الصهيونية الكنائس ورجال الدين لخدمة أهدافها وتشويه العالم الإسلامي، وانهيضة الإسلامية.

٥- السينما: سيطرت الصهيونية أيضاً على « ستديوهات هوليوود » الكبرى . وأنتجت مئات الأفلام التي تعرض اليهود بصورة جميلة أخاذة، وهي تمتلئ في الوقت نفسه بالمواد الدسمة التي تناسب المخططات اليهودية والدعاية لليهود « إسرائيل » فشبكات الرائي (الثلفاز) تعرض بين فترة وأخرى أفلاماً مثل (المجزرة) و(الخروج) و(الوصايا العشر) و(برج بابل) و(داود وجولبات) و(شمشون ودليلة) وكلها أفلام قد صُنعت خصيصاً للدعاية لليهود وما تدعي « إسرائيل » وعندما حصل الخلاف بين اليهود والرئيس كارتر على إثر توثيقه للبيان الأمريكي السوفياتي، بدأت شبكات التلفزيون الأمريكية تكرر عرض فيلمي (اغتيال روزفلت) و(اغتيال كندي) وكان اليهود يقولون لكارتير بأن هذا هو مصير كل رئيس أمريكي لا يتبنى الأهداف اليهودية..

بالإضافة إلى تركيز اليهودية على الأفلام الجنسية والبوليسية مثلاً لتهدم الأخلاق والنظام الأسري، كما أنها زُوِّفت الأفلام التاريخية بحيث نعظم التاريخ العبري وتحط من قدر تاريخ الأمم الأخرى^(١).

كما أنهم يركزون بمختلف وسائل الإعلام على عظمة اليهودي كفرد واليهود كشعب مختار فلا يُفوتون فرصة دون تعداد اختراعاتهم واكتشافاتهم وأثرهم في

(١) مجلة الأمان - العدد ٧٨ - ٢٠ رمضان ١٤٠٠ هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي).

التاريخ العالمي، فينسبون لأنفسهم أنهم أول من اكتشف أمريكا، وأنهم أول من اكتشف الأدوية الحديثة للعلاج وطورها، وأن كلمة (فيتامين) وضعها يهودي اسمه (اسميرفانك) وأن لقاح الجدري طوره اليهودي (جونس سالك) ... إلخ هذا غيوض من فيوض، من الدعاية اليهودية في بلد واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا التغلغل اليهودي في وسائل الإعلام الأمريكية حمل وكالة (نوفوستي) الرسمية الروسية إلى القول: « الصهاينة يسيطرون على سبعين بالمئة من نشرات أندورية في أمريكا، كما يسيطرون على ثمانين بالمئة من محطات التلفزيون الأمريكية» (١٧/٦/١٩٨٠)^(١).

ولم يكتف اليهود باستغلال وسائلهم الإعلامية الخاصة للدعاية لأهدافهم وتضيد مخططاتهم، ولكنهم حاولوا منذ القديم استغلال وسائل الدعاية الوطنية والنصرانية في أمريكا، فتجد المدرسين والمحاضرين اليهود يتشرون في معظم المدارس والجامعات الأمريكية، ومهمتهم الأساسية الدعاية لليهود، كما يندس اليهود بشكل منظم في كل ناد أو تجمع حزبي أو نقابي لكي يستغلوا وسائله الإعلامية للدعاية لفضايلهم..

وهكذا استطاعت اليهودية بوسائل إعلامها المنتشرة في أمريكا بشكل خاص والدول الغربية بشكل عام، أن تضلل الشعوب الغربية، حتى أصبحت لا تستطيع أن تحدد علاقاتها مع غيرها من الأمم إلا بالشكل والكيف الذي يريده اليهود، وحتى أصبحت لا تعرف الكثير عن أوضاعها إلا بما تُعَرِّفها به وسائل الإعلام اليهودية، وحتى أصبحت وسائل الإعلام هذه سيقاً مُسلطاً على عقول الغربيين ورقابهم، فلا يستطيع حر أن يعلن رأيه بصراحة أو أن يقول كلمة حق دفاعاً عن

(١) مجلة الأمان - العدد ٢٠٧٨ رمضان ١٤٠٠ هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلاني

وطنه وأمنه إلا تعرّض لحظة شرسة نشتها عليه أجهزة الإعلام اليهودية باسم معاداته للسامية وكراهيته لليهود^(١)، حتى أيقن الكثيرون أن حرية الرأي في العالم - الحر - قد ذبحها اليهود على مذبح أطماعهم وأهدافهم بسبب ما فرضوه من إرهاب فكري على شعوب الدول الغربية وحكوماتها بشكل عام وأمريكا بشكل خاص^(٢).

(١) المثال على ذلك الحملة التي تعرض لها «سييرا واغنيو» نائب الرئيس الأمريكي في عهد كلتر عندما صرح لصحيفة «واشنطن ستار»: «بأن نصف عدد الذين يملكون أو يديرون وسائل الإعلام الوطنية الأمريكية هم من اليهود. وأنهم مع غيرهم من اليهود المتنفذين خلقوا سياسة توصف بأنها كارثة فيما يخص شؤون الشرق الأوسط» (وقد سبق لأغنيو) أن وقف عام ١٩٦٩م في مدينة (دي موينز) وشهد هجومًا عنيفًا على شبكات التلفزيون وعلى بعض المعلقين السياسيين منتهماً إياهم بإدارة الأخبار والأفكار على نحو عنصري، وبالعامل على إخفاء الحقيقة عن الجمهور.. وكان رئيس الجمعية الأمريكية لروساء وحرير الصحف آنذاك (نورمان إيزاكس) وهو يهودي - مهاجر تصريعات (اغنيو) واتهمه بالعداء للسامية.. (انظر مجلة الأمان - العدد ٧٨ - ٢٠٠ رمضان ١٤٠٠هـ).

(٢) مجلة الأمان - مقال: هل يتور الأمريكيون على الشلطة الإعلامي اليهودي - العدد ٧٨ رمضان ١٤٠٠هـ - بقلم نيه جد ربه.

لأياً: الدعاية الشيوعية: كانت الدعاية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، قبل تفككه والقضاء على الحكم الشيوعي، تعتبر من وظائف الدولة المهمة.. لأنها الأداة التي يدعن بواسطتها الجمهور لسلطة الدولة المتسلطة على الأفراد، بل على عقولهم أيضاً، فإذا كان مفهوم الدعاية في هذه البلاد يتماشى مع مفهوم التربية والتعليم.. ومهمتهما واحدة، إذ بواسطتها تخرس التعاليم الشيوعية في القلوب والعقول منذ الصغر، وعليها يتربى الكبار، ومنها ينطلقون في فكرهم وأديهم وفنهم.. ومن خلال هذا البحث سيتوضح لنا، بإذن الله تعالى، الدور الخطير لهذه الدعاية وما قامت به من زرع للبادئ الإلحادية وخاصة في البلاد الإسلامية التي اغتصبتها واعتبرتها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية.. بالإضافة إلى البلاد الإسلامية التي اغتصبت في عهد القياصرة.. وكذلك الدعاية الموجهة إلى الخارج.. إلى البلاد الإسلامية وغيرها وما تنطوي عليه من خداع وتضليل وكذب، لاستمالة القلوب الخاوية من الإيمان، والعقول المنحرفة، لإسقاطها في مهاوي الهلاك، لتصبح لقمة سائغة للروس واحلامهم القيصرية القديمة.

(١) نشأة الدعاية الشيوعية: أوجد لينين^(١) الأساس النظري للدعاية الشيوعية قبل قيام الثورة في روسيا عام ١٩١٧م بعشرين عاماً، إذ إنه «طالب رجال الدعاية بالتمسك بالنظري الجيد وبالمعرفة العميقة لتلك المادة التي كانوا يتوجهون بها إلى المستمعين، ولم يقتصر على ذلك، بل طالبهم أيضاً أن يدرسوا وياهتموا كبير المستمعين أنفسهم، وأن يعرفوا مستوى تطورهم واتجاهات اهتماماتهم وحاجاتهم ومطالبهم المحددة، وفي الوقت نفسه يجب على رجال الدعاية أن يهتموا بعرض المادة

(١) لينين هو: فلاديمير إيليش أوليانوف (١٨٧٠-١٩٢٤م) قائد الثورة الشيوعية في روسيا عام

بصورة مبسطة خالصة من التعقيد دون اللجوء إلى الابتدال، بل أن بطمحوا إلى رفع مستوى وعي مستمعهم»^(١).

وهكذا عرّف « لينين » كيف يلعب بالشعب الروسي، ويستغل جميع الظروف لمصلحته ، وقد ساعده في دعايته الفقر الشديد والبؤس الذي كان تخيماً على الشعب، كما أنه استفاد من بساطة الناس وجهلهم وغلغلهم، وبما ساعده على نجاح دعايته هو أنه لم يصطدم بعقيدة قوية كانت تحكم في عقلية الرجل الروسي وتقف حاجزاً دون النظرية الجديدة، لأن جميع العقائد قد تزلزلت وانهارت.

وكانت دعاية « لينين » وقوداً لثغرات الجامعة إذ استغلها أما استغلا، وخاصة إذا عرفنا أن الشعب الروسي قد مل القتال في نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان تواقاً لإنهاء حالة الحرب والتخلص من أوضاعه الاقتصادية، وكانت كلمة « سلم » أو « أرض » محببتين إلى نفسه، فأثار بها الملايين من الرجال، وقد وجد الشعب في قادة الثورة منفذين له، فتبعهم متنازلاً بسهولة عن حريته الشخصية^(٢).

وبعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م وضعت جميع وسائل الإعلام تحت سيطرة الدولة، واحتكرتها، فكانت أول وسيلة إعلام أتمتها الدولة هي الصحافة، وأعدمت جميع الصحف المعارضة، ووضعت لذلك نصاً دستورياً هو المادة ١٤ من دستور ١٠ تموز (يوليو) ١٩١٨ م وترجمة النص ما يلي: « لضمان حرية التعبير عن الرأي، ألغت الجمهورية الفيدرالية السوفيتية تبعية الصحافة لرأس المال. ووضعت تحت تصرف الفلاحين والعمال الوطنيين جميع الوسائل الفنية والمادية اللازمة لتحرير

(١) « علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية » - ف. كولبانوفسكي . ص ٩ (ترجمة نزار عيون السود).

(٢) الدعاية السياسية والامتلاء - د. مصطفى الحضاري ص ١٧٢.

الصحف والنشرات والكتيب وسائر المطبوعات الأخرى وضمنان ذبوعها في سائر أنحاء البلاد»^(١).

(٢) أسلوب الدعاية الشيوعية: وضع لينين أسلوباً علمياً - برزعه - للدعاية الشيوعية، يصل في نهايته إلى غايته الأولى والتي هي نشر الشيوعية بين الناس. وكان من الأساليب الأولى في هذا المجال استخدام الإضرابات في التحريض والدعاية للشيوعية، فبوساطة الإضراب يتعرف الناس على مبادئ الشيوعية. ومن المعروف أن الإضرابات يتخللها هتافات، ورفع شعارات معينة، وخطب جماهيرية... وقد قال لينين بهذا الخصوص: «لقد طورت الثورة الروسية ولأول مرة، وبمقاييس واسعة، هذه الطريقة البروليتارية»^(٢) في التحريض والدعاية وتحريك الجماهير ورص صفوفها وجذبها إلى النضال، وتستخدم البروليتاريا الآن هذه الطريقة من جديد وبتد أكثر صلابة»^(٣).

ويبين أحد علماء النفس الماركسيين دور الإضراب في الدعاية الشيوعية بقوله: «وهكذا استخدم الإضراب كطريقة في التحريض والدعاية، إن قوة الدعاية البلشفية لم تكن في الكلمة المطبوعة والمقروءة المصادقة فحسب، بل وفي نشاط الجماهير المنظم»^(٤).

والإضراب يبدأ بالإثارة والتهييج، ولهذا وضع لينين القاعدة التي تقول: «إن العامل الأساسي للدعاية هو الإثارة والتهييج بين طبقات الشعب»^(٥).

(١) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٢) البروليتاريا: طبقة العمال أو طبقة انصعاليك في التصور الشيوعي.

(٣) علم النفس الاجتماعي وقضاياها الإعلام والدعاية، ص ١١ و ١٢ (نقلاً عن المؤلفات الكاملة لـ لينين ج ٢١ ص ٣٤٢).

(٤) المرجع السابق ص ١١ و ١٢.

(٥) الإعلام والدعاية - عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٢.

وابتدع نظاماً للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهي: طائفة المنظمين، وطائفة الدعاة، وطائفة مشيري القلائل.

فالمنظم: يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية وتنظيم الدعاية فيهما. ومشير القلائل: أو المحرض - هو الشخص الذي عنده فكرة واحدة، أو عدد يسير من الأفكار يرددها أمام عدد قليل من الناس لكي يثيرهم شيئاً فشيئاً. والداعي: ينقل الموضوع الذي تُراد الدعاية له، ويضيف إليه كثيراً من عنده ويذيعه على أكبر عدد من الناس، وهو في ذلك يخالف المحرض أو مشير القلائل، في أن المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها إلى شخص معين أو قليل من الأشخاص بقصد الإثارة، كما يفعل مثلاً حلاق القرية أو الحمي أو يقال الشارع أو الكواء، أو كما يحدث من طالب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصد به إثارة الباقين من الطلاب^(١).

وهكذا يتبين لنا من خلال أسلوب الدعاية الشيوعية، أن العقيدة الشيوعية لا تقوم في دعوتها على الإقناع العقلي الموضوعي، وإنما تقوم على التهييج الانفعالي، أو الإثارة العاطفية، والتي يُستغل فيها جهل الناس بالشيوعية وما تتضمنه مبادئها من قضاء على حرية الإنسان وكرامته وفطرته، وقضاء على كل العلاقات الإنسانية من أسرة وعواطف وأخلاق والتي تعتبرها من رواسب « البرجوازية »^(٢).

والدعاية الشيوعية تُردد هذا دون حياء بعد أن تلبسها أثواباً براققة، مذكبة لهيب الأناثية في طبقات العمال والفلاحين، فتُعد العمال بدكتاتورية البروليتاريا^(٣) وتعد الفلاحين بالأرض.. واستخلص لينين من الماركسية نظاماً خيالياً للمجتمع الجديد

(١) الإعلام والدعاية - د. عبد الطيف حمزة - ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) البرجوازية: طبقة التجار وكبار الموظفين في المجتمع أو الطبقة الوسطى في المجتمع.

(٣) دكتاتورية البروليتاريا: دكتاتورية طبقة العمال.

الذي تتلشى فيه الطبقات.. ونادت الشيوعية بالتخلص من الأديان، وعبادة المادة والفرن بدلاً من عبادة الرحمن، بل جعلوا من لينين معبوداً في الدولة الشيوعية^(١).

ولقد طور دعاة الشيوعية، بعد ذلك، السياسة الدعائية ونحوها، وأصبح لها سمات خاصة، تعرف بها، في كل المجتمعات، ويشوارثها الشيوعيون، في كل الدول والأمم.. وأهم هذه السمات:

١- التكرار الدؤوب لشعارات الشيوعية، تكراراً يستهدف تكريس هذه الشعارات في الأذهان عن طريق كثرة التكرار والإلحاح والإعادة.. ويتضح هذا من طوفان المطبوعات الشيوعية في جل لغات العالم، والتي تُطبع بعشرات الملايين من النسخ، تحمل الأفكار نفسها وذات العبارات تحت عناوين متغيرة..

فكتابات لينين وخطبه طبعت في كل لغات العالم، ونشرت فيها مئات الطباعات ووزعت منها عشرات الملايين من النسخ.. بأسعار رمزية لا تصل إلى عشر ثمن تكلفتها من ورق ومداد فقط.

وهذا مثال واحد عن السمعة الأولى من سمات الشيوعية، وهي سمعة الإكثار على الأذان، ليل نهار، وبكل اللغات، وأقل الأسعار بشعارات ومفاهيم الشيوعية، وعبارات لا يد وأن تُرَكَّد من قبل البعض، بالمنطق البيعاني من كثرة التكرار الذي لا بكل ولا يمل^(٢).

٢- كذلك تتسم الدعاية الشيوعية باستعمال أكبر قدر من البيانات والأرقام غير الصحيحة سواء عن نفسها أو عن خصومها.

(١) يراجع بتوسع «الدعاية والاستعلام» د. مصطفى الحفناوي - القاهرة من ١٧٢.

(٢) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي - مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية - ط ٣

ولا تتورع الشيوعية عن استعمال أي بيانات أو أرقام بغض النظر عن نصيبها من الصحة، بهدف ترجيح المفاهيم الشيوعية وتزيين الواقع في البلدان التي تطبق المذاهب الماركسي.

ويكفي أن نطالع أعداد مجلة واحدة من المجلات الشيوعية والتي توزعها حكومة موسكو في معظم أرجاء العالم، مثل مجلة «الاتحاد السوفيتي» لنرى كيف يتم حشو صفحات المجلة بطوفان من الأرقام عن الحياة في «الاتحاد السوفيتي» وكيف أن الحكومة «السوفيتية» التي تسير على النهج الماركسي - توفر لشعوب البلدان «السوفيتية» أعلى مستوى غذائي وكسائي في العالم، وكيف ينعم فيها بأحسن رعاية صحية وتأمينات اجتماعية، وكيف يشب الأطفال في أحسن وأرقى ظروف معيشية، وكيف يتمتع المواطن عندهم بأعلى درجات الراحة والامتنان والثناء في العالم المعاصر، وكيف تخلو حياته من الصراع والظلم والاستغلال!!

وبالقدر نفسه من البيانات تحاول أن توضح أن البشر في المجتمعات غير الشيوعية، وخاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية المتقدمة، إنما يعيشون في جحيم لا يطاق وأنهم يعانون في كل أمر وفي كل مجال من مجالات الحياة..

٣- والدعاية الشيوعية على استعداد لاستعمال أي وسيلة تزيين الشيوعية فكراً أو تطبيقاً، كما أنها على استعداد - في الوقت نفسه - لاستعمال أي وسيلة لتحقير النظم غير الشيوعية، والهجوم على أشخاص المعارضين للشيوعية من أبرز وسائل الدعاية الشيوعية، فالشيوعية لا تلجأ فقط للهجوم على التيارات الأخرى وإنما تعتمد في الوقت نفسه لتشويه صورة أقطاب هذه التيارات تشويهاً كاملاً بتصويرهم كمجموعة من فاسدي الذمم أصحاب الأخلاق المعوجة والنيات السيئة^(١).

(١) ارجع إلى المرجع السابق ص ٨٤.

« وقد لاحظ فريق كبير من المختصين في دراسة الشيوعية هذه الملاحظة عليها ومنهم الكاتب الإنجليزي «كاريوهنت» الذي قال في مقدمة كتابه (النظرية والتطبيق في الشيوعية): إنه بسبب الدعاية الشيوعية المتدفقة كالسيل، والتي هي أقوى أسلحة الشيوعية، لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ، وبالرغم على أن المزاعم يستهل تفنيده لطوفان الدعاية الشيوعية، فالدعاية الشيوعية تعمل بكل السبل الشريفة وغير الشريفة، في كل مجال، ونقول كل شيء وأي شيء يخدم الدعوة للشيوعية أو الشيوعيين، وفي كل موضوع، بحيث يجد الباحث نفسه في مواجهة خضم من الأقاويل والمزاعم والبيانات، وفي مواجهة سيل جارف من الدعاية يحتاج لمراكز متخصصة في البحث، لإثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقاويل والبيانات والدعايات هو نسيج خالص من التلقين والكذب وابتداع ما ليس بحقيقي ولا بصدق في شيء، حتى لو أوجدت كل دولة جهازاً للبحث ينهض بهذا العبء، فإن ما سيخرجه من دراسات مُمَخَّصة لبيانات الدعاية الشيوعية لن يُقرأ من طرف الذين وجهت إليهم تلك الدعاية، لأن أولئك يندر بينهم من يقرأ شيئاً يمت بصلة للبحث العلمي العميق، فعقولهم - بالكاد - تتناسب مع تلك الكتيبات المبسطة المخلة بالنطق والواقع في آن واحد.^(١)

وجدير بالذكر، أن الدعاية الشيوعية إنما توجه أساساً للأجيال الناشئة من الشباب، وخاصة للطلاب منهم - وأجهزة الدعاية الشيوعية تعلم جيداً أنها تتعامل مع أشخاص يافعون تغلب عليهم العواطف المتأججة بحكم تكوينهم النفسي والعضوي غير المستقر، لذا فإنها نجيد معهم الإثارة إلى أبعد حد، مستغلة عدم قدرتهم على تمحيص كل فطرة من قطرات هذا الطوفان السيل من البيانات والأرقام غير السليمة وغير الصادقة في آن واحد.

(١) المرجع السابق ص ٨٤ - ٨٥.

(٣) وسائل الدعاية الشيوعية: تستخدم الشيوعية في دعائها جميع وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية وسينما وحتى جهاز التربية والتعليم لم يسلم منها وأصبح جهاز دعاية.. وستوجز الكلام عن كل وسيلة من هذه الوسائل حتى تكتمل رؤيتنا للدعاية الشيوعية.

١- الصحافة: فلنا أيضاً أن الشيوعية بعد الثورة في عام ١٩١٧م ألغت جميع الصحف إلا الصحف الناطقة باسمها بحجة أنها أفسدت من قبل «البرجوازية» ولم يسمح بعد ذلك لأي إنسان أن يخط أي كلمة مجرّبة، «وأن من يحاول زعزعة هذا النظام - أي النظام الشيوعي - يعدّ عدواً للشعب ولن يسمح له بأن يتناول ورقة، ولن تظا قدمه عتبة المطابع التي ينشر فيها سمومه، ولن يجد قاعة واحدة أو ركناً في قاعة ليرفع صوته» على حد تعبير صحيفة البرافدا^(١).

وأعطت الشيوعية أهمية خاصة للصحافة، وجعلتها ركناً مهماً في بناء الدولة ولهذا الأمر تعددت الصحف وتنوعت في شكلها ولغاتها وموضوعاتها في المدن والأقاليم الغربية والبعيدة، ولكنها جميعاً بقيت أدوات دعاية تنسج بمضمون واحد هو الفكر الماركسي الملحد.

أما عن نظام الصحافة، فإن صحف موسكو الثلاث الكبرى^(٢) هي التي تقوم بدور الإلحاد والتوجيه للصحافة الإقليمية التي تطبعها طاعة عمياء، والتي تصدر كل واحدة بلغة الإقليم الصادرة فيه^(٣).

(١) المرجع السابق ص ١٨٧ (تقلاً عن ابرافدا ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٦م).

(٢) وهذه الصحف هي:

١- البرافدا (أو الحقيفة): لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وتوزع ٩ ملايين نسخة يومياً.
٢- الأفرسنيا (أو الأخبار)، لسان حال الحكومة وتوزع ٨.٥ مليون نسخة يومياً.
٣- عصبة الشباب الشيوعي وتوزع ٧.٥ مليون نسخة يومياً. (ارجع إلى كتاب النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية - د. جيهان رشي ص ١٠).

(٣) في عام ١٩٧٦ أصبحت الصحف تظهر بـ ٥٨ لغة مستخدمة داخل ما يسمى بالانحد السوفيتي و ٢٣ لغة أجنبية. (ارجع إلى كتاب: النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية - جيهان

وحتى تأخذ صورة صحيحة لأهمية الصحافة في الدعاية الشيوعية، نطلع على آخر الإحصائيات للصحافة في الإمبراطورية الروسية ومستعمراتها:

- في عام ١٩٧٤م كان يوجد ٦٣٩ جريدة يومية و ٨٠٥٥ جريدة غير يومية يبلغ إجمالي توزيع الصحف اليومية (١٠٠, ٦٣٣, ٨١) نسخة والصحف غير اليومية (١٠٠, ٠٨٣, ٥٩) نسخة.

- وفي سنة ١٩٧٦ م كان يوجد (٢٨) جريدة مركزية و (١٦٠) جريدة في الجمهوريات و(٢٩٣) جريدة إقليمية و(٩٦) جريدة في المناطق و(٦١٦) جريدة في المدن وأكثر من سنة آلاف جريدة في المصانع والأحياء.

- وفي سنة ١٩٧٠ م كانت تظهر في ما يسمى بالاتحاد السوفيتي:

- ٤٩١٣ دورية باللغة الروسية.

- و ٩١٥ دورية باللغات الأخرى المستخدمة داخل البلاد .

- و ١٤١ دورية تظهر بـ ٢٣ لغة أجنبية^(١).

مع العلم أن ما ينشر في هذه الصحف تحتكره وكالة « تاس » للأنباء، ومحرم على أي صحيفة أن تنشر خبراً محلياً إلا إذا استقتته من المصادر الرسمية.

٢- الإذاعة: إن الاهتمام بالإذاعة المسموعة بصفتها وسيلة من وسائل الدعاية الشيوعية كان في بداية الثورة في روسيا، وقد استغلت إلى أبعد حد، وعلى أوسع نطاق ويشرف عليها لجنة خاصة تتمتع بسلطات كبيرة، وتعمل بإرشاد الحزب الشيوعي وتعاون هذه اللجنة/ ١٣٠٠ مائة وثلاثون لجنة إقليمية، ولدى روسيا في

(١) المرجع السابق ص ١٠.

عام ١٩٧٤ (٣٠٣٤) محطة إرسال، تستقبل من قبل (١٠٠، ٣٠٠، ١١٠) جهاز استقبال عند الجمهور^(١).

وحتى تملأ الإذاعة آذان الفرد الروسي والمجتمعات التي تقع تحت سيطرة حكومة موسكو وضع الشيوعيون نظاماً يمكن لجميع الاستماع إلى الإذاعة وذلك بتزويد المصانع بالأجهزة ومكبرات الصوت الموضوعه في كل زاوية في المدن والريف. وبرامج الإذاعة هي الأخبار الرسمية، والمحطبات والتعليقات السياسية، والمحاضرات والأوامر الشيوعية، ويداع هذا كله ببعين لغة..

أما الأنباء الخارجية فإنها لا تداع إلا بما يخدم الفكر الشيوعي^(٢).

وقد بنى الشيوعيون في روسيا الدعابة الإذاعية على أسس علمية مدروسة. وهذه الأسس تنطلق من علم النفس الاجتماعي ودراسته للسلوك الفردي والجماعي وكيفية التأثير فيه.. وقد بين أحد علماء النفس الشيوعيين^(٣) مدى أهمية الإذاعة في الدعابة للشيوعية في مقال مطول بعنوان: «التأثير النفسي والاجتماعي للدعابة الإذاعية» مصنفاً التأثير العميق للثبث الإذاعي في المجالات الآتية:

- في مجال السلوك الفردي والجماعي.
- في مجال الآراء والنصرفات.
- في مجال التعليم والمعرفة.
- في مجال العواطف والانفعالات^(٤).

(١) بالإضافة إلى محطات الإرسال السلكية أو (راديو أو زيل) ووظيفتها نقل ما تتلقاه من المحطات المركزية والإقليمية إلى مكبرات الصوت في المنازل أو أماكن النجم كالمصانع والمزارع وغيرها، ومن ميزة أجهزة الاستقبال لهذه المحطات أنها غير قادرة على استقبال الإذاعات الأجنبية .. (النظم الإذاعية ص ١٠٣).

(٢) الدعابة السياسية والاستعلام (ص ١٣).

(٣) هروب غورفينش، المقال في كتاب: علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعابة ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧.

ولا بأس من عرض بعض الفقرات من هذا المقال لمعرفة مدى اهتمام الروس بالإذاعة والدعاية بواسطتها، فهي تستخدم أولاً لبناء الاشتراكية في الداخل: «إننا نستخدمها - أي الإذاعة - من أجل نشر ثقافتنا الاشتراكية في أوساط الجماهير الواسعة، وهذا مثال نموذجي على استخدام منجزات التقنية من أجل أهداف بناء الاشتراكية»^(١).

وهي تستخدم ثانياً للدعاية للشيوعية وتخريض الشعوب الأخرى على الثورة ضد حكوماتها وارتباطها بالشيوعية الدولية: «ومن أمثلة تأثير البرامج الإذاعية على السلوك الجماهيري في المجال السياسي يمكننا ذكر البرامج الإذاعية السوفيتية عن الصراع الطبقي في القرية والتحقيقات الإذاعية المنقولة من الساحة الحمراء»^(٢) والبرامج السياسية والاجتماعية المكرسة لثورة أكتوبر، ومشاركة البث الإذاعي في نشر حركة أنصار السلام وكذلك البرامج المخصصة لتأييد الشعوب التي تناضل في سبيل استقلالها وحررتها»^(٣).

٣- الإذاعة المرئية (التلفزيون) و(السينما): وهي الوسيلة الناجمة من وسائل الدعاية في النظام الشيوعي، وهي الثالثة أيضاً من حيث التقييم النوعي والاستخدام الفعلي^(٤)، إلا أن «التلفزيون يحتل المركز الأول في مجال الدعاية للثقافة» أي الدعاية للعقيدة الشيوعية، وإن كانت هذه الدعاية وبهذه الوسيلة - محدودة حالياً بمحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته،

(١) المصدر السابق ص ١٤١.

(٢) «الساحة الحمراء» ميدان في موسكو العاصمة.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٦.

(٤) بعد الإرسال المنتظم في موسكو عام ١٩٤٨م، وحالياً (وقت نشر الكتاب) يوجد (١٣٢) استديو تلفزيوني - وعدد أجهزة الإرسال (١٦٢٠) جهازاً حتى عام ١٩٧٣م، وعدد -

محدودة حالياً بمحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى المواقفة تحت سيطرته، لم تبقى محصورة داخل الستار الحديدي، وأن وسائل الاتصال الأخرى أخذت تتخطى الحدود والقارات، لتصل إليه.. مثل الإذاعة.

وأن الرائي (التلفزيون) وسيلة اتصال مهمة، بل أنه أهمية خاصة إذا قورن مع وسائل الاتصال الأخرى « وترتبط هذه الأهمية بـ (طبيعة) الاتصال التلفزيوني و« بثه المباشر » وصورته حيث يتم الاتصال المباشر بين المشاهد والحدث . وهذا عامل نفسي مهم، حيث ينشأ لدى المشاهد انطباع، بأنه يشارك مباشرة في الحدث ويمكنه تقويم أهميته دون تعليقات خارجية من المذيع»^(١).

ولهذه الأهمية للرائي استخدم أكثر من أي وسيلة أخرى، في نشر الأفكار الشيوعية، وأن برامج الرائي كلها من أخبار وتمثيلات وأفلام سينمائية صيغت بحيث تخدم الفكر الشيوعية..

والأخبار خاصة تعرض بطريقة دعائية بحيث تظهر التأييد للزعماء الشيوعيين، مثل التصفيق لهم في المحافل الدولية، وتهمل كل إشارة معادية لهم، إلا إذا جاءت من دولة غربية، فبعد هذا دليل على المؤامرات التي يحكها الرأسماليون لهم « وهم يظهرون الغرب بأفصح صورة في حين يعنون بإبراز الدولة الشيوعية في أبهى صورة وأقشب حلية»^(٢).

= أجهزة الاستقبال ١٠٠٠، ٢٠٠، ٤٩ جهازاً في العام نفسه، وقد استخدمت الأعداد الصناعية في نقل برامج التلفزيوني، وبجد حوالي (٣٠) محطة أرضية وقد بدأت العمل عام ١٩٧٤م. (ارجع إلى كتاب، النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ٨٨ و ٩٢ و ١١٣).

(١) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص ١٧٢.

(٢) الإعلام الإذاعي والتلفزيوني - د. إبراهيم إمام ص ١١٩ - دار الفكر العربي ١٩٧٩ القاهرة.

ويلحق بالرائي السينما .. التي كانت سابقة زمنياً عليه، إلا أنه أصبح وسيلة أفلامها للدخول إلى كل منزل، بالإضافة إلى نصبه في كل شارع وميدان ومصنع. وقد أدت السينما في العهد الأول للنظام الشيوعي في روسيا دوراً مهماً بعد أن أتمت صناعة السينما وفرضت الرقابة الشديدة عليها. وقد أنشئت وزارة خاصة لشؤون السينما، وهذه الوزارة تربي المشتغلين بالسينما وتغذيتهم بالمبادئ الشيوعية، وأنشأت لهذا الغرض معهداً للتأهيل لتظهر الدعاية الحمراء بصورة أخاذة ومثيرة.. وقد غزت بها سائر البقاع وكانت لها سينما متنقلة غزت فيها الأحياء الريفية في سيبيريا ومجاهل الغابات^(١).

وقد وضعت روسيا بعد الحرب الثانية برنامج السنوات الخمس، ومن بين ما تضمنته إنشاء ٤٦٧٠٠ دار جديدة للسينما بالإضافة إلى ما أنشئ من قبل حتى عام ١٩٤٠م ما يزيد على ٢٨٠٠٠ دار للسينما..^(٢) وكانت موضوعات الأفلام تدور دائماً حول الصراع بين الماضي والحاضر فتسفه الماضي وتشوهه وتمجد الحاضر وتمني في المستقبل..

ولما استمرت الأمور للثورة الشيوعية، جنحت روسيا في أواخر أيام «ستالين» وبناء على تعليماته، لإبراز مجد القيصرية وعزها القديم لأن روسيا تأبى أن تكون إلا مستعمرة وتحكم بوصايا بطرس الأكبر^(٣).

٤- التربية والتعليم: عرفنا أن الدعاية تخاطب العواطف لا العقول، وأنها تقوم على الإثارة العاطفية لا العقلية.. ولكن هل يمكننا حقاً الفصل بين مجال الشاعر ومجال العقل في نطاق التعليم؟

(١) الدعاية السياسية والاستعلام - الحضاري - ص ١٩١.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام الحضاري - ص ١٩٢.

(٣) حتى عام ١٩٧٤م يوجد (١٤٧) ألف داراً للسينما ثابتة وأكثر من (٣٠) أستوديو لإنتاج الأفلام.

(راجع لي كتاب : النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ١١).

فنحن لا نستطيع أن نقصر وسائل التعليم على العقل وحده دون العاطفة، وأن الغاية من التعليم لم تعد مقصورة على تلقي الحقائق، وإنما أصبح له مهمة تربوية تسمى إلى تشكيل شخصية الطالب وفق ما يريده المرابي.. بل إن تعلم الحقائق نفسها لا يخلو من التأثير على العواطف، كما هو الحال في تدريس التاريخ الذي يمكن أن يثير المشاعر أو التحمس للمذاهب التي تؤمن بها الدولة.

ومن هنا افترق مفهوم الدعاية في الفكر الماركسي عن مفهومها الغربي، وأن الدعاية عند الماركسيين يمكن أن تقوم على الإثارة العقلية لا العاطفية - كما هي عند علماء النفس الاجتماعي الغربي - وأن الأولى أليق بالأمم المتقدمة من الثانية - على حد قول المفكرين الماركسيين - ولهذا كان التعليم في النظم الشيوعية يوصف بأنه جهاز دعاية من وجهة نظر الغرب^(١). وباعتبار أن الصغار أكثر استعداداً للتأثر بالدعاية وتقبلها سواء في المدرسة أو في البيت، لهذا كان التعليم في النظم الشيوعية مشعباً بالعقيدة الشيوعية الملحدة، ومن أول مراحلها، أي من رياض الأطفال يتعلم الأطفال حكم ونظريات القادة الشيوعيين، وفي مادة التاريخ بشكل خاص، يتلقاها الأطفال بالصورة التي يريدها المربون هناك من تلميح للثورة على حكم الفيصر، وتاريخ لينين وما قام به من الانقلاب الشيوعي.. وكلما انتقل الطفل إلى مرحلة أعلى كلما زادت حصيلته من تلك المعلومات بالإضافة إلى ما يتلقاها في الشارع والنادي ومن وسائل الدعاية المختلفة إلى أن يصل إلى سن معينة فيصبح عضواً في الحزب^(٢).

وقد يتساءل البعض: لماذا نطلق على هذا النوع من التعليم دعاية؟ وهل معنى هذا أن كل أنواع التعليم أنواع من الدعاية؟

(١) ارجع إلى كتاب الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - ص ١٠٧.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام - الحضاوي - ص ٢١٠.

وفي الحقيقة ليس كل أنواع التحليم دعاية.. ويمكن أن يكون التحليم لونا من ألوان المدعاية مادام يستخدم طرق الدعاية، كالكلام المكتوب والمنطوق، ويحاول استمالة العواطف بالتكرار المستمر للشعارات البسيطة وغيرها.. ويكون القصد من التحليم ليس تعويداً لتلاميذ البحث بأنفسهم، بل أن يكون القصد فيه إنشاء عقولاً متشابهة مطبوعة لما تستمع إليه وما تتعلمه، وباختصار إيجاد أفراد في فوالب واحدة من الفكر والاتجاه، وهذا هو ما قصده « ستالين » حين يقول: « إننا نريد عقولاً متشابهة، فيجب أن نصل إلى هذه العقول بخلق طراز جديد من النشر، وطراز جديد أيضاً من الرأي العام، وذلك عن طريق نشر المبادئ الشيوعية لغاية واحدة هي جعل عقول الناس متشابهة إلى أكبر حد ممكن. ونحن الراجحون من وراء ذلك، ويتكون العقول المتشابهة يصبح أمر الدعاية سهلاً علينا للغاية، أو بعبارة أخرى يكفي أن نقتنع عقلاً واحداً بمبادئنا لكي نقتنع كل العقول الأخرى بنفس المبادئ»^(١).

(٤) المدعاية الشيوعية والإسلام: مهما حاولت الدعاية الشيوعية تلميع وجه الشيوعية وتزيينه بمختلف الأصباغ حتى يخلو للناظرين.. وحتى يُخدع به المغفلون، فإن هذا الوجه زالت عنه الأصباغ، وظهر علي حقيقته عدواً للاديان جميعاً وللإسلام بشكل خاص.. وهذا الموقف ظهر جلياً منذ قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م، إن كان بوسائل الدعاية بكل ما أوتيت من خبث وخداع، أو كان بالقضاء على شعائر العبادة ومراكز الثقافة الإسلامية وتحويلها إلى أماكن هو في البلاد الإسلامية التي بسطت نفوذها عليها في آسيا الوسطى، مما يشهد به الفاصي والداني والقريب والبعيد ولا يحتاج إلى دليل..

واليوم كشفت الشيوعية عن وجهها الفبيح أيضاً في عداتها للإسلام والمسلمين في دعمها لليهودية العالمية.. وتمكينها في فلسطين، ومدعها بالعنصر البشري الذي لا غنى عنه لليهود لتنفيذ مخططاتهم في التوسع على حساب ديار الإسلام. حتى وصل

(١) الإعلام والدعاية - عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٦.

عداؤها للإسلام بالاحتلال العسكري لأفغانستان وما جرى فيه من تقتيل وتشريد الآلاف من المسلمين.

وفي هذه الفقرة من البحث أبين الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام ومن ثم طرق الدعاية الشيوعية ومراحلها في حربها المستمرة ضد الإسلام، في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذها وخارج هذه البلاد.

أ- الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام: لقد وقف الشيوعيون الروس، منذ البداية، موثقاً عقدياً معادياً للإسلام، وهم لم يكتفوا بموقفهم الرسمي، وقد أوضحوا هذا الموقف في هذا المقطع المأخوذ من الموسوعة الرسمية الكبرى المطبوعة عام ١٩٥٣م حيث تقول: «لقد لعب الإسلام دائماً كما لعب غيره من الأديان دوراً رجعياً على اعتبار أنه سلاح في أيدي الطبقة المستغلة، وأداة للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانب لإخضاع شعوب الشرق»^(١).

ب- طرق الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: استخدم الشيوعيون وسائل متعددة في معاربة الإسلام، فبعد أعمال العنف والوحشية التي ارتكبتها السلطات الروسية ما بين عام ١٩١٩ و ١٩٢١م في تركستان وغيرها مما أثار المسلمين وقامت حروب طاحنة، وجدت حكومة موسكو أن تبديل مبادئها المعادية للإسلام، فأصبحت متقلبة ومرنة وحذرة بالوقت نفسه، إلا أن موسكو ظلت مصممة على القضاء على الدين الإسلامي، وبدأت باستخدام المسلمين أنفسهم من الذين والوا الشيوعية وأصبحوا من مفكريها والداعين إليها، ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الأوائل «سلطان غاليف»^(٢)، وقد كان له تأثير كبير على مصير المسلمين في روسيا، وقد سيطر بمساعدة جهاز من الرفاق، سيطرة مطلقة على الحياة السياسية والثقافية على

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي (مرجع سابق) ص ٢٢٦.

(٢) وأسمه الكامل: مير سيد سلطان غاليف من بلاد «قولنا الوسطى الترية».

ما دعت بالجمهورية الثرية ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٢٣م واستمر هكذا حتى عام ١٩٢٨م حيث حلت عليه غضبة الحزب للمرة الأولى^(١).

ويمكننا تقسيم الدعاية الشيوعية ضد الإسلام وفقاً لظرفها المختلفة إلى مراحل زمنية كما يلي: ١- المرحلة الأولى ما بين عام ١٩٢١ - ١٩٢٨م.

٢- المرحلة الثانية ما بين عام ١٩٢٨ - ١٩٤١م.

٣- المرحلة الثالثة ما بين عام ١٩٤١ وحتى الوقت الحاضر.

١- المرحلة الأولى: نشر «سلطان غالييف» مقالا مهماً في مجلة «جيزن»^(٢) بين فيه طرق الدعاية ضد الإسلام، وذلك باتباع سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام، ويرسم في المقال الخطوط التوجيهية لهذه السياسة التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداماً أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية، ويرى سلطان غالييف «إن مكافحة الدين أمر لازم للشيوعيين لأن الإسلام، مثل غيره من الأديان، سيظل عقبة في طريق بناء الاشتراكية، غير أن هذا الكفاح يجب أن يسير برصانة وحكمة، لأن الإسلام وهو آخر الأديان الكبرى، أقواها وأكثرها عدالة، حتى من «المسرحية» وأن تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الاجتماعية وتحمل عناصر نقدية من الصعب القضاء عليها»^(٣).

وقد أسهم بعض الرهبان النصارى، بعد أن لبسوا مسوح الشيوعية، في هذه الحرب الدعاية ضد الإسلام، ولبسهم ثياب الشيوعية لا بد منه إذا أرادوا أن يبقى هذا الحقد الصليبي ضد الإسلام، وهذا ما فرده زعماء الشيوعية أنفسهم من أن

(١) ارجع إلى كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» ص ١٧٩ حيث تفصيل أكثر.

(٢) مقال تحت عنوان: «طرق الدعاية ضد الدين في الأوساط الإسلامية» بتاريخ ١٢/١٢/١٩٢١.

وفي ٢٣/١٢/١٩٢١ (المرجع السابق ص ٢٢٤).

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤.

فريق من المبشرين « النصارى خلجوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية - لغاية في أنفسهم - لمتابعة العمل الذي بدأوه في ظل الكنيسة الأرثوذكسية في القرن التاسع عشر.. وقد حاولت الدولة الشيوعية إبعاد ظن المسلمين عن نفسها - وهي تشن حرباً على الإسلام من أنها تفعل ذلك استمراراً للحملة الصليبية هذه إلا أن صرف المسلمين عن هذا التفكير كان مستحيلاً، وذلك لما لقوه سابقاً من الرهبان أنفسهم من العداوة والحقد، فكيف إذا أضفوا إلى حقدهم الصليبي حقاً إلهادياً جديداً^(١)...».

ورأت بعد ذلك السلطات الشيوعية، بالاتفاق مع سلطان « غاليف » أنه لا بد لها للقضاء على الإسلام، من اجتناب البدء بالدعاية للإلحاد لأن ذلك يفرح عامة المسلمين، المتمسكين بشدة بدينهم، من الإلحاد^(٢). وبالمقابل دعا «سلطان غاليف» هذا وزفاقه رجال السلطة إلى الحذر الشديد، وأن يقدروا أعمالهم ضد الدين تقديراً دقيقاً بلائم وضع كل فريق من الناس، وقد صنف (غاليف هذا) الشعوب الإسلامية في روسيا، من حيث تقبلها للدعاية في كل منطقة، بحسب مستواها الثقافي وقوة تنظيم علماء الدين فيها.. حتى تكون خططهم محكمة في القضاء على الإسلام فيها^(٣).

وفعلاً نفذت حكومة موسكو دعوة (غاليف) في طريقة محاربة الإسلام باديئ الأمر، ولكن ما إن مضت سنوات حتى هاجمته بطريق غير مباشر وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الرئيسية الثلاث وهي:

١- الأوقاف: التي كانت تضمن القوة الاقتصادية للعلماء.

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٥.

٢- المحاكم الشرعية: التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة.

٣- التعليم الديني الإسلامي.

وقد شنت هذه الحملات الثلاثة في وقت واحد^(١).

المرحلة الثانية: من الدعاية الشيوعية ضد الإسلام ما بين عام ١٩٢٤ و ١٩٢٨ م بعد أن حققت حكومة موسكو هدفها في مكافحة الإسلام من غير أن تثير أي مقاومة شعبية أصبح في الإمكان تنفيذ المرحلة التالية، وهو إيجاد مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الإسلام، ولقد كان العنف هو وسيلة الشيوعية في بداية هذه المرحلة لتنفيذ مآربها.. وتبدأ بتنفيذ مشروع السنوات الخمس، وحملة مجابهة الإسلام بكل الوسائل التي تملكها الدولة، من وسائل اتصال مختلفة، إعلامية وتعليمية، وقد شنت الحملة في وقت واحد من قبل جميع مؤسسات الدولة.. وبدأت الحملة الدعائية بحيث لا تمس جوهر الدين، وتوجه للعادات والتقاليد فقط.

ومثال ذلك « إن الدعاة (للإتحاد) اختاروا في أذربيجان، أن يكون هدفهم مراسم الموت، ومراسيم عاشوراء، التي يحتفل بها الشيعة بذكرى مقتل الإمام الحسين في كربلاء.. فاتخذ الشيوعيون هذه الذكرى وسيلة لحملة شديدة اشتمرت من سنة ١٩٢٤-١٩٢٨ ولكنها لم تأت بشمرة»^(٢).

ثم شنت الحملة الدعائية على العلماء، وانهممهم الشيوعيون بأشنع الاتهامات، وذلك حتى يحبطوا من قدرهم في نظر المسلمين، وعندما بسفط قَدْر العالم في نظر المسلم العادي، يكون هذا داعياً إلى عدم اتباعه في فكره وعقيدته، وهذا هو هدف الشيوعيين البعيد، يقول مؤلف كتاب « المسلمون في الإتحاد السوفيتي » : « واتخذ

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨.

الشيوعيون رجال الدين المسلمين^(١) هدفاً لحملتهم أيضاً وعتوهم بطفيليات المجتمع، وكانت الدعاية الرسمية تسعى في بداية الأمر، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق علمهم وتتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ثم تطورت حملة التحقير، رويداً رويداً، وصار علماء الدين ينهمون بعد سنة ١٩٢٦م بالرشوة والسرفقة والإجرام، وأخيراً بسوء السيرة وسوء الخلق^(٢).

المرحلة الثالثة: تمتد بين عام ١٩٢٨ - ١٩٤١. في هذه المرحلة تطورت السلطات الشيوعية الخاقدة حملتها الدعائية على الإسلام بعد عام ١٩٢٨م وانتقلت إلى المواجهة المباشرة ومهاجمة الإسلام في جوهره وصميمه، « وبدأت حملة مكثفة وعنيفة بلا موارد ولا هواة، وكانت هذه الحملة تسير على وتيرة واحدة في جميع المناطق، سواء المخاطبون رقيقي الإسلام مثل البدو أم كانوا من حضر تركستان وجبال داغستان المتسكين بشدة بعقيدتهم، ولُوجق علماء الدين والمؤمنون لا كطفيليات في جسم المجتمع فقط بل وأعداء للثورة أيضاً، أو أنهم أنشط المعتلين للثورة المضادة»^(٣).

واعتبروا بعد سنة ١٩٣١م جواسيس لليابان أو الألمان. وفي الوقت نفسه منعت سلطات موسكو فرضين من فروض الإسلام الخمسة وهما الحج وأداء الزكاة، وهاجمت الفرض الثالث وهو الصيام في رمضان وأخيراً شنت السلطات حملة لإغلاق المساجد، فأغلق أكثرها وأصبحت بناء على طلب العمال (الشيوعيين) نوادي ودوراً للسينما وغير ذلك ...

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.

وكانت نتيجة هذه الحملة الملحدة المخالفة، أنه لم يبق سنة ١٩٤٢م من جميع المساجد والبالغ عددها ٢٦٢٧٩ مسجداً إلا ١٣١٢ مسجداً مفتوحاً للعبادة كما قالت الصحيفة السوفيتية (سوفيت نيوز) بتاريخ ٦ أيار ١٩٤٢م^(١) مع العلم أن هذه المساجد المفتوحة، هي مفتوحة اسماً أي أنها لم تهدم بعد، ولكن لا يستطيع أحد أن يصلي فيها ولا تفتح إلا لزيارة الرجال الرسميين المسلمين الذين يأتون من الخارج لينتخبها الشيوعيون سبلاً إلى الدعاية^(٢).

المرحلة الرابعة: الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الحاضر^(٣) وهنا تدخل مرحلة مكافحة الإسلام على الصعيد العقدي (الأيدولوجي) وليس على الصعيد الإداري أو العسكري كما في المراحل السابقة.. والدافع لهذا الأسلوب من الدعاية، هو أن الإسلام لم يهزم أبداً في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الشيوعي، وإن كان ظاهر الأمر استتباب الأمر للسلطة الشيوعية، وهذا ما صرح به أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبستاني إذ يقول: « إن انتصار الاشتراكية في بلادنا لا يعني قط زوال بقايا الماضي من غير كفاح»^(٤).

ولمكافحة الإسلام (عقدياً) تستعين السلطات الشيوعية بسلسلتين من الحجج، أولاهما تصلح لمكافحة كل الأديان على السواء، وهي حجج معروفة لا تحتاج إلى بسط وتلخص بأن الإسلام مثل غيره من الأديان: « أفيون الشعوب » وينطوي على « أيديولوجية » رجعية ومناهضة للعلم، ويعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن

(١) المرجع السابق ص ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق حاشي المترجم إحسان حفي ص ٢٢٩.

(٣) المصود بالوقت الحاضر وقت إعداد الرسالة للجامعة عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

(٤) من تقرير نيازوف إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكي - المرجع السابق ص ٢٧٤

(نقلًا عن جريدة برفاند افوسبكا - طشقند ١٩٥٢/٢/٢٤).

المجتمع، ويطيع المرء بطابع الاستسلام والخنوع ويصرفه عن العمل الثوري، وكذلك فإن الإسلام مثل غيره من الأديان سلاح بيد الطبقة المستغلة من الرأسماليين والبرجوازيين .

وهذه الحجج الواهية والمنشورة في عديد من الكتب الشيوعية، لا تحتاج إلى رد لأنها مخالفة لأبسط قواعد الحجج المنطقية، بل مخالفة للواقع والتاريخ « .. وأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام أقيوناً للشعوب، بل كان ولا يزال دافعاً للحياة والحركة » ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة: ٢٤١]

وأما الحجج الأخرى فهي موجهة خصيصاً للإسلام، وهي تكرر ما يقوله الصليبيون والمسنشقون اليهود.. فهي تعرض الإسلام على اعتبار أنه « دين بدائي مضحك وخليط عجيب من العقائد المسيحية واليهودية والرثنية »^(١).

« وقد وضع أسسه ممثل الإقطاعية التجارية في مكة لكي يبرر دينياً حملات النهب والسلب التي يقوم بها أرستقراطيو العرب »^(٢).

« والإسلام دين غريب عنا فرض على شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس بالمخديد والنار، وظل الإسلام يعمل خلال قرون في خدمة الإمبريالية العربية والإيرانية والأفغانية والتركية وهو اليوم في خدمة الإمبريالية الإنكليزية والأمريكية »^(٣). وكلام كثير غير هذا مما يدفع الإنسان النصف إلى التفرز، ويشير السخرية لفتاليه.. ومن الثابت تاريخياً، أن تاريخ الأنبياء يؤكد بوضوح بطلان هذه

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي - ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ (من تقرير قدمه « ياغبروف » السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في أذربيجان إلى المؤتمر الثقافي الذي عقد في باكو في ١٤ / ٧ / ١٩٥٠ م).

(٣) من مقال نشر في جريدة (تيزل أوزبكستان) باللغة الأوزبكية في طشقند بتاريخ ١٩٥٢ / ٤ / ٤ بعنوان « عن الإسلام وحركاته الرجعية » المرجع السابق ص ٢٧٥.

الافتراءات الماركسية عن المدين، فالدين لم يكن أبداً من ابتداع الأقوياء الأثرياء لتسكين المظلومين وتحدير الضعفاء، وإلهاء الفقراء، فما من نبي إلا ولقي أعتى صفوف المعارضين والعداء من الأغنياء والأقوياء، وما من نبي إلا دعا لما يؤخذ من هؤلاء الأغنياء، لا لما يعطيهم ويزيدهم، ولقد بينا ذلك في باب « نظرة تاريخية »^(١)، وتبين لنا موقف الكبراء، والمترفين من الشعوب المختلفة تجاه الأنبياء على مر التاريخ، وكيف كان موقف كبراء قريش، وأثرياء مكة، وأغنياء العرب تجاه النبي محمد ﷺ، وما لقيه منهم من صفوف الألام والمعارضة لأنه ﷺ ما أرسل ليؤيدهم ويكرس سلطانهم وسلطان أمواتهم - كما يدعي الماركسيون - وإنما أرسل ﷺ ليعالج مفاسدهم ويحد من سلطانهم، وينصر المعذيين والمظلومين في الأرض.

والقرآن الكريم يذكر - في مواضع عديدة - أنه ما من نبي أرسل إلا وكان المترفون والأغنياء والكبراء له أعداء ولدعوته من الد الخصوم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [٢١] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْذَيْنَا أَن كُفَّكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [٢١] [١١١]

ولم ينس الماركسيون، القرآن الكريم، ولم ينح من حقد الشيوعيين فجاوزوا أيضاً بهذيان، لم يقل به عاقل أو متصف.. والقرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وآياته تنطق بالعدل والمساواة.. فقالوا: « إن القرآن يأمر بالظلم وعدم المساواة، وأنه يمدح خنوع المرأة، وأن التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القوانين هي أفضح ما عرف الإنسان من ظلم »^(٢).

(١) الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) من تقرير « ياغبروف » المذكور سابقاً - (ارجع للمسلمون في الاغواء السوفيتي - ص ٢٧٥).

ومكافحة الإسلام ونشر الإلحاد عملياً، بقعان على عانتق منظمة تعرف باسم « جمعية نشر المعلومات السياسية » أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية، وهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام، ومركزها الرئيس في « موسكو » ولها فروع في سائر الجمهوريات، وتحت تصرف هذه المنظمة كل وسائل الإعلام المختلفة، وحتى يمكن إعطاء صورة واضحة لعمل هذه المنظمة لايد من إلقاء نظرة على بعض أعمالها، فمثلاً: نجد المخرج القازاني لهذه المنظمة والذي يشرف على نشاط خمسة عشر فرعاً إقليمياً و ٢٠٩ مائتي وتسعة فرعاً في المدن والقرى وعلى ٨٦٥ ثمانمائة وخمس عشرة مكتباً للدعاية .. نظم خلال ثلاث سنوات (١٩٤٦ - ١٩٤٨) : ٣٠٥٢٨ محاضرة منها ٢٣٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

والفت المنظمة في أوزبكستان سنة ١٩٥١م أكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام . وفي سنة ١٩٦٣م ألفت المنظمة ذاتها في (تركمانستان) أكثر من ٥ خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام.

يضاف إلى الجهود العامة جهود خاصة إذ يقصد أفراد المنظمة الملحدون منازل المسلمين ويجبرون أهلها إلى الاستماع إلى أقوالهم ضد الإسلام.

أما في مجال الكتب فقد طبعت المنظمة خلال ١٩٥٥ - ١٩٥٧م ٨٤ أربع وثمانين كتاباً ضد الإسلام في ٨٠٠,٠٠٠ نسخة وزعتها في المناطق الإسلامية.

وبعد موت (ستالين) اشتدت الحفظة على الإسلام ، فقد نُشر خلال عام (١٩٦٢ - ١٩٦٤م) ٢١٩ كتاباً ونشرة ضد الإسلام أو موجهة إلى المسلمين^(١) وإن الجهود مازالت كبيرة في مكافحة الإسلام، وما ذكرت هنا على سبيل المثال لا الحصر .

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

وعلى الرغم من هذا الإحصاء المذهل، فإن السلطات الشيوعية تعتبر أن الأعمال الجارية في مكافحة الإسلام غير كافية، فالصحافة تشكي كل يوم من عدم ميالة الطبقة المثقفة المسلمة بالأعمال المعادية للمسلمين، لا بل نفرتهم من هذه الأعمال، كما أن الصحافة تشكي من الحطاط نوعية الدعاية الملحمة وعدم جدواها، على الرغم من تطوير أسلوب دعائيتهم، وانتقالها من مرحلة كفاح الإسلام بشكل عنيف ولاذع إلى ما تسميه السلطات الشيوعية بـ (الكفاح العلمي) و(الكفاح الأيديولوجي).

ويرجع بعض الكتاب عدم جدوى الدعاية الشيوعية إلى أن الكتب الحديثة مكتوبة بأيدي جماعة من (البيروقراطيين) المحرومين من التفكير السليم وهم ما افكروا منذ سنوات يعيدون على مسامع القارئ بعض الأفكار الساذجة، فثمرة جهودهم هي إدعاء فارغ وإجهد معاً، وتبعث على ملل لا يطاق^(١).

هذا عن الدعاية الشيوعية في البلدان الشيوعية، أما الدعاية الشيوعية في البلدان غير الشيوعية، فنجد أنها منذ قيام الدولة الشيوعية وحتى عام ١٩٥٥م كان الشيوعيون في البلدان العربية خاصة يرددون كالبغاوات ما يقوله أسيادهم في الكرملين « فآخذوا يرفعون نفس الأولوية وينهجون ذات النهج الذي نهجه الشيوعية الحاكمة، فهاجروا الدين بضراوة ووصفوه بالرجعية والتخلف واتهموه بمحاربة الظلم والظالمين والاستغلال والمستغلين، وبأنه محض أداة في يد أولئك وهؤلاء لتقتين الظلم وتبرير الاستغلال»^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨.

(٢) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي ص ٣٦ - ط ٢ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ - أبريل ١٩٨٠م (من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية).

وأما بعد عام ١٩٥٠م، فقد بُدئ بمرحلة جديدة من الدعاية الشيوعية في البلدان العربية خاصة.. وذلك أن الشيوعيين الروس بدأوا أول تعامل جدي مع البلاد العربية بعد صفقة السلاح المصرية «التشيكوسلوفاكية» والتي كانت تشيكوسلوفاكية واجهة للروس ليس إلا . « لقد فتح حاكم مصر وقتذاك أمام الدب الروسي الشيوعي ثغرة واسعة لم يحلم بها من قبل، وما أن ولج الدب منها حتى ألقى أمامه عوالم جديدة كانت أبوابها بالأمس القريب موصدة، وهي عوالم زاخرة بالثروات الطبيعية، - لأبعد مدى - لمنتجات العصر المصنعة، وما هي إلا شهور وسنوات معدودة حتى كانت القدم الروسية قد وصلت لبقاع عديدة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى»^(١).

وأدرك الشيوعيون الروس أن الوجه الشيوعي القديم لن يُقبل، وخاصة وأن هذه الشعوب ما زالت تتمسك بالدين، وهنا أدركوا أنه لا بد لهم من لباس قناع جديد، غير معاد للدين في ظاهره، « وبدأت كتابات الشيوعيين تشر بتغير موقف الشيوعية والشيوعيين من الدين، فالشيوعية مذهب سياسي واقتصادي والدين عقيدة فقط، ولا مجال للمقارنة بينهما!! كما أن الشيوعية أو الاشتراكية - لا فارق في الحقيقة - لا تتعارض مع الدين الحقيقي! وأن جوهر الدين هو في حقيقته جوهر الاشتراكية!! وأن هناك العديد من نقاط الالتقاء بين الدين الحقيقي» « وبين الاشتراكية»^(٢).

وبدأت الصحف اليسارية العربية تتحدث عن اشتراكية الإمام علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري، ونظرت إلى الحوادث التاريخية الإسلامية بمنظار ماركسي. والغاية الأخيرة للشيوعية هي تشويه الإسلام - عقيدة - وتاريخاً - ورجالاً -

(١) المرجع السابق ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨.

بالإضافة إلى الهجوم الشرس على دعاة الإسلام وحملته، واتهامهم جميعاً بالعمالة للغرب، وبالاغتيال للطبقة المسيطرة، وبالعداوة للإصلاح الاجتماعي الذي نادى به الاشتراكية - على حد زعمهم - إلخ من تلك العبارات المعروفة والتي درج الشيوعيون - في كل مكان - على تروييحها .. وكما هي عادة الشيوعيين في تشويه الأفراد والجماعات .. ليخلو لهم الجحرف فيضوا ويفرخوا...»^(١).

وثيقة مهمة تفضح حقيقة النيات الشيوعية تجاه الدين^(٢): - لعلنا نتعرف على حقيقة الموقف الشيوعي - ظاهراً وباطناً - من الدين - والإسلام بشكل خاص - بمطالعة تلك الوثيقة الشيوعية المهمة التي تفضح سرهم وسريرتهم في هذا الصدد.

« فمئذ حوالي خمس عشرة سنة أعدت الجهات المعنية في الاتحاد السوفيتي بمحاربة الدين وثيقة تضمنت توجيهات للشيوعيين في سائر أرجاء العالم التي مازال للدين بها قدسيته ونفوذه وتأثيره على نفوس الشعوب، وبالذات في البقاع الإسلامية. وقد تسربت تلك الوثيقة إلى أيد غير شيوعية، فتلقتها وترجمتها ونشرتها، ومنها مجلة « كلمة الحق » في عددها الصادر في شهر محرم من سنة ١٣٨٧ هـ « أبريل ١٩٦٧ م » والوثيقة التي أحبطت بقدر هائل من السرية في الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تسربت رغم ذلك، ولا تخنأ لأي تعليق أو شرح فهي تظهر - بنفسها وبوضوح تام - جوانب النكبتك الشيوعي الراهن في التعامل مع الدين والمؤمنين به في وقتنا هذا، ولا سيما في البقاع الإسلامية والمسيحية (النصرانية) في العالم الثالث^(٣).

وتقول الوثيقة المهمة - إلى أبعد حدود الأهمية - في مستهلها: « برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي

(١) ارجع إلى المرجع السابق .. إذ يتوسع في هذه النقطة ص (٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣).

(٢) المرجع السابق ص ٤٣.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩.

وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي، صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددها الصادر في أول يناير سنة ١٩٦٤م بما نصه: « إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكان مبادئ لينين لم تشربها دماء المسلمين».

« وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتقدون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الشعوب ومفكري المذهب لا يقبب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي إذ ذكرت « دائرة معارف الثقافة الشيوعية» أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويذلل « أي الإسلام » أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين، ويقدم كل العون للاستغلال. وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم، ونخصم عنيد للاشتراكية، ويناهض الحركات التحررية».

« ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة طرد الإسلام نفسه وقد قررنا ما يلي:

- ١- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضاً السيطرة ونجذب الشعوب العربية للاشتراكية.
 - ٢- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.
 - ٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل... ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.
- ونقول الوثيقة^(١):

(١) أرقام الفقرات هذه حسب وجودها في الوثيقة الأصلية.

٦- الخيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

٧- ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا يجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإصاف التهم به وتغيير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.

٨- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق وسنخض هذه العقود لمنظم الاشتراكية. أما الصوم والصلاة فلا أثر لها في الحياة الواقعية ولا خطر منهما، أما الحج فمقيد بظروف الدولة، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الإسلام لتستعد للقضاء عليها.

٩- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

١٠- إن قسم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس، لأن الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ولن يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات، والتي تروج للإلحاد وتدعو إليه، ونهزأ بالدين ورجالهم وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر.

١١- مزاحة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي.

١٢- خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية فهو فقير ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء ، وهكذا يمكننا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين.

ونقول عن محمد أنه إمام الاشتراكيين فهو فقير وتبعه فقراء وحارب الأغنياء المخنكرين والإقطاعيين والمرابين والرأسماليين، وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن تصور الأنبياء والرسل، وتبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لتجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم وأوجدوها لهم أتباعهم المهوسون.

١٣- في القرآن والتوراة والأنجيل قصص، وثلاثا نستخدم بشعور الجماهير الديني ونيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً اشتراكياً، فقصّة يوسف - على سبيل المثال - يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيدها منها في نعيته الشعور العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشريفات والحكام الرجعيين .

١٤- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، ونجريد هذه القوى تدريجياً من وجدانها.. إلخ.

١٥- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسؤولية التأخر والانحيار الاقتصادي والجوع والفقر والمرض على الرجعية والاستعمار والصهيونية والإقطاع ورجال الدين.

١٦- تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتحدير للقوى المناهضة.

١٧- الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حطامها الرجعيين، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٨- نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي.

١٩- لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على الأبطال زمن ذلك، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها، فالثورة قبل كل شيء، هدم للقيم والموراث الدينية جميعاً.

٢٠- الإعلام بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين المزيف الذي يعتنقه الناس لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخذل الشعوب لتساق وتسخر لخدمة طبقة معينة، والصاق كل عيوب الدواوش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا بالدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

٢١- تسمية الإسلام الذي نؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطور، دين المستقبل حتى يتم تحريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعامله، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسماً، اشتراكيين فعلاً حتى يدوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى.

وتقول الوثيقة:

٢٥- الاهتمام بالإسلام مقصود منه - أولاً - استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام - وثانياً - استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي. ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها سنضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام.

٢٦- وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية وتغيبه من الشواذب، وتحت شعار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية.

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهبة فتقول: « وفي المحيط العربي كله يحل أنصارنا بيد، وقد استطاعوا أن يشوا إلى المناصب الرئسية في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ووقفوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت خردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي. » ولئن كان من المتعذر جداً توفيت التحرك الثوري إلا أن التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد، ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفاعل في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها، ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمانينة مع اليقظة والحذر دون أن نحوم حولهم الشكوك لأنهم يشتركون بأولئك المسؤولين.

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعاً ويزداد تغلغلهم على مر الأيام.»

كانت تلك بعض كلمات الوثيقة التي تفضح حقيقة آراء الشيوعيين ونياتهم تجاه الإسلام، وهي حقيقة لا نحتاج منا للتدليل عليها، فما من دارس للشيوعية ومتابع لأصولها ولسيرتها في مجال التطبيق والنشاط العلمي إلا ويدرك إدراكاً كاملاً تلك الحقيقة بكل أبعادها، ولكن ركوز الشيوعيين للأفئمة وأخذهم في السنوات الأخيرة في إعلان غير ما يضمرون، واسترسالهم في الكذب والبهتان مع الإعادة والزيادة المعهودة في فنون الدعاية الشيوعية، ما هو إلا الخداع من ليس لهم دراية وتعمق في معرفة حقيقة الشيوعية^(١).

(١) المرجع السابق ص: (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠).

ثالثاً: الدعاية الغربية:

تمهد: أعني بالدعاية الغربية: الدعاية المتولفة من وسائل الإعلام الغربية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي مازال شبح الحروب الصليبية يطاردها... والحقده على الإسلام والمسلمين أمام بنائها... والكذب، والخداع، والتشويه، وتحريف الحقائق... ديدنها.. مهما لبست من أثواب الحقيقة والموضوعية وغيرها من الأثواب البراقة، والتي تغري السذج والبسطاء من أنعام المجتمعات الإسلامية. وما ينبغي معرفته، أن الدعاية يفهمها الحديث والعصري من نتاج العقلية الغربية، نظرياً ونظرياً.. ولن أعرض للدعاية وأنواعها والأسس النفسية التي تستند عليها.. لأن ذلك مر معنا في أول هذا الفصل.. ولكن ما أهتم به في هذه الفقرة من البحث هو الأسس الأخلاقية لهذه الدعاية، ودوافعها وموقفها من الإسلام والمجتمع الإسلامي.. ومرآتها قبل الحروب الصليبية وبعدها وثمار هذه الدعاية وما جنت وحصدت في المجتمعات الغربية، والمجتمعات الإسلامية..

- في المجتمعات الغربية حيث شوعت صورة الإسلام، دين التوحيد والعدالة والحرية.. وحولته إلى صورة بغيضة بنقر منها كل إنسان.
- وفي المجتمعات الإسلامية حيث ربت التلاميذ الأوفياء لها وللمدينة الغربية.. فانقلبوا أعداء لدينهم ومجتمعهم.. ورسل فساد في بلادهم..

(١) أسس الدعاية الغربية: قامت الدعاية الغربية على أسس أهمها:

- أن جميع الوسائل والأساليب الدعائية تعتبر جيدة ومقبولة وصحيحة إذا ما أدت إلى التنفيذ الناجح للمهمة المطلوبة.
- يجب على رجل الدعاية أن يعتمد في عمله، قبل أي شيء آخر، على الخرافة والآراء الباطلة، وأن يستغل بصورة مكثفة الانفعالات البشرية ويتوجه يادئ ذي بدء إلى عواطف الناس لا إلى عقولهم.

- أما الأساس الأول، فقد مر بيانه، حين عرفنا الحرب النفسية، ونظرنا إلى الدعاية بصفتها إحدى أسلحة الحرب النفسية في وقت الحرب وفي وقت السلم أيضاً.. وأنها تستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل التأثير على سلوك الآخرين، دون النظر إلى قبسها الأخلاقية أو قبولها من قبل الشرائع السماوية. وهي بهذا تسير على منهج « الغاية تبرر الوسيلة » المفضولة الميكافيلية المشهورة.

- وأما قضية الصدق في الدعاية الغربية، فنجد في رأي (لندلي فريزر) و«الدعائي الغربي العالمي»^(١) إذ يقول: « الدعاية، تقف من الصدق موقفاً محايداً، فما هي إلا طريفة أو مجموعة من الطرق الفنية التي تهدف إلى تحقيق هدف معين، هو حل الجمهور الذي توجه إليه على تغيير موقفه وسلوكه، ونحن لا نستطيع القول، كمبدأ مسلم به، أن التزام الصدق يكون أبعد أثراً في تحقيق ذلك الهدف»^(٢). أي أن الدعاية لا تلتزم بالصدق إلا إذا كان يحقق أهدافها... ويقول: « إن القائمين بالدعاية قد لا يلتزمون بالصدق ماداموا على ثقة من أن الجمهور المعني لا يتوافر له وسائل التحقق مما يقولون»^(٣).

ويقول أيضاً: « إن القائم بالدعاية قد يستمر في عدم التزام الصدق لو وجّه أقواله إلى أشخاص كبار السن يمكنهم الإطلاع على مصادر أخرى للمعلومات، مادام يهدف إلى أمل حيوبي عزيز، وهنا يقال « إن الغاية تبرر الوسيلة »^(٤).

(١) هذا الوصف، وصنعه به « أمين شاكر » ، مقدم كتاب فريزر « الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم » ترجمة عبد السلام شحاته ، ط. القاهرة - ١٩٦٠ . - منشورات جمعية التروحي القرومي.

(٢) المرجع السابق ص ١١٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٧ .

وهذه الأقوال واضحة، لا تحتاج إلى بيان، بل إن الأفعال توضحها أكثر، ذلك أن المجتمعات الأخرى، والإسلامية بشكل خاص، لاقت من وسائل الدعاية الغربية، الوبلات، ومازالت تلاقي على يد تلاميذ لها في تشويه العقائد والثقافات، وستعرض إلى هذا في حينه بإذن الله...

ويمكن الآن أن نخلص إلى القول: إن الدعاية الغربية اتخذت الكذب والخداع، وتحريف الحقائق، ونشر الشائعات المغرضة، وإثارة مشاعر الرعب، والاستغلال وتلفيق مختلف أنواع المواد الثقافية والسياسية، المشابهة للمواد الحقيقية، « وفكرة » الأخبار بحيث تقدم مصالحها، بالإضافة إلى أنها « نطعم الأخبار بالشائعات في براعة شيطانية، بحيث يصعب التمييز بين العناصر الخفية والعناصر المختلفة مادامت جميعها تنتظم في بناء واحد متجانس ومنطقي في ظاهره»^(١).

(٢) الدعاية الغربية والإسلام : وإن المرء يسأل: هل موقف الدعاية الغربية من الإسلام يقوم على هذه الأسس نفسها؟ .. ونستطيع أن نجيب بقناعة تامة: نعم ، بل أكثر من ذلك نقول: إنها قد تقف موقفاً محايداً تجاه العقائد الأخرى، أما إذا ذكر الإسلام، تبدل الموقف تماماً! وأصبح موقف كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر، على صور من التعصب الشديد^(٢).

وهذا الموقف نجده عند أكثر المستشرقين خاصة، وعند رجال الإعلام وحتى عند الفرد الغربي العادي، الذي سُمعت أفكاره من قبل هؤلاء..

ويسأل المرء أيضاً: لماذا هذا الموقف من الإسلام؟ يجيب « محمد أسد » على هذا السؤال، وهو الغربي الأصل، والعارف المطلع على حقيقة موقفهم بقوله: « إن

(١) « الإعلام والاتصال بالجماعير » [إبراهيم] إمام ص ٢٧٦.

(٢) ارجع إلى: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٩

الحروب الصليبية هي التي عيّنت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون تلو» وبين في تحليل عميق، كيف تكون هذا الموقف في عقل الأوروبي وعاطفته: « لقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في المعهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات الصنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً أو باطناً مدى الحياة التالية، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة - والمتسم بالتفكير، أكثر من أقسامه بالعاطفة - أن تحوّلها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزول آثارها تماماً... وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثراً من أعماق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي»^(١).

(٣) مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام: يمكننا تقسيم الدعاية الغربية ضد الإسلام

إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: قبل الحروب الصليبية: وذلك لتهيئة لها.

المرحلة الثانية: بعد الحروب الصليبية: واتخذت شكلين:

أ- الاستشراق. ب- التبشير.

المرحلة الثالثة: في الوقت الحاضر، أسلوبها ووسائلها.

المرحلة الأولى: الدعاية الغربية ضد الإسلام قبل الحروب الصليبية: امتدت هذه المرحلة إلى

ما يقارب مائة عام قبل الحروب الصليبية بشكل فعلي^(٢)، والذي تولى كبر هذه

(١) المرجع السابق ص ٥٥ و ٥٦.

(٢) أول من دعا إلى الحروب الصليبية هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢م (في رواية صاحب كتاب

« حاضر العالم الإسلامي » سنة ٩٩٩م، في رواية أحمد رضا بك صاحب كتاب الحجة =

الدعاية البابوات والرهبان، والكتاب والمفكرون والرحالة^(١).. والتجار، وزوار بيت المقدس وغيرهم» وقد انتشرت الدعاية وذلك بإثارة البغض والمخاوف من الأعداء، والتحمس للمدين^(٢)..

وإن زوار بيت المقدس (المقادسة)^(٣) والتجار والرحالة، كانت دعائيتهم ضد الإسلام تأتي بشكل غير مباشر، وذلك خلال ما يشيرونه من رموز، وإجاءات وكان ما يصفونه عن بلاد الإسلام يشير الرعب في قلوب النصارى في أوروبا..

فقد كان الرهبان عند أوتهم لنورهم بعد تأدية فريضة الزيارة للبيت المقدس يفلون لأبناء جنسهم ما اظلموا عليه في الشرق الإسلامي، فكان أول شعور يلهم إذ ذاك بأبائهم القديسين هو الاستغراب الذي يتولاهم حين يعلمون سرعة انتشار الدين الإسلامي، ويزيدهم رعباً واستغراباً أن تلك الأمصار القاصية عنهم والمحظنة ببلاد القدس مهد الدين المسيحي بسكنها العرب (أي الكافرون برأيهم)^(٤).

= الألفية للسياسة الغربية في الشرق - ترجمة عماد بوقية ومحمد الصادق الرمزي - دار بوسلامة ١٩٧٧ - تونس (ص ٦٥). ولكنه لم يوفق، ثم البانا تحريفودوس سنة ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧م.

(١) من كتاب النصارى ومفكرتهم الذين حرضوا على الحروب الصليبية: سافيشوا ومارينو، بين ديوا، جيلوم دي نوجاري، ريموند لول، نراك..

وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف ألب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين وكيف حللوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية.

راجع «حاضر العالم الإسلامي» تأليف كوثورب ستورارد - ترجمة صجاج نويهص، وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان - دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٣٩١ - ١٩٧١م ص ٢٦٨.

(٢) الدعاية السياسية - لتدلي فريزر ص ٢٠.

(٣) النظر كتاب (الخصية الألفية للسياسة الغربية في الشرق) ص ٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤، ٥٥.

وهم يتصورون أن الخطر الحقيقي في نظرهم مقره الشرق، ويتخيلونه في صورة زحف المسلمين عليهم.. فقد كان ما ينقله المقادسة من الروايات متنبهاً لمنازع الكنيسة التي كانت موجهة حتمها وعتايتها على مسلمي الشرق.

« وما كان يدفع النصارى في توجيه انظارهم نحو الشرق وجود تراث ثمين ذي شهرة دينية عظيمة خلقه الحواريون وبقي محفوظاً بمدينة أورشليم، هناك يوجد قبر المسيح، حسب اعتقادهم، وكيف لا يعترهم أشد الخلق والاعتباط حين تحديثهم أنفسهم بالعار الذي يلحفهم من استيقاء ذلك القبر المقدس في قبضة الذين يعتبرونهم كافرين؟ هذا من مرجيات تحديثهم بالشرق، وزد أن اليونان كانوا يوججون نار الغيظ ويلذعنون كل أنواع الأكاذيب لاستنهاض العالم المسيحي ودفعه إلى الإجهاز على الترك^(١) ».

ثم بعد ذلك بدأت الحملة الدعائية المباشرة ضد الإسلام بوساطة البابوات والرهبان، بعد أن كشف البابا سلفستر الثاني عن آرائه عام ٩٩٩م في الحرب الصليبية التي يجب أن تشن على المسلمين في الشرق.. ولم يهتم بهذه الآراء عظماء الكنيسة والملوك حينئذ^(٢) .

إلا أن الأحقاد ضد المسلمين في الشرق، بقيت كامنة في قلوب نصارى الغرب حتى جاء البابا « أوربان الثاني » الذي التقى مع « بطرس الناسك »^(٣) عند عودته

(١) المصدر السابق ص ٦٤. والثرك يعرف الأوربيين هم المسلمون .. لأن الأتراك المسلمين هم الذين طرغوا أبواب أوروبا عدة مرات بعد فتح القسطنطينية..

(٢) المصدر السابق ص ٦٥.

(٣) بطرس الناسك أو (الراهب) : أحد قدماء الجود اعتنق الراهبانة على أثر ما أصابه من الكاره الزوجية. قال في حقه المؤرخ الفرنسي ميشلي أنه كان يلقب « بكوكو الراهب ».

وقد الصق به كلمة (كوكو) التي تشبه من حيث النطق كلمة أخرى لا يلقى التلفظ بها صراحة لأنها تطلق على من كانت زوجته تحده من حيث تمكين غيره من نفسها.

من زيارة بيت المقدس، وفي عام ١٠٩٥م عقد هذا البابا مجلساً حضره جميع أساقفة العالم النصراني الذي قرر الدعوة إلى الحرب المقدسة وتشكيل إرسالية لمحاولة تخليص بيت المقدس^(١).

وقد خطب البابا خطبة حماسية، أمام جمع كبير من النصارى، أثار فيها النفوس، وأيقظ الأحقاد، وحرّض لقتال المسلمين (أعداء الله براهبه)، ووعدهم بالجنة، ومما قاله في هذه الخطبة الدعائية المؤثرة: « اذهبوا وقاتلوا أعداء الله، بالعار المحيين، إن أعداءهم لم يزالوا من عهد بعيد ناصيين سرادقات نفوذهم على سورية وأرمينية، بل ارتكبوا ما هو أدهى من ذلك وأمرّ إذ إنهم اختلسوا قبر المسيح ذلك المعهد العجيب لإيماننا»^(٢).

وقد قوبل الخطاب بهتاف كانت مظاهره البكاء والزفير، فقام الحاضرون بأسرهم وخروا سجداً على قدمي الخطيب. وبهذه التمثيلية المؤثرة بدأت الحملة الدعائية بقيادة البابا والرهبان ومنهم « بطرس الناسك» الذي أخذ يجوب البلاد الأوروبية ويحرض الناس على حرب المسلمين.. وطردهم من البلاد التي وعدهم بها الرب»^(٣).

ومنذ ذلك التاريخ بدأ زوار بيت المقدس يقصون القصص الكاذبة عن المسلمين في الشرق، حتى يهيجوا النفوس، وتتمكن منها ملامح الانتقام.

ووجد دعاة الحرب الصليبية أن لا وسيلة لإثارة لواعج التعصب النصراني المنح من ذكر القساوات التي يقامها زوار بيت المقدس من قبل المسلمين، ولذلك

(١) المرجع السابق ص: ٦٥ - ٦٦.

(٢) أرجع إلى المصدر السابق ص ٦٦ - ٦٧ للإطلاع على بقية الخطبة..

(٣) قال ميللي في تاريخه نقلاً عن الرامب فلروي: « من التفرير والتضليل بل من العبث بمعاني الألفاظ أن تدعو بلاد فلسطين إرثاً للمولى أو لأنها هي الأرض التي وعد بها أمته، فإنه لا يوجد في كتب الدين ما يشير بأن الله أمر المسيحيين بتشييد المدينة المقدسة». المرجع السابق ص ٧٢.

ترى الرواة لا يتقلون إلا أنين النصراري تحت الشتائم والمعاملات الجافية، وقد نقلت هذه القصص من قرن إلى قرن، وكل ناقل يلبسها ما استطاع من الضخامة حتى أصبحت خرافة تحكي أساطير الأولين^(١).

واستغل « بطرس الناسك » هذه الأساطير، وأخذ بتفغل من مكان إلى آخر في أوروبا، فكان يردد ويرق في خطبه التي كانت تلهب حماسة وإثارة على المسلمين، فتثير أحقادهم، وتوقظ نار العداة الكامن في نفوسهم، بالإضافة إلى أن الكنيسة ضمنت للمقاتلين لتخليص ضريح المسيح.. حفظ أموالهم وغفران ذنوبهم والسعادة الأبدية في الآخرة^(٢).

وهكذا استجاب نصاري أوروبا لدعوة البابا وبتطرس الناسك، ويؤكد المؤرخون الأوروبيون أن دوافع القتال متعددة ومختلفة ولكنها أبعد ما تكون عن الدين والأخلاق^(٣). قال الراهب انكتيل في تاريخه: « قليل من الصليبيين كانت لهم غايات دينية حقيقية »^(٤).

(١) وقد رد على دعوة الصليبية مسيولافيس في تاريخه قائلا: « بفضل ما يبدو على العرب من عواطف الشامع كان المسيحيون القاطنون بأورشليم في راحة وهناء بالنسبة لقبيرهم، وهناك عدة كتابات تشهد أن كنائسهم ومسئفياتهم كانت زاهرة بالنعمة ويتصرف أربابها في ثروات طائلة، فلا سبيل والحالة هذه للتصديق بصحة ما تحاول الكنيسة إيهامنا إياه من أن المزوار من المسيحيين يعاملون هناك بالجفاء » المرجع السابق ص : ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) كتب الراهب فنوري مبناً الفترات المقاتلة في الحروب الصليبية يقول: « إن حرب الصليب انتهزها غريفيوا التمة فرصة للتخلص من ديوتهم، والأشقياء للتخلص مما قضت به عليهم جرائمهم من العذاب، والرهبان الجامعون لتغيير حالتهم والانصراف عن ديورهم، والنساء الشائعات للاستمرار بأكثر حرية على التهنك والعتاء. ومن هنا يتصور المرء ما كان عليه الصليبيون من اضطراب الحال وازغواء جبل الأخلاق ». المرجع السابق ٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ٧٧.

وفعلًا كان فاقدوا الذمة كالثقله والفجار والملصوص والتهية - وهم الذين وجه لهم البابا (أوريان الثاني) خطابه - يصرحون بأنهم يريدون من انخراطهم في سلك الصليبيين غسل جرائمهم في دماء المسلمين، فما يرثى له - حسيما لاحظته فولر - أن يشاهد الإنسان أنجب أعضاد الشيطان يتقبلون مجاهدين في سبيل الله»^(١).

ونحن هنا لا نريد أن نؤرخ للحروب الصليبية، وما جنت على العالم الإسلامي، بل على العالم كله من ويلات، وما رافقها من وحشية لا توصف من شناعتها^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

(٢) ثم يرو التاريخ أن قوماً بلغوا من الوحشية ما بلغه الصليبيون الذين لبسوا ثوب العقيدة، ورفعوا الصليب شعاراً لهم فقد روت «آن كورن» ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحي : «أن ألد ملاحهم - أي الصليبيين - أن يقتلوا جميع الأطفال المسلمين الذين يصادفونهم ويصلونهم ناراً ثم يأكلوا لحومهم» هذه الرواية ايدها المؤرخ الإنكليزي (ميلس) أيضاً قائلاً: إن الصليبيين يأكلون لحم البشر، ففي بلدة إنطاكية ذبح (بهموند) أحد قواد الجيش زمرة من أسرى الأتراك، وشواعم أسام الناس، ثم دعا المحاضرين صانحاً يوجب إقناع الجوع من الموجود، إن سيرة بهموند المتوحشة وهو حفيد ملك فرنسا (فيليب الأول) تبين عن درجة التوحش التي كان عليها من هم دونه منزلة من حيث التربية والأخلاق. وهم السواد الأعظم، وأيد هذا أيضاً المؤرخان الفرنسيان لافيس ولوشان.

وقد كتب أحد شهود العيان وهو (روبير لوموان) : «أن رجائنا كانوا يجربون الشوارع ويمجهزون على الأطفال والشيوخ» وذلك في مدينة إنطاكية التي تمكن الصليبيون من فتحها بمساعدة أحد الأرمن القاطنين فيها وقتلوا عشرة آلاف تركي وأحرقوا المساجد، ثم أجهزوا على البقية من أهل المدينة في اليوم الثاني.

ارجع إلى المرجع السابق ص ٧٩، ٨٠ وما بعدها للإطلاع أكثر على وحشية الصليبيين...

المرحلة الثانية - الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية: بعد أن حُررت أرض الإسلام من رجس الصليبيين، وظهرت من أدرانهم على يد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي، ثم على يد صلاح الدين الأيوبي.. أبقن المغرب بعدها، أنه لن يستطيع غلبة المسلمين، مهما ضعفوا حتى ينال أولاً من عقيدتهم وفكرهم.

وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٤ - ١٢٧٠م) وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ووقوعه في أسر المصريين في مدينة المنصورة عام ١٢٥٠م، وقد بذل الملك لويس التاسع هذا فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أن لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدبهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام.. وأنه لا بد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الذي يغزون به (الفكر) الإسلامي..

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد^(١).. وهكذا أنتجت الحروب الصليبية ما يدعى بالامتنعاق والتبشير، الذي كان طابع وسيلتهما الدعاية الكاذبة، المنطلقة من الروح العدائية التي توارثها الغرب من الصليبية..

ويسأل المرء هل كان عمل المستشرقين والمبشرين لونا من ألوان الدعاية؟

(١) الإسلام في وجه التبشير - أنور الجندي - ص ٧، ٨.

وجواب هذا السؤال سيبدو جلياً من خلال تفصيلنا لما قام به كل منهما مما حُذِّ غزواً فكرياً وعقدياً وخلقياً، مازلنا نكتوي بنار هذا الغزو في ديار الإسلام.

١- العيش: أما ما يتعلق بالمبشرين، فإن الدعوة التي قام بها المبشرون التابعون للكنيسة الكاثوليكية في القرن التالي على حركة الإصلاح أطلق عليها «دعاية لنشر الدين». ونستطيع أن نقول بأن الكلمة استخدمت لأول مرة بمعناها الحديث في تلك المناسبة^(١).

وقد وصف «لندلي فريزر» دعوة المبشرين بأنها دعاية قائلاً: «وأوجدت المسيحية لوثاً جديداً من الدعاية، فقد نشطت جهود رجالها وأتباعها للعمل على نشرها في أرجاء الأرض وكان ذلك نهجاً جديداً في الدعوة الدينية وفي المدعاية على حد سواء»^(٢).

وكانت الروح الصليبية هي المحرك للمبشر للعمل على نشر النصرانية، لتنظر إلى أحدهم وهو يقول معبراً عن هذه الروح: «ويأتي المبشر تحت علم الصليب يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل وهو يصغي إلى الريح التي تصفر من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسية، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعبد على أذهاننا قولها بالأمس وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل: إن الله يريدنا»^(٣).

وهناك أهداف سياسية أخرى، يحاول المبشرون إخفاءها، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم.

(١) الدعاية السياسية - لندلي فريزر - ص ١٤.

(٢) المرجع نفسه ص ١٩.

(٣) «حينما جاء الصليبيون إلى الشرق كانوا يرددون صرخة واحدة: «إن الله يريدنا»، أي أن الله هو الذي أراد الحروب الصليبية».

- ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار - ص ٣٨.

يقول القس سيمون : « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب المسمر (كذا) وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركة، ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جليد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبي، ثم امتطاع المبشرون أن يظهروا الأوروبيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها، من أجل ذلك قالوا يجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين»^(١).

وهذا يظهر خطر الوحدة الإسلامية على الغرب، وأن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا .

« وهكذا كان التبشير هو طريق الاستعمار واستعباد الشعوب.. وما لا ريب فيه أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أتباعها، ولما بدا لهم أن الإسلام أشد الأديان مراساً لذلك تراهم يمتنون أن ينتصروا المسلمين كلهم. والمقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون»^(٢).

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب. من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل.

(١) التبشير والاستعمار . ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .

القرارات المشرين: لن نرد حتى على افتراءات المشرين وسخافاتهم التي ملأوا الكتب بها، طعناً في الإسلام وني الإسلام.. والتي هي على لسان كل غربي.. حتى بلغت الأمثال.. وحتى أصبحت كلمة « مسلم » تثير الغضب الذي يغمر الشعور الشعبي في أوروبا^(١) المتدين منهم وغير المتدين أيضاً.. إذ جاء وقت أخذ الشعور الديني فيه يخبو في أوروبا ولكن العداوة للإسلام استمر. ومن أبرز الحقائق الدالة على ذلك أن الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير، وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيتها في القرن الثامن عشر، كان في الوقت نفسه مبغضاً مغالياً للإسلام ورسول الإسلام ﷺ^(٢).

قلنا لن نرد على افتراءات المشرين، لأن هذا مجال كتب أخرى، ولكننا نقدم بعض النماذج لأكاذيبهم السخيفة، والمضحكة أحياناً، « والذي لاحظناه في مئات مما كتبه المشرون من الكتب أنهم لا يجمعون عن الاستهزاء والتهكم على كل مظهر من مظاهر الإسلام ثم هم ينكشفون عن جهل فاضح^(٣) سندل على بعضه في الصفحات الآتية.

ومن أشد أعداء المسلمين رجل أرمي اسمه لطفي لبغونيان ألف بضعة كتب للنبيل من الإسلام. ومع أن العلم قليل في كتبه، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهكم عليها، ويبلغ بلطفي لبغونيان الجهل إلى أن يقول: إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى.

ومن الأمور التي تستحق التفكك بها قول مبشرا اسمه (نلسن) يزعم فيه أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من

(١) الإسلام على مفترق الطرق - ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٣٩.

الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل، ويبلغ التدجيل ذروته بمبشر آخر اسمه (المحترم جون تاكلي) أنه يقول عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم) ، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لتقضي عليه تماماً، يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً.^(١)

وأشهر هذه الافتراءات أن الإسلام قام بالسيف، وأن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح، وكانهم نسوا وحشية الصليبيين.. وأما المبشرون الذين يتعرضون لشخص الرسول ﷺ بالافتراءات فهم كثيرون جداً، بل كل المبشرين، فقد قال ف. ج. هاربر: إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام، ذلك أن إدراكه لله في الواقع «كاريكاتور»، وسماء بعضهم «كذاب مكة» ومنهم من زعم أن محمداً لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به إلى العرب.^(٢)

وسائل الدعاية الشيوعية: إن وسائل الدعاية التبشيرية تشبه وسائل أي دعاية أخرى، فقد استخدم المبشرون، الصحف والمجلات والكتب، ووسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة^(٣) والرادي (التلفزيون) وغيرها من الوسائل المتجددة.. ويعتمدون أيضاً على الاتصال الشخصي، الذي هو يؤثر أكثر في سلوك الآخرين..

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٦.

- وارجع إلى نفس المرجع للإطلاع أكثر على افتراءات المبشرين، التي ملأوا بها الكتب والمجلات..

ومن هذه الافتراءات كون الرأي العام الغربي ضروره عن الشرق الإسلامي.

(٣) مثل إذاعة صوت الإنجيل التي تسمع في جميع دول الخليج.

إلا أن هناك وسائل للدعاية أعمق أثراً، وأبعد مدى، في التأثير على سلوك الآخرين، نستطيع أن نطلق عليها الدعاية بالأعمال الرمزية^(١) ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- الطيب واستغلال آلام البشر: سخر المبشرون الطب في سبيل غاياتهم، وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: « حيث تجدد بشراً تجدد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستاراً يفترون تحته من المرضى».

« ويقول الطبيب بول هاريسون » في كتابه : « الطبيب في بلاد العرب » : ص ٢٧٧ : « إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»^(٢).

«وإن وسيلة الطبيب هي أفضل الوسائل للدعاية بتظهرهم .. لأن المريض المتالم يضحى بأعز شيء عنده لتخلص من آلامه .. وأقارب المريض القريبين مثل الأب والأم والزوج والزوجة، تفل في نظرهم قيمة أي شيء في سبيل شفاء قريبهم .. ولقد أدرك المبشرون هذا الميل في البشر، واستغلوه أوسع استغلال»^(٣).

٢- الإحسان: الإحسان في حقيقته عطف من القوى على الضعيف، عطف يتبدى في صور مختلفة أبرزها وأشهرها دفع المال، ولكن الإحسان قد يجري مجرى أخرى كالتعليم المجاني، وهبة الثياب والكتب، والمساعدة على إيجاد عمل .. إلخ.

(١) توجد نظرة كاملة عن الدعاية بالأعمال الرمزية بعد عدة صفحات ضمن عنوان الدعاية الغربية في الوقت الحاضر. أسلوبها ووسائلها.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٩.

(٣) ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار للإطلاع أكثر على حيل المبشرين في هذا المجال .. ص ٥٨ .. وما بعدها.

لم يكن المبشرون محسنون بالمعنى النبيل الذي نفهمه من الكلمة ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التبشيرية.

الف جماعة من المبشرين كتاباً اسمه: «أسس جديدة للتبشير» قالوا فيه: «كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يقبأ كذلك.

أما أعمال الخير فيجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال إلا في سبيلها.. يجب أن نعطي الأموال أولاً للبعثاء، ثم بقليل دفعها تدريجياً كلما زاد اقتراب هؤلاء إلى الكنيسة (أي كلما زاد الأمل بانضمامهم إلى المذهب الجديد) فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير. ثم يجب ألا نبالغ في الناحية الخيرية في كل حال»^(١).

والمبشرون عرفوا أن الطريقة المباشرة للدعوة إلى النصرانية لا تجدي مع المسلمين، وهي خطابهم رأساً بأمور العقيدة والتعليم المسيحي، لذلك لجأوا إلى الطريقة غير المباشرة في الدعاية، وهذه هي الطريقة التي تقوم على الإحسان المادي.. وليس ضرورياً أن يكون هذا السبيل ناجحاً في جعل المسلمين نصارى، بل يكفي بأبعادهم عن الإسلام في أغلب الأحيان.

كتب المزر دوغلاس مقالاً عنوانه «كيف نظم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر»، ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً، ثم قال: إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى، لكنها لا تبقيهم مسلمين كأبائهم»^(٢).

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ - وكذلك الصفحات: (١٦٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨).

للإطلاع أكثر على استخدام هذا النوع من الدعاية في التبشير... أرجع إلى «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» (مرجع سابق) الدكتور محمد الهوارى «المدخل إلى العمليات اتصية الإعلامية» ص ٦٩.

وأما التعليم المجاني الذي يظهر عليه طابع الإحسان، فإن المشرين يهتمون به. يعتقد « اليسوعيون »^(١) أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري بادياً للعيان. إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أئدادهم من أبناء الأغنياء^(٢).

أي أن العناية الأولى هي الدعاية فقط .. وهذه الدعاية تتضمن الاستهواء والاستمالة^(٣) .. تنتقل بعدها أفكار المشرين إلى هؤلاء الفقراء..

وهذه النزعة في التعليم المجاني لا يتفرد بها اليسوعيون الفرنسيون وحدهم، بل يتنازعها جميع المشرين . وقد استطاع المبشرون المشيخيون الأمريكيون^(٤) أن يغلبوا المشرين الآخرين في هذا الضرب من الإحسان.

وهذه المدارس تقدم الكتب والطعام واللباس أحياناً بلا مقابل^(٥).

- أما الوسائل الأخرى من الدعاية التي كان يستخدمها المبشرون، فهي باختصار ما يلي:

١ - الصحافة- إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيبه لقبول ما تنشر فيه، بل هي توجد الرأي العام أيضاً، ويعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي

(١) اليسوعيون فرقة من الكاثوليك من أصل فرنسي.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

(٣) ارجع إلى « أسس علم النفس » الكتاب الأول . د. عبد العزيز القوصي . ص ١٥٧.

القاهرة ١٩٥٠ لزيادة الإطلاع على معنى الاستهواء .

(٤) المشيخيون : فرقة من البروتستانت.

(٥) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

آخر^(١). على أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهناك «بشائر السلام» و«الشرق والغرب» في مصر.

ثم هنالك النشرة الأسبوعية التي أنشأها البرونستانت في بيروت وظلت تصدر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهناك جريدة «البشير» التي كانت تصدر في بيروت والتي كانت تتمتع بحماية فرنسا، إلا أنها توقفت بعد الاستقلال^(٢).

ولقد اعتمد المبشرون عديتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت. أما القاهرة فاتخذوه البرونستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله.

أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى^(٣).

٢- الكتب والمنشورات: يرى المبشرون أن الكتب والمنشورات النصرانية، أشد الوسائل أثراً في المسلمين ويقطع النظر عن قيمة هذا الأثر الذي يزعمونه فإن سياستهم في إنتاج النشرات تتبع التوجيه الآتي^(٤): يحرص المبشرون في الدرجة الأولى على نشر الكتب الدينية كالإنجيل الأربعة، وعلى نشر أشياء من التوراة، ثم إنهم يطرقون في نشراتهم موضوعات مختلفة ولكن يفرغونها في قالب مسيحي ديني. والمبشرون حريصون كل الحرص على أن يتولى كتابة هذه الموضوعات أشخاص وطنيون لا مبشرون اجانب، أو أشخاص جاؤوا إلى النصرانية حديثاً، لأن هؤلاء

(١) ارجع إلى «الإعلام الإسلامي والعلاقات الدولية» (مرجع سابق) - مقال يونسف المعظم ص ٤٧١.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٣.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٢١١.

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ وما بعدها.

يكونون أقدر على فهم عقلية جماهيرهم، وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير. وفي بعض الأحيان يختار المبشرون موضوعات إسلامية لها مقابل في الديانة النصرانية، ثم يوهون الحقائق ويقفزون فوق الفروق، إن القرآن الكريم يسمي المسيح « كلمة الله » ومعنى ذلك أن الله تعالى ألقى كلمته، أي أمره، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز في التاريخ، ولكن المبشرون يأخذون « كلمة الله » ليفسرها التفسير النصراني، ووجه الخلاف أن كل شيء في هذا العالم كما يرى المسلمون كان يأمر الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٣٦﴾ هو ٣١ أما النصارى فيعتقلون أن التعبير « كلمة الله » تعبير خاص بالنصرانية يجب أن يفهم على أن المقصود به عيسى ابن مريم وحده، وأنه دال على الألوهية في المسيح.

ولقد تبنى المبشرون الفرنسيون خاصة هذه الطريقة، ثم أكثر من الكلام فيها المستشرق الفرنسي « لويس ما صينيون » الذي يقفب علمه وامشتراقه على التبشير الديني للوصول إلى أهداف استعمارية، شأن العدد الأكبر من المبشرين المتزيين بكل زي والمتلبسين بكل لباس.

ويرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طيفتين من المسلمين على الأخص، إلى طلبة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وأن الصابئ الأزهرى - إذا اتفق ذلك - يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي.

وأما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء، إنهم يزعمون أن المرأة المسلمة محجوبة (عن المجتمع والعالم...) فيجب أن نوضح لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكيرها.

٣- الكشافة والمعيمات: جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي^(١): « يجب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار قبل أن تشكل

(١) المرجع السابق ص ٢١٤.

عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً. إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقف عقول الصغار وتجلو أخلاقهم، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة، فمن ذلك مثلاً: الكشفية للفتيان والفتيات - مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الأحاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) - جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب - المخيمات والمؤتمرات للطلاب والأندية الرياضية وما يتصل بذلك - بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن تجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح) بيوت للأطفال يشرف عليها مشرون فقط».

٤- الإذاعة: عرف المشرون أهمية الإذاعة، وأنها وسيلة إعلامية سريعة البث واسعة الانتشار، وأن المذيع يتميز عن غيره من وسائل الإعلام بأنه يخول الإنسان الاستماع إليه وهو يقوم بعمل آخر، مما لا يتوافر لدى قراءة الصحيفة أو مشاهدة الرائي. لذلك استغلت الإرساليات التبشيرية « هذه الوسيلة بشكل كبير. وتقول دراسة^(١) أنه يوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيرية في أنحاء العالم. منها محطة في « كوتيفو » في الإكوادور بأمريكا الجنوبية وأخرى في « منروفيا » في ليبيريا وتسمى إذاعة « ألوا » أسست سنة ١٩٥٤ على يد اتحاد إفريقية، وهي مجموعة إذاعات أمريكية، ويتبع هذه المجموعة إذاعات في وسط إفريقية والشرق الأوسط (أي الشرق الإسلامي) وشمال إفريقية وتذيع بـ ١٥ لغة إفريقية عدا الإنكليزية والفرنسية والعربية.

(١) نشرت الدراسة مجلة « الدعوة » السعودية العدد ٦٩٨ ومجلة « الأمان » اللبنانية العدد ٤٦ صفر

١٤٠٠ هـ - ٢٦ / ١٢ / ١٩٧٩ في مقال بعنوان « الإذاعة وسيلة تستخدمها كل القوى .. إلا

المسلمين ».

وهناك إذاعة « عبر العالم » ومركزها «مونت كارلو» وقد أسست عام ١٩٦٠م بعد نقلها من طنجة، وهذه الإذاعة فرع في البحر الكاريبي.

وهناك إذاعة أخرى في قبرص أسست عام ١٩٧٤ ثم أسست أخرى في سويسرا في العام نفسه وفي « سرّي لانكا » عام ١٩٧٦م. وفي آسيا تعمل شركة إذاعة الشرق الأقصى الآسيوية من « مانيللا » في الفلبين، وقد أسست عام ١٩٤٨، وفتح لها فرعان في أوكيناوا عام ١٩٥٨م وسان فرانسيسكو عام ١٩٦٠م وابتداء من عام ١٩٧٩ افتتحت لها فروعاً في سيشل والهند وباكستان، ووضعت لها مقومات في شمال الهند والشرق الأوسط وشرق إفريقيا. أما صوت الإنجيل^(١)، الذي يبث من « أديس أبابا » في الحبشة يتوجيه من اتحاد الكنائس اللوثرية، فقد استولى عليه الشيوعيون. وآخر إذاعة أسستها الإرساليات التبشيرية هي الإذاعة الموجودة في منطقة الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل، والتي تسمى « بالمغامرة السماوية من صوت الأمل » والتي مولتها مؤسسات تبشيرية أمريكية^(٢).

٥- السينما والرأي: بالإضافة إلى هذه الوسائل، هناك الأفلام السينمائية، والمسلسلات التي تبث في الرائي، كثير منها يتخدم أهداف التبشير، وكثير من هذه الأفلام يعرض في وسائل الإعلام الإسلامية..

من هذه الأفلام التبشيرية فيلم « الأفق الضائع » الذي فيه تلميح لرجل الدين النصراني.. فالقسيس في الفيلم يعرف كل شيء، ويسأل عن كل شيء، فيجيب عن

(١) يذيع في (١٦) لغة إلى ٢٠ بلداً - أسسته اكنيسة اللوثرية الأمريكية عام ١٩٦٦ - ارجع إلى مجلة المجتمع العدد ٤٥٧ / ١٣٩١ هـ النشاط التبشيري .

(٢) بعد توقف بث البرامج النصرانية من راديو صوت الإنجيل في إثيوبيا نتيجة للانقلاب الشيوعي أخذت تسمع هذه الإذاعة في دول الخليج بشكل قوى جداً.. ويظهر أنها فتحت من جديد في إثيوبيا لأن قادتها لا يزالون على صنيبتهم وإن لبسوا ثوب الشيوعية..

الفلك والطب والدين، والراهب أجمل ما في السفينة أناقة وجمالاً.. بينما في المقابل نجد الأفلام العربية تخرج العالم المسلم في صورة مزورة..

وكثيراً من الأفلام تحكي قصة صلب المسيح مثل فيلم « آلام المسيح » الذي عرض في كثير من البلاد الإسلامية، وأفلام « الحروب الصليبية » تظهر بطولات... الصليبيين ، وانكسار المسلمين أمامهم.. مثل فيلم « ريثارد قلب الأسد » وتغفل من وحشية الصليبيين في قتل النساء والأطفال والشيوخ، بشهادة مؤرخي الغرب أنفسهم..^(١)

ب - الاستشراق: وهو المجال الثاني - الذي أفرزته الحروب الصليبية - للدعاية الغربية، والتي كانت هدفها الأول: تزييف عقيدة الإسلام، عن طريق الغزو الفكري المنظم، بناء على وصية « القديس لويس » ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة^(٢).

وقد سار التبشير والاستشراق في خطين متوازيين، بل في خط واحد^(٣)، يكمل بعضهم بعضاً، وقد استفاد التبشير كثيراً من دراسات المستشرقين، والتي تحتوي على كثير من الأكاذيب والتي تليس الثوب العلمي وهذه شهادة أحد القسيس بعد أن هداه الله للإسلام، والذي عمل كثيراً في مضمار التبشير بالنصرانية بين المسلمين في مصر، وهو « إبراهيم خليل أحمد » في كتابه « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي » وهي شهادة عارف خبير يقول:

(١) بالإضافة إلى الوسائل السابقة، أيضاً استخدم الصليبيون أشرطة الكاسيت في نشر النصرانية، وخاصة في إفريقيا.

- (ارجع إلى المجتمع)، العدد ٤٥٧ عام ١٣٩٩ هـ.

(٢) ارجع إلى الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية من هذا البحث.

(٣) ارجع إلى « الإسلام على مقترق الطرق » محمد أسد - فصل : سبح الحروب الصليبية ٥٢ ط ٩ ١٩٧٧ بيروت.

١- التبشير والاستشراق من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخداع لسياسته. وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه.

٢- تقاسم التبشير والامشراق جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام.

فحمل الاستشراق أعباء الأعمال في ميادين المعرفة (الأكاديمية وادعى لبحته المطابع العلمي العالمي، واستخدم الكتابة والتأليف واللقاء المحاضرات والمناقشات في المؤتمرات العلمية العامة، وكراسي التدريس في الجامعات فألف المستشرقون المؤلفات الكثيرة، وألقوا المحاضرات والدروس الكثيرة وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات الاستشرافية، وعقدوا المؤتمرات وأصدروا الصحف والمجلات، وسلكوا مسالك أخرى كثيرة مما رجوا أن يحقق أهدافهم. وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية.. (وقد عرفنا وسائله في ذلك آنفا..).

٣- من الكتب الجدلية التي يستعين بها المبشر للوصول إلى غايته كتب المستشرقين التالية:

أ- كتاب « ميزان الحق » للدكتور فاندر المستشرق الأمريكي والدكتور سنكلير نسدل.

ب - كتاب « الهداية » ويقع في أربعة أجزاء، وهو يشتمل على مطاعن كثيرة للإسلام وللقرآن الكريم.

ج- كتاب « مقالة في الإسلام » تأليف المستشرق الدكتور سال.

د - كتاب « مصادر الإسلام » تأليف الدكتور سنكلير نسدل.

وهذه الكتب الأربعة تعتبر للمستشرقين والمبشرين من أخطر المراجع للمهجوم

على الإسلام والقرآن والرسول ﷺ .

٤- يدعو المبشرون والمستشرقون إلى قراءة الكتب ضمن المخطط التي يرسمونها فيؤسسون المكتبات العامة، ودور المطباعة، والصحف،...

٥- الاستشراق والنشير قام على أكتاف الرهبان والأباء في أول الأمر فإنه لا يزال حتى اليوم يعتمد على أولئك وإن تظاهروا برسالتهم الدينية والخيرية^(١).

وقد استخلص الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - بعد لقاءاته المباشرة مع عدد من المستشرقين في جولة طاف فيها على أكثر جامعات أوروبا عام ١٩٥٦م ما يلي^(٢):

أولاً: أن المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم من أن يكون فسيساً أو استعماريّاً أو يهودياً، وقد يشدّ عن ذلك أفراد.

ثانياً: أن الاستشراق في الدول المغربية غير الاستعمارية - كالدول الإسكندنافية - أضعف منه عند الدول الاستعمارية.

ثالثاً: أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن «جولد تسيهر»^(٣) وأمثاله المفضوحين في لقبهم.

رابعاً: أن الاستشراق بصورة عامة يتبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ويلقي منها كل تأييد.

خامساً: أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجبه الاستشراق وجهته التقليدية، من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين.

(١) ارجع إلى «المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي» تأليف: إبراهيم خليل أحمد - وكذلك ارجع إلى «أجنحة المكر الثلاثة» تأليف: عبد الرحمن حسن حبيكة أنيداتي - ص ١١٤ وما بعدها.

(٢) الاستشراق والمستشرقون - الدكتور السباعي ص ٥٧.

(٣) جولد تسيهر: مستشرق يهودي - ألف كجاً كثيرة منها: العقيدة والشريعة.

وسائل الدعاية الاستشراقية: اتبع المستشرقون لتحقيق هدفهم الأول والذي ليس سوى تزيف الإسلام وتشويهه ؛ وسائل الإعلام العادية، وأهمها وسائل النشر، من كتب وصحافة ويمكن إنجازها بما يلي^(١):

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، حتى بلغ عدد الكتب التي طبعت في أوروبا وأمريكا بين عامي (١٨٠٠ و ١٩٥٠) نحو ستين ألف كتاب^(٢).

وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص، أو في فهمها واستنباط المعاني منها، وكثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها، واعتبار بعض الحوادث الفردية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد، ونحو ذلك تضليلات عمرومة من المستوى الأدنى للأمانة العلمية.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وملاذهم، وقد بلغ عدد المقالات التي تعرضت للإسلام والمسلمين بين عامي ١٩٠٦م وعام ١٩٦٧م حوالي ست وعشرين ألف مقالة، هذا العدد الضخم من المقالات يدل دلالة واضحة عن اهتمام المستشرقين الجدي في تزيف الإسلام.. والتأثير على الرأي العام الغربي.. وقد أدرجت مفاهيم مزيفة عن الإسلام، وصور مشوهة عن المسلمين لم يستطع العقل الأوروبي والغربي بشكل عام أن يتخلص منها حتى اليوم، بل يعتبرها حقائق لا ريب فيها.

(١) ارجع إلى كتاب «أجنحة المكر الثلاثة» ص ٦٨.

(٢) ارجع إلى مجلة «فاصلة الزيت» العدد العاشر المجلد الثامن والعشرون - شوال ١٤٠١هـ مقال: المستشرقون. وهو تلخيص لكتاب بهذا الاسم لـ (إدوارد وليام سيد) .. وكذلك مجلة الأمان اللبنانية العدد ١٤ - ٧ جلد ١٣٩٦هـ - ٤ أيار ١٩٧٦، وفيه مقال مؤلف الكتاب نفسه فيه تلخيص لكتابه في مجلة (تايم) الأمريكية عنوان المقال: (الإسلام والاستشراق والغرب).

ومن أهم المجلات التي يصدرونها^(١):

أ- في عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠م ثم أصدروا «المجلة الآسيوية».

ب- وفي لندن تأسست جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣م، وقيل الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية».

ج- وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم «الجمعية الشرقية الأمريكية» وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د- ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية (أوهايو) ولها فروع في لندن وباريس وليفربول وتورنتو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة في باب الكتب.

هـ - وأصدر المستشرقون الأمريكيون «مجلة شؤون الشرق الأوسط» وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

و- وأخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون مجلة «العالم الإسلامي» أنشأها «صمويل زويمر»^(٢) في سنة ١٩١١م.

(١) ارجع إلى الاستشراق والمستشرقون - د. مصطفى السباعي . ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) زويمر : مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤلف كتاب «الإسلام محمد لعقيدة» صدر في سنة ١٩٠٨م ونشر كتاب «الإسلام» وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر البشيري الثاني في سنة ١٩١١م، بلكنته في الهند. وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وفقاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد البشرين - (المرجع السابق ص ٣٢).

ز- وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة « العالم الإسلامي » في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وأسمها أيضاً « العالم الإسلامي ».

٣- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وحتى في البلاد الإسلامية ليدرّسوا فيها ما ينسرحهم درسه من أفكار.

٥- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ أول مؤتمر استشراقي عقد في باريس عام ١٨٧٣م.

٦- إنشاء الموسوعة الإسلامية، وقد أصدروها بعدة لغات، وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداً للإسلام، وقد ملأت بالأباطيل عن الإسلام...^(١)».

من أباطيل المستشرقين: عمد المستشرقون إلى تشويه الإسلام من عدة نواح:

أ- ردّدوا أن القرآن من وضع محمد - عليه الصلاة والسلام - وأن سذاجة الصحابة وإيمانهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله.

ب- خلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتماع... ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسوّوا بينها في المنزلة!

(١) من الموسوعات أيضاً بالإضافة إلى ((دائرة المعارف الإسلامية)) هناك:

- المنجد في اللغة والعلوم والآداب - للآب لويس شيخو.
- الموسوعة العربية الميسرة. وكلها ملئت بالسموم والشبهات.

ج- ودعوا إلى التصوف الإسلامي لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم^(١).

د- الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية وهو إدعاء باطل ادعاه « شاخت » وأستاذه « جولد تسبير » اليهوديان بالإضافة إلى أكاذيب كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وقد تناولها كثير من الباحثين بالنقد، والرد الدافع، مما لا مجال للتوسع في بحثنا هذا^(٢).

ومن المهم هنا أن نعرف أن المستشرقين صنعوا تلاميذ لهم في البلاد الإسلامية، اقتبسوا أفكارهم وأساليبهم، ورددوا مفترياتهم على الإسلام.

وقد كان « طه حسين » في مقدمة هؤلاء التلاميذ الذين أصلوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم.. حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشرقاً من أصل عربي.. وقد كانت أمانته للفكر الغربي ولذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعاً لهم، مفتعاً بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم بيشربة القرآن^(٣)، وكانت كتاباته نوحى بذلك وإن لم يعلنه جهاراً، بعد أن صدر كتابه « في الشعر الجاهلي » وفيه شك بوجود إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وأعلن ذلك بالرغم من الإشارة إليها في التوراة والقرآن^(٤).

(١) « أساليب الفزو الفكري » د. عني جريشة.

(٢) راجع كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة » للشيخ محمد الفزائي. و« الإسلام في وجه انخرب: مخططات الاستشراق والتبشير » للأستاذ أنور الجندي.

(٣) ارجع إلى « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور محمد السهي. رحمه الله.

(٤) الإسلام في وجه التبشير ص ٣٦٣ وكذلك: أساليب الفزو الفكري ص ٢٤ وقد كان هنا الإنكار وأمور أخرى سبباً في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتبه « في الشعر الجاهلي » ولكن نقوة الاستلال الإنكليزي سرعان ما أعادوه إلى الجامعة ومضى به صعد إلى أعني القاصي».

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، وحسين فوزي، وذكوي نجيب محمود، وعمود عزمي، وعلي عبد الرازق.. وغيرهم في مصر...^(١).

وفي لبنان: سعيد فرجة، وسعيد عقل، والآباء المارونيون، وعلي أديبهم رأينا الدعوة إلى العامة، وكتابتها بالأحرف اللاتينية.. وقد لَقَّحت مناهج المستشرقين في البحث والتقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين، فتهجوا نهجهم، وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات. وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحلوا نفس الروح التي يحملها أسانذتهم في خصومة الإسلام، وكانوا أشد فسوة من الغربيين»^(٢).

وقبل أن أنهي هذه الفقرة من البحث، لا بد وأن ننوه أن هناك من المستشرقين المعتدلين من اتسموا بالإنصاف والاعتدال، فَمَنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من انتهى به البحث النزيه إلى الإيمان والإسلام.

- ويعتبر من الفريق الأول: رينان (الفرنسي) الذي انتهى به بحثه إلى أن السير العربية للنبي محمد ﷺ كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى.

- ومنهم (كارليل) الذي عدَّ محمداً ﷺ في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة في كتابه (الأبطال).

ومن الفريق الثاني الذي انتهى به البحث عن الحق إلى اعتناقه الإسلام (الملورد هيدلي) و(آتين دينيه) «ناصر الدين» و(الدكتور جرينيه الذي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي)^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٣٦٣. وكذلك ارجع إلى «القرنية الفصحى» ص ٥٠ عمر فروخ.

(٢) أساليب الغزو الفكري ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) أسلوب الدعاية الغربية ووسائلها: تلجأ الدعاية الغربية إلى أساليب مختلفة، من أجل تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية والفكرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- الأخبار: لقد فطن خبراء الدعاية والإعلام والعلاقات العامة من خلال تجارب الحربين العالميتين إلى أن تأثير الاتصال في الرأي العام يزداد قوة باستخدام الأخبار بدلاً من المقالات الجدلوية، والكتابات الإنشائية.. واستخدام الأخبار بطريقة بارعة لأحداث انطباعات معينة في المجتمعات الأخرى، وهذا يعتمد على فن انتقاء الأخبار وأسلوب صياغتها وطريقة عرضها، وإبراز بعض جوانبها دون البعض الآخر^(١)..

وقد أُنشئت وكالات الأنباء الغربية هذا الأسلوب، وخاصة الوكالات الصحفية الأربع: «وكالة الصحافة الفرنسية» و«رويترز» و«أسوشينديرس» و«يونيتد برس» والتي احتكرت الأنباء العالمية، واستعدت وسائل الاتصال في العالم، حيث يقع الفارئ ضحية رؤية معينة قلبيها تحليلات أحادية الجانب، لكنها متقنة في الصياغة، وبارعة في الإثارة بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية.. بالإضافة إلى أن الخلفية العفيدة تؤدي دوراً مهماً في (فبركة) الأخبار حسب مصالح الغرب^(٢). وخاصة إذا كانت هذه الأخبار تتعلق بالمجتمعات الإسلامية فإن الروح الصليبية هي التي تنطق في هذا المجال.. وتلجأ وكالات الأنباء إلى تفتيق شهود العيان، وإلى أن مصادرها: الأخبار الموثوقة فتضول مثلاً: «جاءنا من مصدر موثوق ما يلي...» ما هو هذا المصدر الموثوق؟ لا نذكر ذلك.. أو تقول: «وصف لنا شهود عيان تلك الحادثة بما

(١) الإعلام والاتصال بالجمهور - إبراهيم إمام - ص ٢٢٥.

(٢) فالإذاعات الموجهة من «هيئة الإذاعة البريطانية» مثلاً تموها وزارة الخارجية لذلك تعكس وجهات نظرها..! وقسم الإذاعات الخارجية أنشئ عام ١٩٣٨م وكانت اللغة العربية هي أول اللغات التي تبث إلى الخارج من هيئة الإذاعة البريطانية (انظر مجلة المجلة) (العدد ٨٦ - السبت ٥ ذي الحجة ١٤٠١ هـ).

يلبي...» من هم شهود العيان؟ أيضاً لا تذكرهم .. وكذلك تلجأ إلى دس خبر كاذب بين خبرين صحيحين لتفويته ونشره لغاية في نفسها..
 وإذا كان الخبر صحيحاً ، ولا مجال لتحويله، تلجأ الوكالة أو الإذاعة إلى تفسيره بما يلائم مصلحتها، وذلك بأن توهم القارئ بالحدث الذي تثقله بصفات سيئة، منفرة، فهي مثلاً عندما تتحدث عن حركة الطلاب الجامعيين في بلد إسلامي.. نصفهم بالمتعصبين أو المزمتمين .. ويدرك القارئ بإجاء هذه الصفة وما تعني.. وما يؤسف له أن صحفنا العربية تنقل حرفياً هذه الأخبار في صحفها دون أي تعديل، والأمثلة كثيرة ولا تحتاج إلى برهان إذ إن نظرة واحدة على صحفنا تكفي في هذا المجال.

وقد برعت « الإذاعة البريطانية^(١) » بهذا الأسلوب من نقل الأخبار ودس السم في الدسم، وتلفيق شهود العيان، وتشويه الأخبار وتحويلها وتفسيرها حسب مصالح « بريطانيا العظمى »^(٢) خاصة والغرب والصهيونية عامة^(٣) على الرغم مما تدعيه من حياد ونزاهة وموضوعية.. ومازال المسلمون يذكرون موقفها عام ١٩٥٦م إبان الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، وكيف أسفرت عن وجهها وتسمت باسمها الحقيقي^(٤) وكذلك موقفها إبان حرب رمضان عام ١٩٧١م وكيف

(١) « هيئة الإذاعة البريطانية» حصلت بموجب مرسوم ملكي عام ١٩٢٧م على احتكار البث الإذاعي والتلفزيوني فيما بعد في جميع أنحاء بريطانيا - وقسم الإذاعات الخارجية - وت الإذاعة باللغة العربية الذي تكلفت وزارة الخارجية البريطانية بتحويله أنشئ عام ١٩٢٨م.

(٢) على الرغم مما يقال من أن صلاحيات وزارة الخارجية - الممولة للقسم الخارجي - مقصورة على تحديد عدد اللغات الأجنبية التي يبث بها، وعدد ساعات البث، إلا أن نفوذ الوزارة واضحاً في كل ما تبثه الإذاعة (المجلة العدد ٨٦) - ٥ ذي الحجة ١٤١٦هـ.

(٣) النفوذ الصهيوني في الإذاعة البريطانية لا شك فيه وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (انظر المجلة - العدد ٨٦ مقال : تقرير خطير عن الإذاعة البريطانية).

(٤) كانت الإذاعة البريطانية قبل عام ١٩٥٦م (أي قبل الاعتداء الثلاثي) تسمى باسم (مجلة الشرق الأدنى للإذاعة العربية) ثم تسمت باسمها الحقيقي: الإذاعة البريطانية من لندن.

اشتركت مع الإذاعة اليهودية في شن الحرب النفسية على القوات السورية بإذاعتها الأخبار الكاذبة لإضعاف الروح المعنوية للجيش^(١).

٢- الدعاية بالأعمال الرمزية: مما لاشك فيه أن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وهذا الأمر معروف في الدعوة الإسلامية بشكل خاص، إذ الدعوة بالقُدوة الصالحة أبلغ تأثير من الكلام^(٢).. وإن كان لا بد من الكلمات، فيجب أن تواكب العمل الرمزي.. وقد نجحت كثيراً الدعاية الغربية في هذا المجال، إذ إن المساعدات الاقتصادية^(٣) وخاصة المساعدات الغذائية (كالقمح) مثلاً من وسائل الدعاية الرمزية للولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص^(٤)، وكذلك المساعدات «الإنسانية» مثل عمليات الإنقاذ والإغاثة أثناء الأزمات والزلازل والفيضانات كلها أعمال رمزية يقصد منها الدعاية في أكثر الأحيان.

ومن الأعمال الرمزية أيضاً، تحريك الأساطيل البحرية من مكان إلى آخر ويقصد به الإرهاب والتخويف للدول الأخرى، وخاصة إذا رافق هذا التحريك الدعاية والشائعات حول احتلال مناطق معينة^(٥).

(١) ما زال المستمعون العرب يذكرون التقرير الملقق الذي نقله مراسل «بي . بي . سي الصهيوني» مايكل الكتر عن القيادة اليهودية في فلسطين المحتلة إبان حرب رمضان، وادعى فيه سقوط قرية «سمسح» السورية التي كانت تشهد معارك طاحنة، وكانت انخاف استغلال موجات الإذاعة البريطانية الموجهة للتأثير على معنويات القوات السورية (التقرير المذكور آنفاً في مجلة المجلة (العدد ٨٦).

(٢) انتشار الإسلام في الشرق الأقصى (إندونيسيا، وماليزيا، وفلسطين جنوب تايلند). كان بالقُدوة الصالحة للتجار المسلمين..

(٣) ارجع إلى كتاب «التبشير والاستعمار» ص ١٦٦، ١٦٧، ١٩٨.

(٤) ونصر الدول المساعدة على كتابه «هدية من الشمس ال...» على الركائب.. وهذه دلالة على المقصود من المساعدات.

(٥) لم ننس بعد تحركات الأسطول الأمريكي في المحيط الهندي عام ١٩٨٠م والشائعات التي روجتها وسائل الإعلام الغربية حول احتلال الخليج العربي..

وقد استخدم « التبشير هذا الشكل من الدعاية بأسلوب أعمق أثراً في النفس الإنسانية، فقد استخدم « التبشير » التطبيق ، واستغلال آلام البشر لنشر دعايته، وكذلك استخدم التعليم والإحسان في هذا المجال لتميع وجه المبشرين في نظر الآخرين»^(١).

٣- استخدام الدعاية الرمادية: وهو أسلوب يبرع فيه الأمريكيون منذ الحرب العالمية الثانية، وقد مر معنا آنفاً كيف أن الدعاية الرمادية معروفة المصدر، إلا أنها ترمي إلى غايات ملتوية، فهي تلجأ إلى مدح العدو بقصد ضربه مثلاً، وكذلك يبرع في هذا النوع من الدعاية الشيوعيون بالإضافة إلى ربيبة الشرق والغرب « إسرائيل» .. وقد استخدم الغرب هذا الأسلوب من الدعاية في ضرب الحركات الإسلامية في العالم العربي^(٢).

٤- الأفلام السينمائية: وهذه تؤدي دوراً مهماً أيضاً في الدعاية الغربية، وخاصة بعد أن دخل الرائي إلى كل بيت، في مجتمعاتنا الإسلامية.. فالسبل من الأفلام الغربية، عم جميع وسائل الإعلام المرئية في البلاد الإسلامية. وهذه الأفلام سخرت لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجرمة، وتحطيم الأخلاق .. والعقائد الدينية..

حتى الأفلام التي لبس فيها ما يثير من الناحية الأخلاقية، نجدها دعاية لتقدم الغرب، واهتمامه بجميع الأمور، الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.. أو لإظهار الإنسان الغربي يعظف القوي الذي لا يغلب^(٣) وإظهار الأسر الغربية بشكل مثالي نموذجي.. بغاير واقع المجتمع الغربي تماماً...

(١) ارجع إلى كتاب « التبشير والاستعمار » ص ١٩٦ وما بعدها للإطلاع بتوسع على الدعاية المضخمة التي تراقق المساعدات الاقتصادية واستغلالها لغايات تبشيرية.

(٢) انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

(٣) المسلسلات التلفزيونية : السورمان، سيفد.. وغيرها...

وكذلك الأفلام التي تمجد أعداء الإسلام من اليهود، وتمجد التاريخ اليهودي وتبرر احتلال فلسطين، وأنها أرض الميعاد .. وكذلك الأفلام التي تحكي حياة الأنبياء، مثل حياة المسيح - عليه السلام - .. وتبين خرافة الصليب .. ولقد خدمت السينما الغربية المبشرين والصهيونيين كثيراً، بألاف الأفلام منها ما عرض في البلاد الإسلامية ومما ما عرض في البلاد الغربية فقط ..

٥- التحم والعمويه: وأسلوب آخر من أساليب الدعاية الغربية هو التعتيم.. وعدم نشر الحقائق إلا بمقدار ما يخدم مصالحها..

فأخبار ما يتعرض له المسلمون في العالم، لا تذكرها، ولا تطلع العالم عليها إلا ما ندر وأحياناً تنشر الأخبار التي تعيبها، أو تشوهها، أو تصورها بغير صورتها الحقيقية، وغايتها طمس الحقائق عنها، والسكوت على الجرائم التي ترتكب ضدها.. ومن ثم إعاقة امتدادها، وعدم مناصرتها من قبل الدول الأخرى المتعاطفة معها..^(١)

أما التعمويه، وتسمية الأمور بغير أسمائها الأصلية، فتهدف منه الدعاية الغربية، إبعاد الآخرين عن جوهر المشكلة، وتوجيههم إلى أمر آخر، يصرفهم عنها تماماً.. ومن الأمثلة على التعمويه في الدعاية الغربية:

- تسمية وجود « إسرائيل » واغتصابها لفلسطين، بمساعدة الغرب، بمشكلة « الشرق الأوسط »^(٢) وذلك لأبعاد الضمير المسلم عن واقع المشكلة.. لأن ذكر فلسطين، والقدس تثيران في المسلم مشاعر خاصة تدفع المسلم إلى الجهاد لتحريرها من مغتصبها.

(١) مذابح المسلمين في الفلبين وأثيوبيا وأرتيريا والصومال وأفند لا تعتبر سوى قضايا ثانوية في منظور الإعلام الدولي، لهذا فإنه يتجنب تناولها لأنها لا تخدم قضيته... ويجب أن تبقى في عالم الظلام ومن ثم النسيان.

(٢) إن كلمة « الشرق الأوسط » يقصد بها تلك المنطقة التي تمتد من مصر حتى إيران شرقاً وحتى تركيا شمالاً. (ارجع إلى كتاب الحرب النفسية في المنطقة العربية - د. حامد ربيع ص ٥ بيروت ١٩٧٤ م.

- وهذه التسمية أيضاً وسيلة لإبعاد القوى الإسلامية في « الشرق الأدنى والأقصى والعالم كله عن الارتباط بالمشكلة، وعندما تسمى بهذا الاسم، فكيف نفرض على المسلم في المناطق الأخرى من العالم أن يشعر بأن المشكلة مشكلة أيضاً بصفتها ترتبط باغتصاب جزء مقدس من أرض الإسلام؟ وهكذا تُصنّف القضية وكأنها قضية محدودة من غير مواجهة المشكلة بإبعادها الحقيقية.

- ومن الأمثلة الأخرى على هذا التعمية « تصوير معركة الإسلام مع أهل الباطل بصورة المعركة القومية أو الوطنية أو الاشتراكية، أو رفع رايات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، مع العلم أن المعركة، معركة عقائدية مصيرية وهدف الدعاية الغربية هو إطفاء شعلة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين وخداعهم، وإبعادهم عن سلاح النصر في هذه المعركة، مع أن الغرب الصليبي كله يعامل المسلمين على أنهم أمة واحدة.. فلا فرق عنده بين هندي وعربي، أو إيراني أو غيره من بلاد المسلمين.. ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية أن نخدعنا عن حقيقة المعركة، فنزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار.. كلا.. إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى! والتي تحكمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر.. العناصر التي نسبت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة»^(١).

٦- التزييف والتشويه: ويقصد بالتزييف هنا هو تصوير الأمور بشكل جزئي ومشوه ومخلوط، وهكذا يصبح الحق باطلاً بعد أن يلبس ثوبه - والباطل مكروه من قبل كل إنسان - وبهذا الأسلوب يُبقي وسائل الإعلام والدعاية في الغرب على الروح العدائية بين الإنسان الغربي والإسلام، والتي توارثها منذ الحروب الصليبية^(٢)..

(١) معالم في الطريق - ط دار الشروق (بدون تاريخ) ص ١٨٦ (آخر فقرة من الكتاب)..

(٢) ارجع إلى «الإسلام على مفترق الطرق» محمد أسد - فصل: شبح الحروب الصليبية.

ويتناول التشويه الدعائي الغربي، في السنين الأخيرة عقيدة المسلمين وحياتهم وأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونضرب مثالين على ذلك:

المثال الأول: في تشويه العقيدة والتشريع، حيث لوحظ تركيز إعلامي غربي على الحدود في الشريعة الإسلامية، وكرس الرسامون الخيلاء في بعض الصحف الدولية أنفسهم لإبراز رسوم « الكاريكاتير » وهي تتناول بعض هذه الحدود كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن لتشويه سماعة الإسلام بإظهار هذه الحدود بالمظهر الوحشي الذي ينمي غريزة الخوف في العالم الغربي على عقيدة الإسلام والمسلمين.

المثال الثاني: ويتناول الجهد الإعلامي الدولي (الغربي بشكل خاص) في تشويه قضية المسلمين مع اليهود في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وهذا الجهد مازال حتى الآن يركز على:

- الأصول اليهودية التاريخية المزيفة في فلسطين.
 - الاحتلال العربي زمن عمر بن الخطاب.
 - الوحشية الإسلامية المعاملة على طرد اليهود من أراضي أجدادهم.
 - الوداعة والسلام والثقافة والحضارة عند يهودي الأراضي المحتلة..
- كل هذه الصور المشوهة، تعمل على تبديل الحق بالباطل، بينما يقف الإعلام في العالم الإسلامي موقف المتفرج في أغلب الأحيان^(١).

٧- التحريض: تقوم الدعاية الغربية في وسائل الإعلام الغربي والدولي أيضاً بدور التحريض على العالم الإسلامي وعلى الدعوة الإسلامية بشكل خاص.. وهناك شواهد كثيرة على هذا التحريض، ولا يمر يوم دون أن يرى المراقب المسلم عناصر التحريض الإعلامي على العالم الإسلامي، ومن أبرز عناصر هذا التحريض كما يلي:

(١) ارجع إلى مجلة (المجمع) الكويتية - العدد ٤٨٦ - تاريخ ١٠ شعبان ١٤٠٠ هـ.

أ- طرح الإعلام الغربي ولاسيما الإعلام الصهيوني في أوروبا وأمريكا نقضية أعداد المسلمين في العالم على أنها قضية مُرعبة للعالم الغربي.

ب- دور العقيدة الإسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين تؤدي دوراً أولياً في وحدة المسلمين ووقوفهم أمام التيار الغربي الغازي وهذا خطره على مصالح الغرب في العالم الإسلامي.

ج- فكرة الجهاد عند المسلمين ودورها في تكوين الجماهير الصلبة التي بدأت تنادي من جديد بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله في حياة المسلمين. ولهذا خطر كبير على الأنظمة في العالم الإسلامي التي عرفت بولائها للغرب وتفهمها لمصالحه^(١).

د- إمكانية المسلمين المستقبلية في نزع الدولة اليهودية ودور عقيدة المسلمين المستمدة من القرآن والسنة في ذلك.

(٥) صورة المسلم في الإعلام الغربي: وحتى تكون عندنا صورة كاملة للدعاية الغربية، لابد من تبيان الثمار الفاسدة التي أثمرتها هذه الدعاية، في المجتمعات الغربية خاصة، والمجتمع العالمي عامة.. فقد كونت صوراً مشوهة للمسلم، بل مضحكة أيضاً، ومما يؤسف له، أن الإعلام العربي ساعد في تركيز هذه الصورة في أذهان الجماهير الساذجة، البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح، باعتبار أن كثيراً من وسائل الإعلام العربية والإسلامية مازالت عبيدة لوكالات الأنباء الغربية، فهي تنقل عنها حرفياً، دون تفحص فيما تنقل.

(١) ارجع للمجلة (المجتمع) العدد ٤٤١ - تاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ - مقال: «الصحف الغربية تثير حكام المسلمين ضد شعوبهم». وكذلك العدد ٤٨١ - ٥ رجب ١٤١٠هـ - مقال: «حرب الشائعات ضد الحركة الإسلامية». ومقال: «صحف الغرب تهاجم الإسلام». في (المجتمع) العدد ٤٨٥ - ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

ومن هذه الصور التي ترددها وسائل الإعلام الغربية، وغايتها الدعاية فقط، لاستهواء عقول الناس وقلوبهم ما يلي^(١):

١- صورة الغني السفيه الذي يملك مالا هائلاً، ولا يعرف كيف يتصرف به، ولذا يجب أن تكون عليه وصاية في ماله، فصورة المسلم هو الغني أكثر من اللازم.. مع العلم أن أكثر المجتمعات ترفاً هو الشعب الأمريكي ومثال ذلك: رجل يملك كلباً خصص له صاحبه سيارة خاصة ووسائل خاص وطياخ وله جناح خاص في البيت، وعندما مات هذا الرجل ترك خمسة آلاف دولار وهبها للكلب. فالواقع نحن لسنا أغنياء حقيقة، بل في حالة متوسطة.

٢- صورة الممجي الجالس وراء برميل النفط يهدد حضارة الغرب بزيادة الأسعار.

٣- صورة العقال والجمل والإعلام العربي يسهم في هذه الصورة.

٤- صورة المزواج الشهواني .. مسلم يجر وراءه طابور من النساء، أو مسلم يملأ بيته بالإماء، أو مسلم ينثر اللذائير على أفخاذ غانية.

٥- صورة المتعصب المنشد، فالإعلام الغربي يصوغ الخبر كالأني:

- قام مسلمون منشدون بكذا..

- قام الطلاب المتعصبون في جامعة أسبوت بمظاهرات..

وصحفتنا تنقل الخبر حرفياً دون تعليق...!

٦- صورة الفاتل الظالم المتحمس للدم والقتل.. والأولى أن تكون هذه الصورة

للإنسان الصليبي الحاقد على الإسلام مما شهد به كتابهم وعلمائهم، وهذا واقعهم أيضاً يشهد بذلك في كثير من بلاد المسلمين..

٧ - صورة العاجز عن التفكير المنهجي: يقولون: إن العقلية الغربية هي

العقلية الدقيقة النأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً، أما غيرهم من

(١) زين العابدين الركابي - من محاضراته التي ألقاها عام (١٣٩٨هـ) على طلبة السنة الثالثة - في المعهد العالمي للدعوة الإسلامية في الرياض.

الشعوب - وخاصة الإسلامية - فإن عقليتهم ساذجة بسيطة ، أو بالأصح «خزية» كما عبّر بذلك المستشرق « جيب » في كتابه « وجهة الإسلام » ويقصد بذلك أن - العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً^(١).

- وأن عقلية المسلم خرافية - فهو يعتقد أن الأرض محمولة على قرن ثور. - وأنه وثني بعيداً محمداً ﷺ وأن محمداً ربط اسمه بسم الله في الشهادة وأنه أمر المسلمين أن يقلدوه في كل شيء.

٨- يصور المسلم بصورة المحتفز للمرأة المضطهد لها.. المرأة في الإسلام أقل من الرجل، المرأة لها نصف الميراث، وهي مسجونة في البيت، وكل همها إرضاء نزوات الرجل، ومع الأسف أن المسلمين يعينون على تشويه صورتهم.. مع العلم أن الإسلام هو الذي كرم المرأة وخلصها من نير العبودية الجاهلية..

٩- يصور المسلم بصورة ناجر الرقيق... وفي إفريقية تتعمد الكنتاس تصوير المسلم بهذه الصورة..

١٠- في الولايات المتحدة ، وارثة الإرث الاستشراقي، وظفت هذا الإرث في إعلامها، وجامعاتها، وثقافتها الشعبية وسياستها الاستعمارية فصورت المسلم في الأفلام السينمائية والكاريكاتورية كغوغاء متعطش للدماء أو ذوي أنوف معقوفة أو كالساديين^(٢) الفساق^(٣).

(١) الاستشراق والمستشرقون - د. مصطفى السباعي ص ٦٢.

(٢) السادية (أو جنون القسوة) : وهي الميل إلى التعذيب في نفس التعذيب، وقد دعيت بالسادية نسبة إلى (الفونس دي ساد) وهو كاتب فرنسي اشتهر عنه هذه النزعة، والسادية هي لفظة تطلق في معنى واسع على النزعة إلى القسوة بصورة عامة. (ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس) - (سير وحيية الخازن) - ص ١٢٠ دار النشر للجامعيين - بيروت.

(٣) مجلة (الأمان) البيروتية - العدد ١٤ ٧ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ.

مقال: الإسلام والاستشراق والغرب للدكتور أدوار سعيد - ترجمة المجلة..

ويعتبر هذه الصورة المقبحة للإنسان المسلم، تصور الأمريكي، بأنه إنسان طموح، يلتم بكل شيء، لا يُخدع ولا يستطيع أحد الضحك عليه، ويظهر بمظهر المروءة (إطفاء الحريق، إنقاذ المرأة...) .

هذه الصورة للرجل الأمريكي لا تعرض عفوباً، إنما تعرض بصورة منظمة، وإذا عرفنا أن أمريكا تصدر أكثر من ٢٠٠ ألف ساعة « براجمية تلفزيونية» كل عام ... تغزو أكثرها الدول العربية والإسلامية .. سندرك مقدار تأثير هذه الدعاية في المجتمعات الإسلامية.

الفصل الرابع

الحرب النفسية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر .

أولاً - أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم .

- الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية .

(١) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها .

(٢) السيطرة على الإعلام .

(٣) تغيير الوعي الثقافي والسياسي .

أ) التغيير التعليمي والثقافي .

ب) التسميم السياسي وحو ذاكرة الأمة .

(٤) العوالة واغصنة على العالم .

(٥) استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب .

(٦) دعم التوجهات الخدائبة والعلمانية .

(٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح .

أ- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها .

ب- حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف .

ج- التمويه والتميع للحقيقة .

د- الطمس والتعتيم .

المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام .

المبحث الأول

الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر

أولاً - أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم

- من هم أعداء الدعوة الإسلامية؟

سؤال نطرحه ، لتعرف على هؤلاء الأعداء الذين يشنون الحرب النفسية الخافذة على الدعوة الإسلامية وحملتها من العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين.. وذلك لتعريفهم من الثياب البراقة التي يلبسونها.. ويُخدع بها المغفلون من أبناء الإسلام .. وحتى يميز المسلم بين عدوه وصديقه.. ولا يُخدع إذا لبس العدو ثياب الصديق ونطق بلسان الصديق..

وأعداء الإسلام اليوم كلهم، يلبسون ثياب النفاق، والرياء، وإن صورة المنافقين في الصدر الأول تتكرر مرة أخرى في الوقت الحاضر.. على مستوى الدول ومن خلال وسائل الإعلام المتعددة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّكُمْ خُشْيَ مِسْنَدَةٍ يُحَسِّنُونَ ۗ كُلٌّ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ فَاخَذَ اللَّهُ مِنْهُم مِّثْلَ بَيْتِ كَعْبٍ ابْنِ إِسْحَاقَ ۗ فَذُكِّرُوا كَثِيرًا لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سجدة ١٠٠) .

ولعدم وضوح صورة الأعداء للمسلمين، لتلون هؤلاء الأعداء بالوان شنيء، لا بد من مصدر حق، يوضح صورتهم، ويبينهم على حقيقتهم.. وهذا المصدر الحق هو كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل هو وحده العليم بأعدائه وأعداء المسلمين.. ويفرر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يَتَمَتَّعُونَ بِالْمُضَلَّةِ وَيُرِيدُونَ أَن يُضَلُّوا السَّبِيلَ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ ۗ وَكَلَىٰ بِاللَّهِ ذَلِيلًا وَكَلَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ (سجدة ١١١) .

وبين الله عز وجل اعداء الإسلام والمسلمين بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَبِيلِيكُمْ وَأَنْهَمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [١١٥]. وإن اعداء الدعوة الإسلامية لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤليون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالذس والتشكيك، ونشر الشبهات، وتبوير المؤامرات... وهكذا كانوا في العصر الأول.. وهكذا هم في كل زمان ومكان، لم تنقطع هذه العداوة والحرب بالسلاح وبغير السلاح، مروراً بالحروب الصليبية، ومروراً بتشويه الإسلام وتزييفه على يد المستشرقين والمبشرين.. حتى الوقت الحاضر، فإنهم لم يلقوا السلاح، ولم يضعوا السيف في حده.

وأعداء الإسلام لم يرفعوا راية العقيدة في حربهم للعقيدة الإسلامية في الوقت الحاضر.. إنما يرفعون أعلاماً شتى في خبث ومكر، لأنهم جربوا حماسة المسلمين لدينتهم حين يواجهونهم تحت راية العقيدة، ومن ثم استدار الأعداء فغيروا أعلام المعركة، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة، خوفاً من حماسة العقيدة وجيشاتها، إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة ومناطق النفوذ، وما إليها.. وألقوا في روع المخدوعين النافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رايته، فهذه في رأيهم، سمة المتخلفين المتعصبين، ذلك كي يامنوا جَيْشَانِ العقيدة وحماستها، بينما هم في قرارة نفوسهم، يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء، لتحطيم هذه الصخرة العالية - صخرة الإسلام العظيم - التي نطحوها طويلاً فأدمتتهم جميعاً^(١).

(١) ارجع إلى الظلال - تفسير سورة المائدة آية ٨٢ - والبقرة آية ١٢٠.

وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقبة الجديدة، والحرب النفسية اليوم، والتي يشنها هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين، تستخدم أرقى ما وصلت إليه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال هذه الوسائل تشهر الحرب النفسية أسلحتها، من دعاية وشائعة، وتحريف للأفكار، وتزييف للحقائق، ونشويه للأشخاص والجماعات. بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى، التي توحى بها الحكومات الاستعمارية إلى تلامذتها وصنائعها، الذين جعلوا منهم أعداء لدينهم وأبناء أمنهم وأصبحوا طوع بئان الأعداء، في استخدام كل وسيلة لتوهين العقيدة في نفوس الناس، والتضييق على دعاة الإسلام ومحاربتهم نفسياً ومادياً، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لتبئيس هؤلاء الدعاة.. وإبعادهم عن أتباعهم وجماعتهم.. ومن تلك الوسائل سجنهم وتعذيبهم ومحاولة غسيل دماغهم ونشويه سمعتهم، وإقامة المحاكمات الصورية لهم.. كل هذه الأساليب استخلعت ضد رجال الدعوة الإسلامية، الذين هم نبض هذه الأمة، وروحها المعبر عن هذه العقيدة..

ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية في العالم الإسلامي: بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م أخذ الغرب يفتش عن عدو جديد له، فلم يجد إلا الإسلام والعالم الإسلامي، وبخاصة وهو يرى الصحوة الإسلامية بعد سنوات طويلة للعالم الإسلامي المقهور من قبل جميع القوى الصليبية والشبوعية والوثنية في الماضي القريب.. وبصفة أن شبح الحروب الصليبية - على حد تعبير محمد أسد في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق » والذي ذكرناه آنفاً في هذه الدراسة، أقول بصفة أن شبح الحروب الصليبية مازال يلاحق الغربيين بخاصة.. فالعدو الحاضر في أذهانهم هو الإسلام لا غير..

وهذا ما عبر عنه الرئيس نيكسون - الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية في كتابه « اقتناص الفرصة » بقوله: « إن الإسلام سوف يصبح قوة

سياسية متعصبة، فمن خلال نمو سكانه ، ومن خلال تبونه مركزاً مالياً مهماً، سيفرض تحدياً رئيساً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفاً قوياً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معاد وعدواني^(١).

ويعد نيكسون أن العالم الإسلامي هو التحدي الحقيقي للإستراتيجية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين^(٢). بعد الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم باسم النظام العالمي الجديد، والعوثة، ومحاربة الإرهاب.. واقتنصت الولايات المتحدة الفرصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) وضرب البرجين التجارية في نيويورك عام ٢٠٠١م لتعلنها حرباً شعواء نفسياً ومادياً ضد العالم الإسلامي.

فهاجمت أفغانستان عام ٢٠٠١م وهاجمت العراق عام ٢٠٠٣م وأخذت تهدد وتتوعد أي دولة لا تسير معها في سياساتها ضد ما تسميه بالإرهاب - حتى المقاومة المشروعة ضد الاحتلال العسكري لبعض بلاد العالم الإسلامي صنفتها ضمن الإرهاب .. وأخذت تطلق الألقاب على الدول المعارضة لها، مثل مثلث الشر، الدول الداعمة للإرهاب.. إلخ..

وعداً حكومة الولايات المتحدة للإسلام لا ينطلق من فراغ، بل من جذور إنجيلية، لذا أطلق عليها من قبل جميع المفكرين في الشرق والغرب وحتى من الولايات المتحدة بالذات، اسم اليمين المسيحي المحافظ، أو المتطرف^(٣).

(١) ص ١٩٥.

(٢) ص ٢٠٩.

(٣) انظر التقرير الخاص: الجنود الإنجيلية للأعداء الأمريكية ، اليمين المسيحي و كيفية مواجهته بقلم دوان أولدفيد، الأستاذة المشاركة في العلوم السياسية في جامعة فوكس - مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن - آذار ٢٠٠٤م قدم في الاجتماع السنوي بجمعية العلوم السياسية الأمريكية المنعقد في الفترة ٢٨-٣١ آب ٢٠٠٣م.

والولايات المتحدة الأمريكية - زعيمة العالم الغربي في الوقت الحاضر - في حربها النفسية والمادية لا يحبط خبط عشواء، بل هي تسير في خطى منروسة، وتعتمد على دراسات اجتماعية ونفسية موثقة من علماء غربيين، وعملاء حرب ومسلمين ممن يعيش في الغرب أو في العالم الإسلامي.. من هنا نستطيع رصد إستراتيجيتها في هذه الحرب من خلال النقاط الآتية:

- ١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.
- ٢- السيطرة على الإعلام.
- ٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي لدى المجتمع الإسلامي.
- ٤- العولمة والهيمنة على العالم.
- ٥- استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب.
- ٦- دعم التوجهات الهدائية والعلمانية.
- ٧- إظهار الحركات الهدامة والتعظيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

(١) دراسة الحركات الإسلامية ورسالتها:

والباعث لهذه الدراسة هو خشيتهم من الصحوة الإسلامية الحاضرة، المطالبة بتحكيم الإسلام في الحياة بعد أن فشلت النظم الجاهلية كلها من رأسمالية وشيوعية في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان المسلم من عزة وكرامة وحياة آمنة... ولذلك دبت روح جديدة في ضمائر كثير من المفكرين المسلمين صارت تنادي بالرجوع إلى الإسلام عفيفة وشريعة في الحياة.

فقد بدأت صحف الغرب خاصة تنبه العالم الغربي إلى هذه الصحوة ونبين خطرهما.. فالصحف الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والصهيونية كلها تتحدث عن هذه الصحوة الإسلامية، والعودة إلى الإسلام في العالم الإسلامي فصحيفة «لوموند» وغيرها من الصحف الفرنسية تكتب سلسلة مقالات عن الإسلام وعن الرسول محمد ﷺ وعن هذه النهضة الإسلامية التي بدأت تظهر بوادرها، وصحيفة «التايمز» تقول: «لست هذه الصحوة الإسلامية مقصورة على مصر بالطبع، فهناك أكثر منها وضوحاً في إيران وأخرى في باكستان وهناك علامات على وجودها في إندونيسيا ومؤشرات على انبثاقها في بعض مناطق الاتحاد الروسي المسلمة، أما إفريقيا فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على حساب المسيحية والديانات المحلية الأخرى، وعلى المستوى الدولي فقد ازداد الشعور التضامني الإسلامي بعد أن احتلت إسرائيل القدس الشريف ثم تقول: «إن المسلمين يكرهون الغرب، لأنه برز واشتهر على حساب انحسار المد الإسلامي، وفرضوا عليه كل ألوان الخزي والعادات السيئة» وتختتم مقالها قائلة: «العالم الإسلامي يعثره اليوم تطلع وحاجة لتأكيد ذاته وهويته» ثم تصيح منذرة منذرة: «الغرب اليوم أمام خطر، سيجعله يدفع الغالي والرخيص بسبب عجزته الماضية ونجاحه السابق»^(١).

(١) النظر البلاغ العدد ٤٦٩ - تاريخ الأحد ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨.

وهذه جريدة «باري ماتش» الفرنسية تتكلم عن المد الإسلامي الذي يغزو العالم، وأن على دول الغرب أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا تُفاجأ بالأحداث»^(١). وجريدة «هيرالد تريبيون» الأمريكية تكتب مقالاً بعنوان: «رياح البعث الإسلامي تغلق العالم»، ثم تشرح الأخطار التي تهدد إسرائيل من جراء هذا البعث الإسلامي»^(٢).

إن ما نشرته هذه الصحف يدل على أن هناك مخاوف من هذه الصحوة وأبادي تعمل على كبت انتفاضات الشعوب الإسلامية، والوقوف ضد كل صحوة إسلامية وبعث إسلامي، من شأنهما أن يزيحا الكابوس الاستعماري الظاهر والخفي على الشعوب الإسلامية، والذي يريد أن تبقى هذه الشعوب في ابتعاد عن حقيقتها ووجودها طامسة شخصيتها في شخصية الأجنبي، ومستبدلة بثقافتها وتفكيرها وقيمتها ثقافة وفكر وقيم الأجنبي.

وكذلك الصحف «الإسرائيلية» بدورها رفعت عقيرتها منكرة الغرب الخطر الذي يهددها مما أسمته بالرجعية الإسلامية الزاحفة ومثيرة في الوقت نفسه حمة حكومة موسكو مخدرة من خطر البعث الإسلامي ونأثيره على المسلمين في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) في صحيفة «جويش كرونيكل» الأسبوعية: «إنه ليس في وسع الغرب أو الاتحاد السوفيتي إغفال النتائج المترتبة على نمو الثقة بالنفس عند المسلمين يمكن أن يزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية»^(٣). وهكذا نلاحظ أن هذا الانبعاث الإسلامي الذي أصبح يشق طريقه في البلاد الإسلامية يخطط الأعداء لتأمر عليه حتى لا يعم انتشاره، ويعملون على القضاء عليه والصاق

(١) مجلة الإصلاح العدد ١١ - تاريخ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

(٢) البلاغ العدد ٤٦٩ - ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

(٣) البلاغ - العدد ٤٦٩ - ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

التهم المكذوبة به، ورميه أحياناً بالرجعية الزاحقة وأحياناً أخرى بالتواطؤ مع الشيوعية..

ويتأكد هذا من الخبر الذي نشرته صحيفة « واشنطن بوست » من أن البيت الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دراسة الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي كله، ومنضم هذه الدراسة التي أمر بإجرائها مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي « زينغيو بريجنسكي » تقارير مستقاة من وكالات الاستخبارات المدنية والعسكرية ، وقد وصف مسؤولون أمريكيون الدراسة بأنها بالغة الحساسية نظراً للتأثيرات المتعاظمة للتعالم الإسلامية في العديد من الدول، وللأهمية السياسية المتزايدة لعدد من البلدان الإسلامية. وقالت « الواشنطن بوست »: إن بريجنسكي مصمم على عدم السماح لمثل هذه التأثيرات بأن يكون لها دور في مناطق الأزمات في العالم كما حدث في إيران^(١).

ومما يؤكد هذه الأخبار أيضاً « أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من الاستخبارات البريطانية تزويده بكل ما يمكن من معلومات تتعلق ببعض الحركات الإسلامية، بسبب افتقار الولايات المتحدة إلى المعلومات الواقية عن هذه الحركة، ويشكل هذا الطلب جزءاً من المشروع الكبير الذي أمرت الحكومة الأمريكية بإعداد الدراسات اللازمة حوله قبل أيام لمعرفة تأثير الحركات الدينية^(٢) ».

ومن المعلوم أن الاستخبارات البريطانية لها خبرة كافية في هذه الحركات بصفقتها الدولة الاستعمارية الأولى للعالم الإسلامية وتعرف ما يجري فيه .

(١) نشرته النبا:

أ- صحيفة الشرق الأوسط - ١/٣١/١٩٧٩م.

ب- صحيفة القبس الكويتية - ٢٢ صفر ١٣٩٩هـ (١/٢١/١٩٧٩م).

ج- مجلة المجتمع (عن القبس) في ٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ (١/٣٠/١٩٧٩م).

(٢) صحيفة القبس ٢٥-١٣٩٩هـ و ١/٢٤/١٩٧٩م.

وسهم الصهاينة في فلسطين المختلة في هذه الدراسة، مما يظهر تخوفها من هذه اليقظة الإسلامية وذلك أنها عقدت ندوة خصوصية شارك فيها عدد كبير من الاختصاصيين الصهاينة من جملتهم البروفيسور « شارون » مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية وغيره من الأساتذة الكبار. ولقد ذكر « البروفيسور شارون » في هذه الندوة أنه ما من قوة في العالم نضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الجماهير، وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية، ولم ينس « شارون » كفاح ونشاط المفتي الحاج أمين الحسيني - رحمه الله - الذي اعتبره أعدى أعداء الصهيونية والمكافح الأول ضدها. ثم قال: « إن المساجد هي دائماً منبع دعوة الجماهير العربية إلى النمرد على الوجود اليهودي » واختتمت الندوة أعمالها مؤكدة أن هناك يقظة إسلامية حقيقية بين صفوف الفلسطينيين أيضاً وأن الاختلافات الموجودة بين المسلمين لا تمنعهم من أن يتنادوا ليوقفوا صفاً واحداً^(١).

(٢) السيطرة على الإعلام: رأينا آنفاً أن الإعلام من العوامل المهمة المؤثرة في السلوك، وفي قنوات انطرف المتهدف، من هنا يصح الإعلام من أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على الآخرين.. فالإعلام هو الذي ينقل الأخبار وتفاصيل الحروب - يصيغ تزيد المعنويات أو تضعفها، وهو الذي يهول بعض الأمور ويضعفها، ويقلل من شأن أمور أخرى بنية تكوين حالة إحباط مؤلمة.. فضلاً عن طريقته في نقل الأفكار والمعلومات وحاجة الجمهور إليه في المتابعة وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير. لهذا كله يكون الإعلام من الأدوات الفاعلة جداً من بين

(١) مجلة البلاغ الكويتية - العدد نفسه المذكور سابقاً - في مقال بعنوان « رباح البحث الإسلامي تلاق العالم الغربي ».

أدوات الحرب النفسية.. ولهذا أيضاً كان الهدف الاستراتيجي للغرب هو السيطرة على الإعلام، وفعلاً أصبح بيده بصرفه كيف يشاء والدليل على ذلك^(١):

أ- غالبية الشركات العملاقة (متعددة الجنسيات) للصحافة والبيث التلفزيوني والأقمار الصناعية الناقلة للبيث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت النظام العالمي الجديد.

ب- أساس عمل شبكة المعلومات (الإنترنت) أمريكي ورأس مالها أمريكي ومراكزها عبر العالم أمريكية، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية تسعى لتعميم النظام العالمي الجديد.

ج- ٨٠% من الأبناء العالمية التي تتداولها وكالات الأنباء في الدول النامية مصدرها الولايات المتحدة الأمريكية القادرة على « التفيركة » والصياغة حسب توجيهات النظام العالمي الجديد.

د- خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية - غربية تتحكم في الوسائل والمواد والمؤسسات والتقنيات الإعلامية، والإعلانية في العالم، وأن ٧٥% من إجمالي الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكي. و ٩٠% من إجمالي الأخبار المصورة، و ٨٢% من إنتاج المعدات الإعلانية والإلكترونية، و ٩٠% من المعلومات المخزنة في الحاسبات جهد أمريكي.

هـ - رأس المال البالغ نحو (٤٨٩) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الإعلامية غالبته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للامتداد إلى السوق العالمي بدفع من النظام العالمي الجديد^(٢).

(١) انظر: الحرب النفسية في النظام الدول الجديد - د. سعد العبيدي - مجلة الندى المصرية - ذو الحجة ١٤٢١ هـ / آذار ٢٠٠١ م.

(٢) المرجع السابق وانظر أيضاً: المظاهرات الشركات متعددة الجنسيات في ظل ثورة التكنولوجيا والإعلام - د. حسن زعرور - مجلة الفكر العربي - العدد ٨٩ - ص ٢٠١ - صف ١٩٩٧ م.

هذه كله نجد أن المهيمن على النظام العالمي الجديد استبدل في كثير من الأحيان، الحرب النفسية بالحرب التقليدية، لأنها أكثر تأثيراً، وأقل خسارة من الناحيتين المادية والبشرية، ووجد في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة أخطر أسلحة الحرب النفسية.

أما مضمون الإعلام المسيطر هذا فيوضحه ناعوم تشومسكي - المفكر الأمريكي - في كتابه « السيطرة على الإعلام » ، حيث يورد في كتابه الكثير من الأمثلة التي تبين حجم الأكاذيب والخدع والتضليل الذي يمارس على الجمهور، ويخلص إلى نتيجة رئيسة، وهي: أن « صورة العالم التي تقدم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب»^(١).

وهكذا نجد أن زعيمة العالم الغربي تستعمل الإعلام الكاذب المزيف لسلاح من أسلحة الحرب النفسية الموجهة للعالم الإسلامي، لأن الدولة التي تكذب على جمهورها، لا تكذب على الشعوب الأخرى التي تسعى الهيمنة عليها مادياً وثقافياً وحتى نفسياً.

(٣) تغير الوعي الثقافي والسياسي : ويتضمن :

أ- التغيير التعليمي والثقافي.

ب- التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.

أ- النهي التعليمي والثقافي: تغير الوعي عن طريق التغيير الثقافي والتعليمي هذا ليس جديداً، فقد حاولت الغرب عن طريق المستشرقين ، وتلاميذهم في العالم الإسلامي، وفشلوا في ذلك، وبقي الوعي الإسلامي المحرك الأساسي للمجتمع..

(١) انظر كتاب « السيطرة : على الإعلام » لناعوم تشومسكي - ترجمة أمينة عبد اللطيف دار

أنشؤوا المدارس التبشيرية، والمؤسسات الثقافية، واستخدموا التعليم وكل الوسائل الممكنة للقضاء على الثقافة الإسلامية، ولم يفلحوا، إذا لا بد من استعمال القوة أو التهديد بها.. لا بد من الحرب النفسية ونوجيه جميع أسلحتها الفتاكة تجاه مصدر القوة الكامن في المجتمع الإسلامي.. وجاءت الفرصة لذلك بعد تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠٢م.

• وبدأت الحرب النفسية الموجهة نحو العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص، والمملكة العربية السعودية بشكل أخص.. بحملات إعلامية دعائية مخططة وهادفة تقول فيها:

- الوهاية السعودية مسؤولة عن التطرف في العالم الإسلامي كله.
- السعودية تصدر كره الكفار إلى الأمة الإسلامية.
- وتعلم الأطفال السعوديين كره الأمريكيين في المدارس الحكومية.
- السعودية هي التي أمست طالبان ومولتها^(١).

- السعودية تمول الجماعات الإسلامية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية عبر جماعات ومؤسسات، مثل رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومؤسسة الحرمين الإسلامية. وكذلك عبر الشؤون الإسلامية في السفارات السعودية والفتنصليات على مستوى العالم^(٢).

• ثم بدأت وسائل الإعلام تركز على المناهج التعليمية في العالم العربي والإسلامي:

(١) انظر: أمريكا والسعودية .. حنة إعلامية أم مواجهة سياسية . د. غازي الفصحي نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط١ - ١٦ - ٢٠٠٢م.

(٢) التقرير الخاص - جيف كاري - معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى - موقع مركز الشرق العربي للدراسات - ١٤٢٥/٦/١١هـ

- لا بد من التغيير في العقلية التي تمثلها التقاليد الوهابية.
- يجب إلغاء فصول كاملة من الكتب التي تتحدث عن العداوة التاريخية بين المسلمين وغير المسلمين.
- التوقف عن دعم المدارس الإسلامية في الخارج أو تصدير نموذجها الديني إلى دول أخرى.

- حذف الأحاديث النبوية والآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى^(١).

* وقد يأتي يوم تطلب فيه الولايات المتحدة الأمريكية التوقف عن تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية بصفتهما من منابع الإرهاب.. وقد رأى الملايين من مشاهدي القنوات الفضائية، كيف أن مراسل (س . إن . إن) وقف على مجموعة من الأطفال في بيشاور - باكستان يتعلمون القرآن الكريم وقال: هذا مطبخ الإرهاب».

* وإتماماً لتغيير الوعي لدى الفرد المسلم، فقد صدر عن داري النشر الأمريكية (Wine Pres , Omega ٢٠٠١) كتاباً سمي «الفرقان الحق» نشره المدعوان الصفي والمهدي عذاه الكتاب المقدس للقرن الحادي والعشرين، وذكر أنه للأمة العربية خصوصاً وللعالم الإسلامي عموماً. ويحتوي الكتاب على آيات من القرآن الكريم معرفة مع تليق وإضافات ما أنزل الله بها من سلطان.. وهدفهما نشر ثقافة الغرب في الأنجيل والثورة.. فضلاً عن نشر ثقافة الاستسلام والخضوع والضعف والجبن في ديار المسلمين^(٢).

(١) انظر مجلة النبأ الأسبوعية المصرية - القاهرة وجب ١٤٢٤هـ - ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م نقلًا عن وكالة الأنباء السعودية في ١٤/٩/٢٠٠٣م.

(٢) انظر موقع عيظ على الإنترنت في ٢٨/١٢/١٤٢٥هـ نقلًا عن مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، والكتاب المذكور مترجم للاللغتين العربية والإنكليزية.

ب- التسميم السياسي وهو ذاكرة الأمة: مفهوم « التسميم السياسي» يتلخص في استخدام جميع الأمور المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الآخر وأهدافه..

ويتوجه التسميم السياسي إلى عقل الإنسان ونفسيته ، محاولاً التأثير في ثوابته ومنهج تفكيره.. وهو بهذه الصورة من أسلحة الحرب النفسية، ويشبه إلى حد بعيد غسل الدماغ الذي بسط في غير هذا الموضوع من هذه الدراسة ويمكن تلخيص غايات التسميم السياسي وتحديدتها في العالم الإسلامي في الآتي:

- ١- تحطيم إيمان المسلم بعادلة قضية التي يدافع عنها ومشروعيتها.
 - ٢- تمزيق أسس المسلم الدينية والعقدية ومبادئه.
 - ٣- إضعاف ثقة المسلم بهذه الأسس والمبادئ.
 - ٤- تحطيم التماسك الإدراكي والعقلي للمسلم . والوصول به إلى مرحلة الإحباط .
 - ٥- الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية.
 - ٦- زرع قيم جديدة تحتم أهداف العدو.
- والوصول إلى هذه الغايات لا يتم دفعة واحدة، بل ضمن مراحل متعاقبة، كل مرحلة تؤدي إلى الأخرى ولنضرب مثلاً على ذلك بقضية فلسطين:
- قضية مجتمع احتلت أرضه، فمن حقه لاسترجاعها للمقاومة .. وهو حق عادل وشرعي.

- تبدأ عملية التسميم بزراعة قيم جديدة لدى المجتمع المحتل مثل: الاعتراف بالأخر، والحرب ليس حلاً لأي مشكلة، والسلام والتنمية الاقتصادية... إلخ.

- تُضخم وسائل الإعلام والاتصال والتعليم والتربية هذه القيم حتى توصلها إلى قمة سلم القيم الهرمي، وعندئذ تحدث عملية إحلال شعورية ولا شعورية لها محل القيم القديمة الثابتة والعادلة، وهكذا تُسح الأمة ذاكرها..

- وهكذا تتخلى الأمة عن حقوقها الأصلية ومقدساتها في سبيل حل مشكلاتها الاقتصادية والرفاهية أو حتى إنها تتوهم تحقيق ذلك.

- وحتى إذا اكتشفت الأمة الحقيقة فإنه يترتب على ذلك نوع من الصدمة تؤدي إلى الشلل النفسي، والإجباط، ومن ثم عدم القدرة على المواجهة لما تجده من تمزيق في الشخصية، فيتحقق النصر للعدو بأقل تكلفة..

- وهكذا يتم التسميم السياسي والفكري الذي يُعدُّ المقدمة المنطقية لتشكيل الرأي العام في الأمة.. إزاء القضايا المهمة، وبهذا الأسلوب تخضع ذاكرة الأمة ووعياها الجمعي منذ عقدين من الزمن على الأمل في صراعها مع الكيان الصهيوني^(١).

(٤) العولة .. والهجنة على العالم: تنف الأمة الإسلامية اليوم على مفترق الطوق، بعد أن برزت ثقافة معينة ذات لون واحد هو اللون الغربي للحياة، تريد أن تفرض على العالم البشري باسم « العولة ».

هذا اللون الغربي للحياة ، أو هذا النموذج ، صورة لمجتمع واحد، له تراثه وأخلاقه وقيمه التي لا تنفق، في أغلبها ، مع الثقافة الإسلامية، أو العقيدة الإسلامية بخاصة، ومع الثقافات الأخرى للمجتمعات بعامة.

وليت الأمر كان عولة .. للعلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والتفاعل والموارد البناء من أجل تكوين حضارة إنسانية المبدأ تقوم على الحرية والمساواة بين

(١) انظر د. حامد عبد الماجد - التسميم السياسي ومحو الفكرة - مجلة الانتفاضة الإلكترونية -

الشعوب، وتحقّق إنسانية الإنسان في الحياة، ولكن الصور السلبية للعمولة تظهر بمحاولة هيمنة مدينة معينة، وهي المدينة الغربية [ولا نقول حضارة] على الحضارات الأخرى .

هذا مع العلم أن العمولة تلبس ثوباً قشيباً براقاً، يجذع المشاهدين، وهي تزين بهذا الثوب لقبولها على إعلانها..

ومن أهم السلبيات التي تتصف بها « العمولة » بصورتها الحالية الواقعية هي الهيمنة الشمولية، ومحاولة فرضها على العالم بالقوة أو التهديد بها، كسلاح من أسلحة الحرب النفسية، حتى لا يكون في العالم إلا ثقافة واحدة، وفكر واحد، وعقيدة واحدة، بينما نجد الحضارات ، على مر التاريخ ، لم تكن واحدة، بل كانت متنوعة، وهذا التنوع دفعها إلى الإبداع والابتكار في المجال المادي والفكري.

ولعل نظرة على الواقع في الساحة الدولية والساحة العربية والإسلامية تفتح أن منطق القوة هو السائد في عصر ما يسمونه « بالعمولة » و« الكوكبية » أو اختصاراً عصر القطب الواحد... المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية ، زعيمة العالم الغربي دون منازع.

والغرب هو وارث المدينة الرومانية واليونانية، حيث القوة واستعمار الشعوب هو دينها.. ويظهر هذا واضحاً في رد الملك قليب والد الإسكندر الأكبر على أسناده الفيلسوف أرسطو الذي اعترض على نية الملك في غزو الشرق، قائلاً: « إنه يغزو الشرق حتى يجعل الثقافة اليونانية والفكر اليوناني هو فكر العالم وثقافته»^(١). وهو الهدف نفسه الذي سعى إليه الاستعمار الأوروبي، سواء كان إنكليزياً أو فرنسياً أو برتغالياً أو إسبانياً في القرن التاسع عشر. لقد استخدمت القوة العسكرية في غزو العالم وقهر شعوبه بحجة تحديثها وتقدمها وإعمارها^(٢).

(١) انظر : د. مصطفى النشار - ضد العمولة ص ٤٩ - دار فباء - القاهرة ط ١٩٩١ م.

(٢) المرجع السابق ص ٥١.

وقد وصف جارودي في كتابه « حوار الحضارات » ما صنعه الغربيون بشعوب العالم الأخرى بأنه صنع « الشر الأبيض » وأطلق على إمبراطوريتهم اسم « إمبراطورية الشر الأبيض » « وهو أدق وصف يمكن أن توصف به أمم الغرب طوال تاريخها، فهي الأمم التي كانت دائمة السطو على إنجازات الآخرين، ودائمة الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعاوى فارغة لا تنطلي على أحد»^(١).

وها هو التاريخ يعيد نفسه، الغرب يريد الهيمنة على العالم الإسلامي تحت ذريعة « العمولة »، ونحت دعاوى الإصلاح ونشر الديمقراطية، والتنمية الاقتصادية، وحقوق الإنسان، ولا ندري هل هذه الدعاوى صادقة؟ بينما نرى جيوشه الحارقة تلك أفغانستان والعراق وفلسطين، وتقتل الآلاف بالغازات السامة، والقنابل والصواريخ، إنه الغرب الحاقد على الإسلام، إنه الغرب الذي مازال شبح الحروب الصليبية يلاحقه، والصهيونية العالمية تفتح في كبره.. ويمثلهم الدكتور برنارد لويس^(٢) الذي نجح في إقناع المساة وصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بأرائه التي ثبت فشلها، ولكن لجهل الأمريكان بالتاريخ والجغرافية، استسلمت عقولهم لصياغات برنارد لويس المتحازة والمنصيرية^(٣) ففي مقالته « جذور الغرب الإسلامي » التي نشرها عام ١٩٩٠م يرى أن الإسلام خطر على الغرب، ويرى أنه

(١) المرجع السابق.

(٢) برنارد لويس مفكر بريطاني الأصل، كان رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية ثم انتقل إلى أمريكا للتدريس في جامعة برنستون، وأصبح من المقربين إلى البيت الأبيض في عهد بوش، وصديقاً حميماً لعدة رؤساء صهاينة - ألف عدة كتب عن العالم الإسلامي من أولها: الغرب والشرق الأوسط..

(٣) انظر: النبوات الثقافية - المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ في الرياض - ندوة: الخط الإسلامي بين الحقيقة والرهيم ص ١٧٢، ١٧٣.

لا التقاء بين الإسلام والحضارة النصرانية الغربية، ولكنه يبعد أكثر من ذلك، فيقرر في ذلك المقال بأن الإسلام دين الحق والعتق، وأن من سوء حظ الغرب أنه يعبش في هذه الحقبة التي وجه ذلك الحق ضد الغرب.

ويرى الدكتور لويس راباً خطيراً أيضاً، فهو يقرر في تلك المقالة بأن المسلمين متأثرون في نظرهم على الغرب بالفكر النازي، وهذه النظرة هي أيضاً موجودة عند آخرين من الكتاب الغربيين - فهم يربطون الإسلام بالمبادئ المفروغ منها عند الغرب من حيث الوحشية والتطرف مثل الشيوعية والنازية الفاشستية^(١).

ويؤكد عدم التقاء الحضارتين الإسلامية والغربية أيضاً «أوجين روستو» رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية، ومستشار الرئيس الأمريكي «جونسون» لشؤون الشرق الأوسط فيقول: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية (الغربية)، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، ذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي»^(٢).

وهكذا يتبين لكل ذي بصيرة أن «العولمة» التي يتنادي بها الغرب، ويريد فرضها على العالم الإسلامي للمهيمنة عليه، ليست هي العولمة العلمية والتقدم العلمي، ولا العولمة الاقتصادية لخير الإنسان عامة دون تمييز بين دين ولون وعرق..

(١) المرجع السابق ص ١٧٣، وانظر أيضاً: د. سعيد حارب - الثقافة والعولمة، ص ٦٠ ومابعدها - دار الكتاب الجامعي - العين الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق (الثقافة والعولمة) ص ١١٦.

إنها نظام عالمي سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي.. وحضاري إن صح القول.. إنها تسعى إلى إخضاع الإنسانية ومصيرها لاستبداديات إرهابية تحكم مسلك الأفراد والدول بل وجميع المجتمعات ، إنها « عملة الرعب » إن سلكت طريق الإرهاب والحرب النفسية لفرض إرادتها.

(٥) استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب^(١) . الإستراتيجية الأمريكية - زعيمة العالم الغربي - في منطقة الشرق الإسلامي - الذي يطلقون عليه الشرق الأوسط - تركزت في ثلاث دوائر متشابهة وهي:

- ضمان أمن إسرائيل .

- تأمين منابع النفط .

- مكافحة الإرهاب .

وقضية مكافحة الإرهاب أصبحت الأساس في هذه الإستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١م، واتخذت هذه الحرب أبعاداً لا يمكن فهمها إلا أنها حرب على الإسلام، والدليل على ذلك هو الاستهداف الواضح لكل ما هو إسلامي يحمل مشروعاً حضارياً أو جهادياً لمقاومة الاحتلال، ورفض الهيمنة الغربية على المنطقة، وإلا فما معنى الاتهامات الأمريكية المتكررة لحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان وكشمير وغيرها.. وهؤلاء لم يهاجموا أمريكا وليست لهم علاقة بالفاعلة التي تحاربها.. وهذا يؤكد النهج الذي اعتمده اليمين المحافظ والنطرف في الحكومة الأمريكية لتمكين إسرائيل لسيط نفوذها بالمنطقة تحت ما يسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير. وهذا ما يفسر الحملات الحمومة للضغط

(١) ملخص من مقال د. أحمد يوسف الكاتب الإسلامي المقيم في واشنطن ، الذي عنوانه:

الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط : استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب

على الدول الخليجية بعامة والسعودية بخاصة لوقف الدعم الشعبي والرسمي كافة للمقاومة الفلسطينية تحت ما يسمى بسياسة تخفيف المتابع حيناً، وتقطع الطريق على دعم الإرهاب حيناً آخر.

وهكذا نجد أن الحرب على الإرهاب أصبح إستراتيجية ثابتة للقضاء على كافة القوى الوطنية والإسلامية، لتسهيل المهمة أمام إسرائيل للتوسع وسط النفوذ في المنطقة خلال مشروع الشرق أوسط الكبير. إلا أن هذه القوى ستظل الحائط المتين الذي يمنع أمريكا من الوصول إلى غاياتها الاستعمارية، وتحقيق أحلامها في الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

حتى نؤكد أن الحرب التي يشنها الغرب على بعض دول العالم الإسلامي هي حرب صليبية بكل معنى الكلمة، ويطلق عليها الحرب على الإرهاب للتعبئة على بقية دول العالم الإسلامي، نأتي بشواهد منهم، على حد قول من فمك أدينك:-

أ- الباحث الأمريكي صموئيل هنتجون^(١) في الشؤون السياسية قال في حديث صحفي نشر في عمان، وفي صحيفة الدستور^(٢): «إن حرب الخليج الثانية التي حدثت في الربيع الماضي بمثابة حرب بين العالم الإسلامي من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة ثانية، حيث تمثل إسرائيل وأمريكا الغرب، وكانت تلك الحرب صورة حقيقية لصراع الحضارات الغربية مع الإسلام».

(١) صموئيل هنتجون: مدير معهد آل للدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية، سبق وعمل في البيت الأبيض عام ١٩٧٧م كمنسق للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي وله عدة كتب أهمها: صدام الحضارات - انظر كلمته في الندوة التي عقدت في ظل مهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ - الندوات الثقافية - نشر الحرب الوطني - ص ١٧٣ الرياض.

(٢) صحيفة الدستور - عمان في ١٦ رجب ١٤٢٤هـ / ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م - وكذلك وكالة الأنباء السعودية (واس) في ١٣/٩/٢٠٠٣م.

وأضاف يقول: « إن القرن الحادي والعشرين يشهد حالياً الحرب الشاملة على المسلمين » وزعم الباحث الأمريكي الحاقق: « إن الحضارة الإسلامية هي العدو اللدود للحضارة الغربية التي تمثل المسيحية واليهود».

وقال: « إنه لابد للحضارة الغربية من مواجهة الصدام المتظر بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة ثانية.. داعياً الدول الغربية إلى تشكيل كتل وتحالف غربي يضم المسيحيين واليهود لمواجهة الإسلام والمسلمين».

ب - الجنرال وليام بويكن الناطق باسم البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) وصف الحرب على الإرهاب بأنها صراع المسيحية ضد الإسلام.

والجنرال نفسه هاجم المسلمين في شخص عبيد، زعيم الحرب الصومالي واعتبر إلههم صنم، حيث قال عنه: « كنت أعرف أن إلهي أعظم من إلهه، كنت أعرف أن إلهي إله حقيقي وأن إلهه ليس سوى صنم»^(١).

ج - برنارد لويس - ورأيته أتفاً كيف يصف الإسلام بأنه دين الحقد والعنف، وكيف ربط الإسلام بالوحشية والنظر، مثل الشيوعية والنازية.. وما في كلامه من تحريض على الإسلام والمسلمين، وما الحرب التي تشن على المسلمين إلا نتيجة تنظيره المزور الحاقق لمبادئ الدين الإسلامي.

د - ويلي كلاس - الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ، وصف الإسلام بأنه العدو الأول بعد سقوط الاتحاد السوفيتي^(٢).

هـ - ويقول مورو بيرجر في كتابه « العالم العربي المعاصر»: « إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام، لتحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي

(١) انظر وكالة الأنباء الفرنسية - تاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٣ م.

(٢) د. سعيد حارب - الثقافة والعروة - (مرجع سابق) ص ١١٧.

إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. إن الإسلام يفرغنا عندما نراه ينتشر يسر في القارة الإفريقية»^(١).

- وهناك عشرات المقالات والأقوال لساسة الغرب ومفكريهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام وليس شيئاً آخر^(٢).. وقد لبست هذه الحروب ثوباً جديداً الآن وهو ثوب الحروب ضد الإرهاب العالمي.. على الرغم من أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح بأنها حرب صليبية إلا أن الكثير في العالم العربي والإسلامي لا يريد أن يصدق ذلك، وبقي يتعاون مع الإرهاب الدولي - كما يزعمون - الذي تقوده أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وهكذا يتبين لنا بعد هذه الأقوال الصريحة الواضحة أن الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هو محاربة الإسلام.

(٦) دعم الوجهات الخدمية للحرب العسكرية التي نشنتها الولايات المتحدة على بعض دول العالم الإسلامي مباشرة مثل أفغانستان والعراق، أو بالوكالة في فلسطين لبست كافية في حرب الإسلام بنظر المحافظين الجدد، بل لا بد من دراسة دور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ثم محاولة السيطرة على هذه المجتمعات بمساعدة المسلمين « المعتدلين » . وتقوم بهذه الدراسة مؤسسات علمية ضخمة تعني بالفكر الإستراتيجي وتحويله إلى خطط، وخرائط، وبرامج، وأولويات، ويطلق على هذه المراكز Think Tanks أي « دبابات الفكر» وهي تسمية تخرج الفكر بفلسفة القوة، وهي تعبر عن التحالف بين الفكر والسلاح في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تمثل قوى ضاغطة وفاعلة تعمل

(١) انظر مجلة روز اليوسف - تاريخ ٢٩/٦/١٩٦٣م.

(٢) ارجع إلى كتاب جلال العالم - قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبعدوا أهله - دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٤م.

ينشاط فل مثله في العالم. ومؤسسة « راند البحثية» التي سنسبب تقريرها الإستراتيجي، أحد هذه الدبانات الفكرية^(١).

وقبل تبيان ما في التقرير من غلط لا بد من التنويه أنه ركز على مجتمع معين تنطبق عليه أطراف المجتمع التي ذكرها، وهذا المجتمع هو مجتمع المملكة العربية السعودية، وإن كان قد تعرض في بعض فقرات التقرير لمناطق مثل إيران وباكستان، إلا أنه يذكر أشياء لا وجود لها إلا في المملكة العربية السعودية.

عنوان التقرير : « الإسلام الحدائي أكثر لياقة»^(٢)

- يقسم التقرير المجتمع إلى أربعة أقسام: الأصوليين والتقليديين والحدائين والعلمانيين.

١- الأصوليون ، وهم الذين يرفضون القيم الديمقراطية والتقاليد الغربية الراهنة.

- وهؤلاء موقفنا تجاههم عدم نأيدهم؛ إلا إذا كان الأمر متعلقاً باعتبارات تكتيكية مؤقتة.

(١) مؤسسة راند ، مؤسسة محلية تأسست ١٩٤٨م وذات توجهات صهيونية، وتبعية وزارة الدفاع الأمريكية، ومنهم من يقول أنها تتبع الكونغرس ويوجد لها أربعة مواقع رئيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثلاثة فروع في أوروبا في كل من هولندا وألمانيا، والمملكة المتحدة، كما أنشأت راند - قطر للسياح في إبريل ٢٠١٣م، برئاسة « شيرلي برنارد» عالمة الاجتماع، والباحثة الرئيسة، وكاتبة التقرير وزوجة ولي خليل زاد الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، ومبعوثه الخاص إلى أفغانستان، وأحد المقربين منه، وهو أيضاً رئيس مجلس إدارة مؤسسة «راند» التي أعدت التقرير المذكور بشعوبل من مؤسسة سميت ريتشارد سون (انظر سليمان البطي - حوار معه - نشر في موقع الإسلام اليوم في ٢٠/٥/١٤٢٥هـ - ٨/٧/٢٠٠٤م، وانظر أيضاً، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية).

(٢) ترجمة وتحرير شعيرين حامد فهمي - في ١٨/٥/٢٠٠٤م. انظر موقع الساحة السياسية على الإنترنت.

٢- التقليديون: وهم الذين يسعون إلى مجتمع محافظ ، مع الابتعاد بقدر الإمكان عن كل ما يمت إلى التغيير والتجديد والحداثة.

- وهؤلاء ندعمهم ضد الأصوليين ..

٣- الحداثيون الذين يفتون عالمياً إسلامياً مندجاً في داخل الحداثة العالمية، مما يستلزم - من وجهة نظرهم - تحديث الإسلام وتغييره لينماشى مع ظروف العصر.

وهؤلاء هم الأقرب إلى الغرب إذا ما تحدثنا عن القيم والسياسات، ويجب دعمهم.

٤- العلمانيون: وهم يريدون عالماً إسلامياً بعيداً عن الدين، على غرار الديمقراطية الغربية - حيث الفصل بين الدولة والكنيسة.

- وهؤلاء أيضاً الأقرب إلى الغرب، ويجب دعمهم أيضاً.

* وينصح التقرير بالنظر وبإمعان وتدقيق في هذه القوى الاجتماعية الأربع، والعمل مع كل قسم ما يتواءم مع الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة، وذلك كالآتي:

أولاً: تأييد الحداثيين: ويشمل التأييد:

- القيام بنشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعومة.

- تشجيعهم على مخاطبة الجماهير والشباب والكتابة إليهم.

- تقديم آرائهم في مناهج التعليم الإسلامي.

- منحهم منبراً جماهيرياً يعبرون من خلاله عن وجهات نظرهم.

- جعل أحكامهم الشرعية نجاه المسائل الجذرية في متناول أيدي الجماهير، لنوع

من المنافسة مع الأصوليين والتقليديين ..

- وضع العلمانية في اتجاه معاكس للحداثة، حتى لا يأتي بالأثر السلبي على

الشباب المسلم.

- جعل كل ما يخص تاريخهم وثقافتهم متداولة، يسهل الوصول إليها في دور الإعلام وفي المناهج التعليمية للدول وثيقة الصلة بالموضوع.
- المساعدة على تنمية المنظمات المدنية المستقلة.
- ثانياً : دعم التقليديين ضد الأصوليين : ويكون ذلك بـ:
 - نشر وترويج النقد التقليدي للعنف والنشدد الأصولي، وتغذية نقاط الاختلاف بين التقليديين والأصوليين.
 - دحض أي فرصة للتقارب بين التقليديين والأصوليين.
 - تعزيز ودفع ائتعاون بين الحدائين والتقليديين الغربيين للفكر الحدائني.
 - تدريب وثقيف التقليديين يجعلهم أكثر دراية وخبرة في مجال الأصوليين.
 - تعزيز الوجود الحدائني في المؤسسات التقليدية.
 - تأييد الاتجاه الصوفي، ونشره، والدعوة إليه!!!
 - التمييز والتفريق بين الفئات المتباينة في داخل التيار التقليدي، ومن ثم تأييد تلك التوجهات التقليدية الأقرب للحدائنة.
- ثالثاً : مواجهة ومعارضة الأصوليين : ويكون ذلك بـ :
 - دحض نظرياتهم حول الإسلام، وإظهار عدم دقتها وصحتها.
 - إظهار اتصالاتهم وعلاقاتهم بالجماعات والأنشطة غير القانونية.
 - نشر العواقب الوخيمة الناتجة عن أعمال العنف التي يتجهجونها.
 - إبداء قدراتهم الهشة في الحكم، وإمكانياتهم الضعيفة في الوصول إلى تنمية حقيقة تفيد مجتمعاتهم.
- توصيل هذه الوسائل - المذكورة آنفاً - إلى الشباب المسلم ، وإلى الجموع الغفيرة من المتدينين التقليديين ، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وأخيراً إلى المرأة المسلمة.

- تجنب إظهار أي بادرة احترام أو تقدير لأعمال العنف التي يتبنونها، وصيهم جميعاً في قالب « الجبناء » و« المخبولين » ، وليس « الأبطال الأشرار ».
- تغذية عوامل الفرقة بينهم.
- دفع الصحفيين للتحقيب والبحث في جميع القضايا المهنية التي يمكن أن تشوههم وتنال منهم، مثل الفساد والنفاق، وسوء الأدب.
- رابعاً: التأييد الانتقالي للعلمانيين، ويكون بـ :
 - تأييد أولئك العلمانيين الذين يناهضون الأصوليين، والوقوف معهم في الخندق نفسه لمحاربتهم. ولكن من الناحية الأخرى الشبيط من أي تحالف علماني مع القوى المعارضة للولايات المتحدة، سواء على الأرضية الوطنية أو الأرضية الباردة.
 - التعزيز من فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام، وأن الأخير لن يتضرر من هذا الفصل، بل على العكس سيستفيد منه أكبر استفادة.
 - هذه بعض النقاط المهمة في تقرير « راند » ذكرت حرفياً .. دون تعديل ليعرف القارئ ما يفكر فيه الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وعقلية المستعمر الذي يلجأ إلى الفتنة والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، ليسهل عليه الهيمنة عليهم..
 - فهو يضع الأصوليين وجميع الحركات الإسلامية في دائرة العنف.. وإذا كان يقصد بالأصوليين المتعسكين بدينهم . وهم المقصودون عنده - فإن الأكثرية منهم ذوو تفكير معتدل، ويؤمنون بالوسطية التي تعبر عن الإسلام الحقيقي، وهم لا يؤمنون بالعنف كوسيلة للتغيير .
 - والإسلام الذي يريده التقرير هو « إسلام ديمقراطي مدني » يتناسب مع توجهات الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، يسهل توجيهه وتحويله صوب المزيد من الديمقراطية والحداثة والناقل مع النظام العالمي الجديد.

وباختصار يريدون إسلام كامل مثل يمكن اختراجه ونشكيله لكي يتناسب مع «اجتداتهم»^(١).

- ويصرح التقرير بوجود دعم الحداثيين وقسم من العلمانيين الذين يحققون مصالح الولايات المتحدة - دعماً مادياً ومعنوياً ، أي تشكيل طابور خامس في المجتمع، لإفساده دينياً وثقافياً، مع رفع شأن هذا الطابور في الإعلام وتركيبته في التعليم ومناير المجتمع الأخرى.

أما العلمانيون فيطلب التقرير من أصحاب القرار دعم من يتنادي بفصل الدين عن الدولة، ومن يحارب الأصوليين علانية ، أما الوطنيون منهم الذين لا يرضون بالهيمنة الأمريكية فهم لا يؤيدونهم، حتى لا يتحالفوا مع القوى الأخرى، للوقوف ضدهم.

(٧) إظهار الحركات الهدامة والتهم على الفكر الإسلامي الصحيح.

ومن أسلوب الحرب النفسية أيضاً، حرب الإسلام الصحيح بإظهار الحركات الهدامة في الفكر الإسلامي، والتعظيم أو التزييف للفكر الإسلامي الصحيح. ويمكن إيجاز هذا الأسلوب بما يلي:

أ- إظهار الحركات الهدامة وتلمييحها: هذا الأسلوب في محاربة الفكر الإسلامي الصحيح اقتبسه تلامذة المشرين والمستشرقين من أساتذتهم، الذين أكبوا السنين الطوال في بحوثهم ودراساتهم على كل الآراء المناهضة للإسلام، والحركات المخربة والبدع الهدامة ثم خرجوا بنتيجة : أن الحركة المخربة: هي ثورة جماعية مظلومة، طُفح بها كيل الشقاء، وإن البدعة الهدامة فلسفة، وتمكيد سليم، والرأي المناهض حرية فكر.

(١) انظر : سليمان البطحي (مرجع سابق).

وبين أيدينا كتاباتهم، وكلها مديح واستحسان للمذاهب الضالعة، التي أنزلت بالإسلام أبلغ الضرر، في عصره الأول، كحركة الفرامطة، والباطنية، والخرمية، والبابكية وغيرها..

وهم يرددون شعارات براقية، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب مثل: « التحليل العلمي » و« إعادة كتابة التاريخ » و« الدراسة الموضوعية المنهجية » فجعلوا باسم « التحليل العلمي » الحركات الشعبية الحاقدة على هذه الأمة، منارات هدى في تاريخنا^(١).

و« أخرجوا للفرامطة معتمدين على كتب عرف مؤلفوها بشعوبيتهم، وبعنائهم لأمتنا والإسلام معاً، ككتاب ناصر خسرو الفارسي « سفرنامه » علماً أن المؤلف كان رحالة وليس مؤرخاً: فإذا النتيجة التي خرجوا بها تفاجتتنا لنقرر أن : « الفرامطة أول جمهورية اشتراكية في وطننا العربي قامت كرد فعل ضد الدولة العباسية الإقطاعية الرأسمالية اليمينية»^(٢).

ومثل هذا الكلام يردده الآن كل أعداء الإسلام في بلادنا الإسلامية.. ومن الغريب أن هؤلاء حولوا الكذابين والأفقيين ومدعى النبوة والإباحيين إلى أبطال تمجرو، وفواد ثورقة.. إلخ ومن هؤلاء مثلاً « الأسود العنسي »^(٣) المشهور ب : «كتاب اليمن » حولوه إلى بطل من أبطال الأساطير في اليمن برغم أنه كذاب

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية - ص ٥ - دار الفكر - دمشق ط ٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأسود العنسي : هو صهولة بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان، ابن عنزة العنسي لقب بسدي الخمار، كان كاهنا مشعوذاً يقيم بجانب اليمن.. نبأ وادعى النبوة وأطلق على نفسه « رحمان اليمن » وقتله وذبحه وزوجه الذين أسلموا وشهدوا بكذبه . واستأصلت فنته بعهد الصليبي رضي الله عنه.

أحمق، زعم النبوة، وقام بفتن واضطرابات كثيرة وقد قضى عليه المسلمون وعلى أتباعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١).

وكذلك الدعوة إلى القاديانية في الفارة الهندية، التي أيدها الإنجليز بل صنعوها على أعيينهم.. لتكون خنجراً مسموماً في جسم الأمة الإسلامية قال الدكتور (رحمة الله): «إن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد ﷺ»^(٢) أسسها الميرزا غلام أحمد عام ١٨٧٦م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة البنجاب بالهند.. وهو من بيت اشتهر بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة^(٣) وقد انتشرت هذه الدعوة المتحرفة المارفة في العالم أجمع بتأثير الإنجليز. ففي البلاد العربية مثلاً أسس القاديانيون مكتباً لهم في فلسطين على جبل الكرمل في حيفا، وذلك قبل اغتصاب فلسطين من قبل اليهود وكانت لهم علاقات حسنة مع اليهود بعد الاحتلال، مع العلم أنهم يقيمون في فلسطين المحتلة على الجواز البريطاني^(٤) ودعوتهم نشطة إذ عندهم دار للتبشير ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدرون مجلة شهرية اسمها «البشرى».

ومن المهم أن نذكر أن «دعاة القاديانية عندما يشرعون في بث دعوتها وفكرتها في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا بمظهر دعاة الإسلام، ولا يطلقون على مهمتهم إلا كلمات البعث والتجديد، لإيقاع المسلمين السذج في عصبيتهم»^(٥).

(١) ارجع إلى مجلة «الإرشاد» البغية العدد «الثامن والتاسع» ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩م مقال بعنوان «كذاب حولوه إلى بطل.. كذاب اليمن الأسود العنسي».

(٢) المرودي - ماهي القاديانية - ص ٥٥ دار القلم - الكويت ١٣٨٨ / ١٩٦٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٩.

(٤) المرودي - ماهي القاديانية ص ٦٤.

(٥) المرجع نفسه ص ٦٧.

والقاديانية نشطة أيضاً في أوروبا وإفريقية، وخاصة في إفريقية، وذلك للوقوف في وجه البعث الإسلامي هناك، وخاصة في نيجيريا، حيث يشكل المسلمون كثافة سكانية كبيرة، وأن عدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم أنفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزاً^(١).

ب - حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف ومشوه : وهذا وجه آخر من وجوه حرب الإسلام ، وقد رفع الستار عنه أعداء الإسلام حديثاً، بعد أن شعروا أنهم أمام موج طافح من البعث الإسلامي، إذا لا بد لهم من أن يركبوا الموجه، بوساطة صنائعهم، ويدعون للإسلام، ولكن أي إسلام؟ إسلام مزيف.. مشوه بعيد كل البعد عن الإسلام الحقيقي .. ولتسمه « إسلام إنجليزي » أو « إسلام أمريكي »، إن جاز التعبير، لأنه فعلاً يعبر عن أهوائهم وأطماعهم في ضرب الإسلام الصحيح^(٢).

(١) المرجع نفسه ص ٦٤.

(٢) ومن نوع هذا الإسلام الذين يدعون إليه: إسلام القذافي مثلاً - صاحب « النظرية الثالثة » - كما يسميها في كتابه « الكتاب الأخضر » الذي ملأه شعارات فارغة لا مضمون لها، ولست هنا في مجال عرض هذا الكتاب وما فيه من غرصات... ولكن المهم أن نعرف أن « القذافي » جاهر بإلغاء السنة، وكانت أول محاولة لإلغاء السنة وعدم الاعتراف بها في مؤتمر الشعب العام عام ١٩٧٧م عندما قرر أن القرآن فقط شريعة المجتمع، ثم كان بعد ذلك المجاهرة بإنكار السنة حيث ألقى القذافي كلمته بمناسبة المولد النبوي في سنة ١٩٧٨م في مسجد « مولاي محمد » بطرابلس وقد ذكر يومها أن من بقايا الوثنية التي بقيت في النفوس قولنا « لا إله إلا الله ».

المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام .

- (١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.
- (٢) مدد الله للمؤمن بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.
- (٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن:
- (أ) المدعاية.

١- الشعارات والهناقات والرجز.

٢- المدعاية بالأعمال الرمزية.

(ب) إشاعة الفرقة بين الأعداء .

(ج) الشائعات.

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية - وطرقها.

١- الإيمان الصادق بالله .

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.

٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.

٤- التصدي للفتوى المضادة المستترة.

٥- مواجهة الشائعات والمدعايات بالحقائق.

المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

بعد أن بينا الحرب النفسية وأسلحتها، والأسس التي تقوم عليها في التصور الغربي والماركسي، وكذلك الحرب النفسية التي شنت من قبل الغرب والشرق على الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر.. ووزنا كل ذلك بميزان الإسلام العظيم..

بعد كل ذلك لابد من أن نبين مبادئ هذه الحرب في التصور الإسلامي والأسس التي قامت عليها، والوقاية منها، ومقاومتها إذا صدرت من الأعداء وتطبيقاتها العملية في الحروب الإسلامية الماضية، التي قصرنا كثيراً تجاهها في الوقت الحاضر، ولعل في عرضنا لهذه المبادئ، ما يكون حافزاً لبناء تصور كامل للحرب بنوعها المادية والنفسية..

ومن ثم تطبيقها كما طيفها أجدادنا، وخاصة وأن هذه المبادئ مستوحاة من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله العظيم محمد ﷺ .

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام: تقوم الحرب النفسية في الإسلام على ثلاثة أسس مهمة هي:

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

(٢) مدد الله للمؤمنين تفوق الرعب في قلوب أعدائهم.

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن.

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو. قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٠].

والتعبير القرآني « ما استطعتم من قوة » يتضمن القوى البشرية والمادية والأسلحة بجميع أشكالها وأنواعها ولا يخفى ما لاستعراض القوة من إرهاب للآخرين.. وتعبير « رباط الخيل » يشير إلى أن المراقبة الدائمة والتأهب للاقتاء الأعداء في كل وقت .. من أسباب إرهاب الأعداء.

وتعبير « وآخريين من دونهم » يدل على أن الإرهاب للعدو يتعدى العدو المباشر، إلى أعداء لا يعلمهم المسلمون، وهذه القوة ترهبهم وتردعهم بحيث لا يفكرون في التصدي لهم.

« وإعداد القوة أمر لا بد منه للإسلام لكي ينطلق في « الأرض » لتحرير الإنسان .. وأول ما تصنعه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها..

« والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على « دار الإسلام » التي تحمها تلك القوة»^(١).

ومصادر القوة في الإسلام كما توجيها هذه الآية الكريمة هي:

أ- القوى البشرية المدربة على السلاح، وكيفما كان، وعلى جميع أنواعه.

والإسلام حرص على تقوية الجسم والتدريب على السلاح منذ الصغر، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: « علموا أبناءكم السباحة والرماية والرمي والمزلق»^(٢).

(١) ارجع إلى « الظلال » مجلد ٣/ ص ١٥٤٣ (تفسير سورة الأنتال).

(٢) رواه البيهقي (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للسخاوي حرف العين).

والمرامية فن وتدريب ، واهتمام الإسلام بها في تربية الأبناء ، دليل على أن أمة الإسلام أمة مجاهدة لا تعرف الخضوع والذل.. وقد خص الرسول ﷺ القوة في الرمي فقط بقوله ﷺ وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»^(١).

والرمي هو رمي السهام على الأعداء في عهد رسول الله ﷺ .. واليوم الرمي هو أكبر قوة رادعة في العالم، بل هو الذي يتحكم بنتائج المعارك الحربية. ويبدأ من رمي الميندقية العادية إلى رمي الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية، وإن الخوف من بطشها الشديد بين المعسكرات القوية اليوم هو الذي يمنع قيام الحروب، وتؤدي دوراً مهماً في الحروب النفسية في الوقت الحاضر.

ب - ومصدر آخر للقوة هو قوة السلاح .. لذا نجد بعض المفسرين ينقل قول سعيد بن المسيب رحمه الله: « القوة : القوس إلى السهم فما دونه»^(٢).

وهذا يشمل في الوقت الحاضر: الطائرات والقنابل والصواريخ بأنواعها وقال بعضهم: « القوة الحصون » وهي تشمل في الوقت الحاضر الدبابات والمدفعات بأنواعها البرية والمائية.. بل وحتى الصواريخ المضادة لصواريخ الأعداء، بحيث تبطل مفعولها، مادام مفهوم الحصن هو المانع للأعداء من تحقيق النصر.

ج - التأهب الدائم والمراقبة^(٣): والتأهب الدائم من العناصر التي تقنع العدو بحيث لا يستطيع مباغته المسلمين، والمعروف أن تعرض الجيش للمباغته بضعف من قدرته وكفاءته القتالية. من أجل ذلك عُني الإسلام بعناية بالغة بالحذر واليقظة والتأهب وجعلها من العناصر التي لا تفصل من القوة، فلو تأملنا الآية الكريمة:

(١) رواه مسلم- باب « فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه » ج ١٢ / ٦٤ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) انظر « فتح القدير » تفسير سورة الأتفال.

(٣) ارجع إلى: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية - ص ٢٩ جمال الدين محفوظ.

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ... ﴾ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. » الآية نجد أن الله تعالى خص « رباط الخيل » بالذكر مع أنها داخلة فيما قبلها « من قوة » وهذا دليل على أهمية المرباطة وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا يستغني إحداهما عن الأخر:

- فالقوة: تحميتها المرباطة بالحراسة واليقظة والإنذار المبكر، وهي بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها إذا تمكن العدو من المباغتة.

- والمرباطة: في حاجة إلى القوة التي نساندها وتدعمها، وهكذا تشترك المرباطة مع القوة في تحقيق الهدف وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو « من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم... » الآية.

وقد حدث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكونوا على أقصى درجات التأهب، وهو ما يفهم من قوله ﷺ: « من خير معاش الناس لهم رجل عمسك بعنان فرسه في سبيل الله، يطير على منته، كلما سمع ضيعة - أو فرعة - طار يتبغى القتل أو الموت مظانه... الحديث »^(١).

وقد قدم الرسول ﷺ بنفسه مثلاً على درجة التأهب العالية حينما سبق أهل المدينة جميعاً ذات ليلة إلى مصدر صوت قوى غير عادي أفرعهم، فانطلق بعضهم

(١) رواه مسلم في « الإمامة » باب: فضل الجهاد والرباط تمة الحديث: « (أو رجل في غنمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن راد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتبه البقيين ليس من الناس إلا في خير) » ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٣٤، ٣٥.

هيئة: الصوت عند حضور العدو.

مظانه: يطلبه في مواظبة التي يُرجى فيها الشدة رغبة في الشهادة.

الفرعة: النهوض إلى العدو. (انظر الشرح في صحيح مسلم بشرح النووي ص ٣٥ ج ١٣).

نحو الصوت، فإذا هم برسول الله ﷺ عائد من هناك راكباً فرسه عارياً والسيف على عنقه وهو يقول: لم تراعوا، إنه لبحر» أي سربيع الجري^(١).

د- العفيدة الصادقة : الإيمان بالله، قوة عظيمة، تزود المؤمن المجاهد في سبيل الله، ثباتاً في المعارك، وشجاعة في القتال، لأن المؤمن يعلم أن الأجل بيد الله فهو لا يخاف على الحياة، وإن استشهد فهو حي عند الله تعالى.. وهذه القوة يربها العدو، ويمسب لها ألف حساب بعد أن خبر المؤمنين في قتالهم، لذلك فهي قوة رادعة أيضاً، تضاف إلى قوة الجسم وقوة السلاح..

ويشهد التاريخ أن الفتوحات الإسلامية، والانتصارات على الشرك والكفر لم يكن بعدد وعدة بقدر ما كان بالإيمان الراسخ المثين .. وكثيراً ما جابه المسلمون عدداً يفوق عددهم بعشرات الأمثال، وعدة تفوق عددهم.. ومع ذلك انتصروا بإذن الله. وذلك بإيمانهم وتضحياتهم.. والشواهد على ذلك كثيرة في كتب السنن والتاريخ.

هـ - الوحدة وعدم التفرق: قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَّمُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِعَاكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١١٠﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَيْثُ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ يَتَرْنَ مَرْضُوصًا ﴾ ﴿١١١﴾.

في الآية الأولى نهى الله عز وجل المسلمون عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب، وذهاب القوة والنصر^(٢).

(١) رواه البخاري في باب السرعة والركض في الفزع (رقم ٢٩٦٩ - فتح الباري) وكذلك باب مباغرة الإمام عند الفزع رقم ٢٩٦٨ وفي أبواب أخرى.

(٢) انظر تفسير الآية في «فتح القدير».

والآية الثانية فيها « إخبار من الله تعالى بمحبه عباده المؤمنين إذا صفوا
مواجهين لأعداء الله في حومة الوعى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون
كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالمى على سائر الأديان»^(١).
« كأنهم ببيان مرصوص» مثبت لا يزول ملصق بعضه بعضاً»^(٢).

وهكذا فإن الوحدة بين المسلمين، وخاصة في جو المعركة مع الأعداء، قوة
عظيمة وذهاب هذه الوحدة معناه الفشل وعدم النصر.

و- الجهاد بالنفس والمال: الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر، وهذا يكون على
أرض المعركة.

أما الجهاد بالمال فهو من مقتضيات إعداد العدة لإرهاب العدو، وما لاشك فيه
أن المال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال. لذلك ربط
الإسلام بين الاستراتيجية والحسرية والاقتصاد برياط وثيق، وهذا الرباط واضح
في الآية ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِمْ ... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴾^(٣) ﴿ البقرة: ١٧٧ » .

كما يتضح أيضاً فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الإسلامية،
بل إن الجهاد بالمال ورد مقدماً على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات التي نحث على
الجهاد: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(٤) ﴿ البقرة: ١٩٧ » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تَحْرِيقِ تُحَجِّمِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿١٠٠﴾
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴿ البقرة: ١٩٨ »^(٥).

(١) انظر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الصف.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) وكذلك انظر الآيات: ١٦٦، ٤١، ٨٨ من سورة التوبة و ١٥ من سورة الحجرات، و ٩٥ من سورة
النساء.

وقال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستتكم»^(١). وهكذا يحقق الجهاد بالمال الرهبة في قلوب الأعداء من قوة المسلمين، فإذا رأى العدو أنه سيواجه من المسلمين قوة عسكرية مؤمنة وقوة اقتصادية لا تنفذ صوف لا يستهين بالمسلمين، ولا يعلن أماله في التغلب عليهم^(٢).

(٢) مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]. وقال تعالى: ﴿ فَأَتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ حَتَّيْبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَخَبَرُوا بِيَوْمِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿ سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣]. ﴿ سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوَقَى الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلُّ بَنَانٍ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤]. في هذه الآيات الكريمة نبيان لنصر الله للمؤمنين على أعدائهم وذلك بقذف الرعب وهو الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وهو وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وهذا الوعد كفيلاً بنهاية المعركة لصالح المسلمين وضمان لهزيمة أعدائه ونصر أوليائه. قال رسول الله ﷺ: «... ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر...»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود رقم ٢٥٠٤ في الجهاد - باب كراهية ترك الغزو . والنسائي ٧/٦ في الجهاد باب وجوب الجهاد (ارجع إلى جامع الأصول ٢/ ٥٦٤) وكذلك (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير) الألباني ج ٣ / ٤ .

(٢) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٢٦.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري ١/ ٣٦٩ باب التيمم. ومسلم رقم ٥٢١ في المساجد (ج ٥ ص ٣ ط دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ) والنسائي (١/ ١٦٠) في الغسل (ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩) نشر دمشق - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - ١٣٩٢هـ والحديث في البخاري: «عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: أعطيت حساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني أركبها من رجل من أمي أركبه الصلاة فليصل وأحلت لي النساء ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة».

والرعب هو الفرع والخوف الذي أوقعه الله في قلوب أعداء النبي ﷺ وأعداء الله، وبينهم مسيرة شهر، لذا لا يقدمون على لفتائه^(١) وهذه خاصية للرسول ﷺ أعطها الله للرسول ﷺ لم يعطها لأحد قبله، وهي حاصلة لأمته من بعده بإذن الله..

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن : تستخدم الحرب النفسي في الإسلام أسلحة الحروب النفسية التي تستخدمها الدول الأخرى من دعاية وشائعة وإرهاب بأساليب مختلفة نذكر منها:

١- الدعاية: وهي من أهم أسلحة الحرب النفسية ، ولقد عرفت الحرب النفسية ذاتها بأنها الاستخدام المخطط للدعاية بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب الدول المعادية لتحطيم روحها المعنوية وإزادتها القتالية..^(٢)

والجهاد باللسان حَصَرَ عليه الإسلام وأمر به، وقرنه بجهاد النفس والمال قال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والستكم»^(٣).

ومن أشكال جهاد اللسان «هجوم المشركين» بالشعر الذي كان من أهم وسائل الإعلام في عهد رسول الله ﷺ ، وعند العرب في الجاهلية وكان وقع الهجوم في نفوس المشركين كبيراً: «عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: أهجو قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل»^(٤).

(١) ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩ وما بعدها - ط دمشق -

(٢) ارجع إلى تعريفات الحرب النفسية في الباب الأول من هذا البحث.

(٣) (مسند أحمد، أبو داره، النسائي ، ابن حبان، إتحاف) عن أنس رضي الله عنه صحيح (صحيح الجامع الصغير ج ٣ - ٤) الألباني.

(٤) روى مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

والرسول ﷺ كان يحض حسان بن ثابت رضي الله عنه على هجاء المشركين. عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: أهجمهم - أو قال هاجهم - وجبريل معك»^(١).

كل هذه الأحاديث تبين أهمية الجهاد باللسان ، وشدة تأثيره على الأعداء ، حتى إن أهمية الكلمة الموجهة على الأعداء أشد من وقع النبيل..
ومن أشكال أو صور الدعاية في الإسلام ما يلي:

١- الشعارات والمطامير والثرجز: اتخذ المسلمون الشعارات والمطامير لتحفيق عدة أهداف كالتمعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام، وإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم، مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه في الوقت نفسه، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة: «أحد ، أحد» في غزوة بدر و«أمت، أمت»^(٢) في غزوة أحد، ومنها أيضاً «يا خيلُ الله اركبي» و«يا صباحاه»^(٣).. في غزوة ذي قرد ، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم «الله أكبر».

وقدوة المسلمين في التكبير هو الرسول القائد ﷺ عندما كبر قبل فتح خيبر وأنزل الملع والخوف في اليهود.

عن أنس رضي الله عنه قال: «صبح النبي ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم، فلما أراه قالوا: محمد والحميس، محمد والحميس، فلجأوا إلى

(١) رواء البخاري في مواضع متعلقة: كتاب الأدب - باب هجاء المشركين رقم ٦٦٥٢ وكذلك في كتاب المغازي وكتاب بدء الخلق.

(٢) أبو داود رقم (٢٥٩٦) في الجهاد. وأحمد في مسنده ٤٦/٤ (ارجع إلى جامع الأصول ٢/٥٧٣) - وكذلك انظر «النظرية الإسلامية في الحرب النفسية» ص ٢٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي «باب غزوة ذي قرد ج ١٢ ص ١٧٢». (وذي قرد: ماء على بعد يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان). وانظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٢٣.

الحصن، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١).

والرّجز يستخدم في المعارك أو قبلها لتفوية الروح المعنوية للمقاتلين وزيادة حماسهم، واندفاعهم أثناء القتال.. وما ورد في الرّجز.. أن رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا إن الألى فد أبو علينا
ويرفع بها صوته^(٢).

ومنها ما ارتجزه سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - عندما استأذن رسول الله ﷺ والمسلمون قافلون من خيبر بعد فتحها..^(٣).

وكذلك أثناء حفر الخندق روي عن النبي ﷺ أنه ارتجز:
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاعفر للأتصار والمهاجرة

وكذلك كان الأصحاب - رضي الله عنهم - يقولون:
نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً^(٤)

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري رقم ٢٩٩٦ ج ٦ ص ١٣٤) باب التكبير عند الحرب.. قال الشارح: قوله (باب التكبير عند الحرب) أي جوازه أو مشروعيته. (المساعي): آله الزرع، (محمد والخميس): أي محمد والجيش.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٧١ (كتاب الجهاد والسير - غزوة الأحزاب) وكذلك البخاري (انظر فتح الباري رقم ٣٠٣٤).

(٣) المرجع السابق (نفس الكتاب - غزوة خيبر) ص ١٧٠.

(٤) المرجع نفسه (كتاب الجهاد، غزوة ذي قرد).

وأيضاً ما روي عن ابن الأكوع - رضي الله عنه - أنه عندما سمع أن غطفان أخذت لفاح رسول الله ﷺ قال: « فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذني فرد وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم ببلي وكنت رامياً وأقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فارتجز حتى استقدت اللقاح منهم...»^(١).

٢- الدعابة بالأعمال الرمزية: قلنا سابقاً^(*) إن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وبيننا نجاح الدعابة الغربية في هذا المجال.. ولو رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي لوجدنا أن هذا النوع من الدعابة قد استخدم بغرض إرهاب العدو وتخويله.. ومن ثم الانتصار عليه.. وهزيمته بلا قتال..

وكمثال على هذا النوع من الدعابة.. ما جرى قبل فتح مكة من تخطيط وضعه رسول الله ﷺ .. وفعلاً نجحت الخطة .. وفتحت مكة بلا قتال والحادثة التاريخية الأتية تبين نوعين من الأعمال الرمزية لإرهاب مشركي مكة نذكرها بعد إيراد الحديث: الذي رواه البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه قال: « لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريباً، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ويثيث بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسبرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ فكأنها نيران عرفة. فقال يثيث بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان:

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ (غزوة ذي قرد) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: (أنا ابن الأكوع) « وفيه جواز قول مثل هذا الكلام في القتال وتعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعاً ليرعب خصمه. (ذي قرد) هو ماء على بعد يوم من المدينة (بوسائل مواصلاتهم المستخفة في ذلك الحين).

(*) في الفصل الثاني (الدعابة الغربية).

عمرو أقل من ذلك. فرأهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطيم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة عنى أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار، قال: مالي ولغفاري، ثم مرت جُهينة، قال: مثل ذلك الحديث^(١) حتى مرت جميع القبائل».

في هذا الحديث عملان من الأعمال الرمزية لإرهاب العدو وتخويفه وهما:
الأول: إيفاد النيران الكثيرة وفي رواية ابن سعد « أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار^(٢) ».

وكذلك عن « ابن إسحاق » « أن المسلمين أوقدوا تلك الليلة عشرة آلاف نار^(٣) ورؤية هذه النيران الكثيفة دلالة على ضخامة الجيش، ولا يخفى ما في ذلك من تخويف وإرهاب للنفوس.

الثاني: قول الرسول ﷺ للعباس: « احبس أبا سفيان عند حطيم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين... ».

وفي رواية موسى بن عتبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فأحبسه حتى تُريه جنود الله، ففعل فقال: أبو سفيان: اغدرا يا بني هاشم؟ قال: العباس: لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتتظر جنود الله للمشركين

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري) رقم ٢٢٨٠ ج ٨ ص ٥ (للحديث بقية). (مر الظهران) : مكان قرب مكة. « سيران عرفة » إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيفاد النيران الكثيرة ليلة عرفة. (انظر فتح الباري شرح الحديث).

(٢) المرجع السابق: شرح الحديث (وعظم الجبل: أنف الجبل. وهو شيء يخرج منه بريق به الطريق).

(٣) المرجع السابق.

وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالضيقة دون الأراك حتى أصبحوا» وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: لتظهر كل قبيلة ما معها من الأداة والعدة وقدم النبي ﷺ الكتاب...»^(١).

وفي رواية ابن إسحاق: « حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبه الخضراء فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، لا يُرى منها إلا الخلق من الحديد فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة قال: نعم إذن قال: قلت: النجاء^(٢) إلى فومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به...»^(٣).

واختيار الرسول ﷺ لضيق الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان يدل على براعة وإحكام في تدبير أمر التخويق، فمرور الجيش في مضيق، يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش عن كثب وهي تمر عليه، ولو كان اختار موضعاً في الصحراء المكشوفة لتفرق الجيش فيها، ولما وقع التأثير المعنوي المطلوب.

(ب) العمل على الفارقة بين الأعداء: ووسيلة المسلمين في ذلك كان الاتصال الشخصي، لعدم توافر وسائل الإعلام الموجودة اليوم.. وغاية المسلمين من العمل على الفارقة بين الأعداء، التخذيل بينهم حتى لا يكونوا وحدة على المسلمين، ومن ثم إضعافهم وفشلهم..

(١) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل... وهو شيء يخرج منه يضيء به الطريق).

(٢) النجاء إلى فومك: أسرع على فومك.

(٣) البيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢.

وقصة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب مشهورة، روتها كتب السيرة.. إذا استطاع نعيم أن يفرق بين قريش وبني قريظة، بعد أن قال له رسول الله ﷺ وقد جاءه مسلماً، ولم يعلم قومه بإسلامه « إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة»^(١).

وقام نعيم بن مسعود بالمهمة خير قيام بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الواقعة بين المتحالفين (قريش ويهود بني قريظة) وفي إزالة الثقة فيما بينهم.

(ج) الشائعات: وهي من أسلحة الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون: وهي من أفكك الأسلحة لما لها من خاصية سرعة الانتشار ، وخاصة إذا تحولت الشائعة إلى أسطورة دائمة.. في أذهان الناس لا تموت على مر الزمان.. واستخدام الشائعة - الأسطورة - إن جاز لنا التعبير يحتاج إلى حنكة ودهاء لبث الرعب في قلوب الأعداء .

ويذكر لنا التاريخ أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه استخدم الشائعة في حربه النفسية مع الروم قبيل وقعة اليرموك إذ « إن ماهان - قائد الروم - طلب خالداً ليرز إليه فيما بين الصفرين، فيجتمعان في مصلحة لهم فقال ماهان: « إنا فد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهلموا إلي أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم يمثليها » فقال خالد: « إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجننا لذلك فقال أصحاب ماهان: « هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب»^(٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦٦١ - مكتبة المعارف - بيروت ط ١٩٧٨ وكذلك السيرة

التبوية لابن هشام ج ٣ / ٢٤٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٧ ص ٦٠).

وكلمات خالد فعلت فعلها، في زرع الخوف في صميم قلوب الأعداء لذلك صدق أصحاب ماهان ما قاله.. وكان بعد ذلك الانتصار العظيم للمسلمين على الروم في الشام وقد كان عدد الروم يومها يفوق عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة.

هذه بعض أسلحة الحرب النفسية في الإسلام، وقبل ختام هذه الفقرة قد يحظر ببال البعض، أن أسلحة الحرب النفسية هذه، من دعاية وشائعة والتي تستخدم من قبل أعداء الإسلام بصورها السلية، المينة على الكذب والخداع في جميع المجالات .. وفي كل الأوقات.. في وقت السلم وفي وقت الحرب، فكيف يسبغ للمسلم الكذب والخداع، وهل يشرع له الكذب والخداع؟ وفي أي مجال؟ ..

وحتى تتضح الصورة في ذهن الإنسان المسلم، لا بد من إيضاح هذا الأمر..

إن الإسلام دين صدق وعدل في معاملته، حتى مع أعدائه، فهو لا يحب الظلم، والكذب .. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ مُبْتَذَلِينَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ءَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٠٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٠٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة النساء: ١١٠] .

والإسلام يريد للبشرية أن ترتفع، ويريد للبشرية أن تعف، فلا يبيح الكذب والظلم في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للمغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة .. وليس مسلماً من يتوغل الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحسانية الإسلامية لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات من أجل ذلك نهى الله عن الكذب والظلم وأتذر الكاذبين بعذاب أليم: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة النساء: ١١١] .

وقال ﷺ حاضماً على الصدق، ناهياً عن الكذب، مبيناً عاقبة كل منهما: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

وكذلك فإن الإسلام لا يتجذع ولا يغش وخاصة مع الأمم التي بينه وبينها ميثاق فهو لا يصافح باليد اليمنى، والخنجر المسموم في اليد اليسرى، كما هو سبيل الدعاية الغربية والشيوعية، وهو لا يبيت الآخرين بالمهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون .. فإذا نبذت المواثيق، وأعلنت الحرب، في هذا الوقت بالذات؛ الحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حنره، فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به إنما هو غافل، وكل وسائل الخدعة حيثئذ مباحة لأنها ليست غادرة^(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ « الحرب خدعة»^(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: « وانفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز»^(٤).

وهذه المخادعة يمكن أن تتم بأسلوب التخذيل والتصرف بين أعداء الإسلام، كمثل الذي تم قبيل غزوة الأحزاب بواسطة نعيم بن سعود - رضي الله عنه - الذي عمل على إثارة الفرقة بين مشركي مكة وبين قريظة من يهود المدينة، وقد ثبت في الصحيح أنه يجوز الكذب والاحتيال في الحرب.

(١) متفق عليه (باب تبيح الكذب وحسن الصدق وفضله) واللفظ لمسلم (ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٦٥٩).

(٢) انظر « في ظلال القرآن » تفسير سورة الأنفال.

(٣) أخرجه الجماعة إلا المرطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٤) صحيح مسلم (باب جواز الخداع في الحرب) (ج ١٢ ص ٤٥) (بشرح النووي).

قال ﷺ : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً^(١) » وزاد مسلم في رواية « قالت أم كلثوم ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها^(٢) ».

لأننا: مقاومة الحرب النفسية المعادية: ذكرنا آنفاً^(٣) عند بحثنا للشائعة - باعتبارها سلاحاً من أسلحة الحرب النفسية طرق مقاومتها في المجتمع الإسلامي وخاصة خلال الأزمات التي يتعرض لها المجتمع في الحروب وغيرها..

وكذلك في بحثنا لعلم النفس العسكري^(٤) بيننا قيمة الروح المعنوية للمقاتلين والتي هي من أولى دعائم النصر في المعركة، وأن الحرب النفسية تستهدف تحطيم هذه الروح، لذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية وتقوية إرادة القتال لدى رجالها ومقاومة الحرب النفسية التي تشن من قبل الأعداء، وإزالة آثارها إن استجاب لها بعض الأفراد واستعادة الروح المعنوية العالية. ومن أهم طرق مقاومة الحرب النفسية في التصور الإسلامي ما يلي^(٥):

١- الإيمان الصادق بالله: فالمؤمن لا يخاف ولا يرهب، لذا هو لا يستجيب للدعاية التي تؤود إرهابه وإرغابه: ولا يخاف إلا من الله عز وجل وحده.

(١) أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٢) صحيح مسلم (باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه) ج ١٦ ص ١٥٧. وأم كلثوم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي سارن النبي ﷺ وهي زوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٣) الفصل الثالث - أسلحة الحرب النفسية - الشائعات.

(٤) الفصل الأول - علم النفس الاجتماعي - فقرة علم النفس العسكري.

(٥) ارجع إلى النظرية الإسلامية في الحرب النفسية (ص ٣٨ - ٥٨) اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ - دار الاعتصام - القاهرة. فقد استندت منه كثيراً في هذه الفقرة، جزاء الله خيراً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ وقال تعالى واصفاً المؤمنين المجاهدين: ﴿ تَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُوا لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

- أما المنافقون الجبناء فقد قال فيهم تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْطِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كُفْمَ بِالْأَيْسَةِ حِدَادٍ ﴾ ﴿١١٠﴾ .

- وأما المؤمنون فلا يزيدهم التهديد إلا إيماناً: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

- وإذا كان من أهم أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمستصر، ومن محاولة جعل النصر حاسماً بالدعوة إلى الاستسلام وبث الشائعات والأراجيف وإشاعة اليأس والقنوط.

- فإن المؤمن لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود: قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَيْفَ يُؤَخِّرُهُ ﴾ ﴿١٠٢﴾ وقال تعالى: ﴿ أَيُّنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ ﴿١٠٥﴾ .

- إن المؤمن يعتقد بأن الأجل بيد الله سبحانه وتعالى، وما أصدق قول خالد ابن الوليد - رضي الله عنه - عندما حضرته الوفاة: « لقد حضرت كذا وكذا وحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء»^(١).

- والمؤمن لا يخاف الفقر، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿ وَمَا مِنْ ذَاتِ يَدٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ والمؤمن لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصر المسلمون أيام الرسول القائد ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي بعدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام. قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كُفْرًا كَثِيرًا يُبَادِنَ اللَّهُ وَأَلَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

- والمؤمن لا يقر بانتصار أحد عليه مادام في حماية عقيدته، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصا العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

- وكذلك المؤمن لا يياس أبداً.. لأن النصر له في النهاية بإذن الله وأن اليأس شيمة الكفار. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ . وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ﴿١١٠﴾ وأن المؤمن يشعر دائماً أنه الأعلى في عقيدته وأن أعداءه ما هم إلا كفرة فجرة، فكيف يخضع لهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ هذا الشعور يرفع من روح المؤمن المعنوية ولهذا فهو لا يستسلم.. وقال تعالى: ﴿ وَبِذَلِكَ الْآيَةَ وَالرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلِيَكُنَّ الْمُتَضَفِّعِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ . وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ لَكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آيَةَ اللَّهِ لَجَمِيعاً ﴾ ﴿١١٣﴾ .

- والمؤمن يقاوم الغزو الفكري والحضاري ومحاولات التنصير والترفيف التاريخي من قبل المستشرقين .. ويعتقد أن ما في دينه من حضارة وفكر يغنيه عن

استيراد العقائد المشبوهة: ﴿ قُلْ يَا كَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبِّحِنِ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سورة: ١٠٠].

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية: إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر المقاومة هذه الحرب، لذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندي بأن يكون واعياً ومدركاً وعارفاً بما يلي، حتى لا يندعه أو يضلله:

- ماذا يدبر العدو ضد أمته؟

- ما هو هدف دعايته؟

- ماذا يريد العدو منك أن تفعله؟

- ما هو أسلوب الحرب النفسية للعدو وما هي طبيعة دعايته؟

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان مسلماً بالإضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة.

وقد عني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمتهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثييط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن والمسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبينه باختصار فيما يلي:

أ- فضح محاولات التفرقة ومقاومتها: قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا إِلَيْكُم بِرُدُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١٥٨ ص ١٠٠) ثم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٥٩ ص ١٠٠).

ثم قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ... وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦٠) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٦١ ص ١٠١-١٠٢).

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء مع نبيان هؤلاء الأعداء: ﴿هُرِّمُوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاتُوا بِالْإِيمَانِ وَرَبَّهُمْ قَاتِلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (١٦٢ ص ١٠١).

ويقصد بهم المنافقون في هذه الآية.. وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الْبَاطِلِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (١٦٣ ص ١٠١).

ب- كشف محاولات التخذيل وتثييط العزائم: يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخذيل وتثييط العزائم وإضعاف الجسم له خطورته إذا انشاق في نياره أبناء الأمة، ويوضح أنه كلما لقبث دعواتهم آذاناً صافية فإنهم يفرحون بذلك ويسهبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين - عندما أمر الرسول عليه السلام بالإعداد لغزوة تبوك - إلى أن يتخلوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر.. فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبههم بأن جهنم أشد حراً وتطلب من الرسول ألا يستعين بهم في

غزوة أخرى: قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْهَرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ تَارَ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٠١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٢﴾ فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَشْفَاكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَى مَرَّةً فَأَقْعُدُوا مَعَ الْمُخَلَّفِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠١-١٠٣] فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تسييط العزائم، ويحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضاً ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه.

ج- كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويكشف القرآن أيضاً محاولات أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في النصر فأورد مثلاً على ذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن يفتنوا سمومهم في أهل المدينة يشككونهم في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وإضعاف العزائم لبيروا الرسول - في غزوة الخندق - وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير حصنة (وكان الخندق خارج المدينة): قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [النساء: ١٠٤-١٠٦].

٣- كتمان الأسرار ومنع ترويح الشائعات: إن توجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية ولا تعطي غير أهل العلم من الفادة والرقساء حتى الحديث عن أسرار الجيش والأمة، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويذيعونه وينحدون به

قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر ينصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٣٠﴾ ﴿ سورة ١٣٠ -

وكما حذر الإسلام من إذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا بما يصلهم من الأنباء قبل الركون إليها والعمل بها: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلَكِهِمْ فَتُصْحَبُوا عَلٰىٰ مَا فَعَلْتُمْ شَتِيرِينَ ۝١٣١﴾ ﴿ سورة ١٣١ -

وحذر القرآن من تناول ما لم نسيقته أو نعلمه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَ مُسَوِّئٍ ۝١٣٢﴾ ﴿ سورة ١٣٢ -

ولقد نهى الله تعالى أن يكون مصدر العلم الظن ووصف الكافرين باتباع الظن ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۝١٣٣﴾ ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝١٣٤﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۝١٣٥﴾ وأن على المسلم تحري الصدق في القول والعقل.. ومراقبة لسانه جيداً فقد نجر كلمة واحدة عواقب وخيمة: يقول ﷺ: « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»^(١). وعند مسلم: « أبعد مما بين المشرق والمغرب».

ويحذر الإسلام من ترويج الشائعات وإن من أشد أنواع الكذب أن يدعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه: قال ﷺ: « أفرى الفرى، أن يري الرجل عينيه ما لم تريا»^(٢).

(١) متفق عليه - (ارجع إلى فتح الباري رقم (٦٤٧٧) باب حفظ اللسان... ومعنى يتبين: يتفكر انهما خير أم لا.

(٢) رواه البخاري في التعمير (باب من كذب في حمله).

كما يكشف الإسلام مدى الجريمة التي يقترفها مروجو الشائعات كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ﴿١١٠﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ .

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدروا الكلمة قبل أن ينطلق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمانة، وأن الكذب فيها أو قولها تغير ما قبلت له غش وخداع وكذب على الله الذي يكشف الدخائل ويدرك الخفايا: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٢٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٢٦﴾ .

٤- الصدى للقوى المضادة المستعرة: وما تتميز به « الإستراتيجية الإسلامية » في إعداد القوة الراحدة التي ترهب العدو أنها لا تهدف إلى ردع العدو الخارجي الظاهر فقط ، بل تهدف أيضاً إلى ردع اعداء الإسلام من القوى المضادة التي تعمل في الخفاء والتي قد يكون خطرها - إذا غفلت الأمة عنها أو لم تتصد لها - أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِيبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ ﴿١٠٨﴾ .

إن « عدو الله » و« عدو المسلمين » هم المشركون والكافرون واليهود قديماً، أما حديثاً فهم اعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى والشيعيين الملحدين الذين يجاهرون بالعداء ويعلنون الحرب بحجج يعلمها كل مسلم أنها باطلة.

أما الفئة الثالثة: وهي المنعبر عنها بقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ .

فقد فسرها العلماء السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوباً ظاهراً الرحمة وباطنه العذاب.. إن قوله تعالى هذا ينطوي في الوقت الحاضر على كل القوى المضادة التي تعقد على الإسلام، وتنفث سمومها في الخفاء، وتروج الشائعات، وتبث الفتنة، وتغري بالفساد .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط وينحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكري الهدام..

ومن أجل ذلك فقد نبه القرآن المسلمين إلى تلك الفئة من الأعداء الخفيين وأوجب على الأمة الإسلامية إعداد كل وسائل القوة التي تردعهم.

٥- مواجهة الشائعات والدعايات الخبيثة التي تريد النيل من الإسلام ، هذه حقيقة علمية يقرها علماء النفس وخبراء الحرب النفسية.. إن غيبة الحقيقة نولد لدى الإنسان فراغها فكرياً يجعله فريسة سهلة للإشاعات والأخبار المضللة التي يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الصالح الذي يتهاى لهم لتحقيق أعراسهم في تدمير الروح المعنوية.

ولا تغلح وسائل تكذيب الشائعات والأخبار المضللة في إزالة تلك الآثار الهدامة مثلما تغلح الحقيقة التي هي السبيل الأوحى لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض.

ومن الأمثلة التي تساق في هذا المجال ما حدث في عمرة القضاء سنة سبعة للهجرة قبل فتح مكة.. إذ أشاع المشركون أن المسلمين لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وقد وهتهم حمى يثرب، فخرج أهل مكة لينظروا ذلك حتى

النساء والأطفال.. فما كان من الرسول ﷺ وقد بلغته هذه الدعاية وما بالمسلمين من حمى.. إلا وأمر أصحابه الاضطباع^(١) والرميل^(٢) ثلاثاً أثناء الطواف ليرى المشركين قوة المسلمين.

« عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله ﷺ قدم مكة فقال المشركون إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وكانوا يحسدونه قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثاً ويمشوا أربعاً...»^(٣).

وفي رواية أخرى: « وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحصى قد وهنتهم هؤلاء أجلكم من كذا وكذا...»^(٤).

وفي رواية: « فتقول قريش: كأنهم الغزلان»^(٥)

وهكذا كانت الحفيظة الدامغة بما قام به المسلمون من الرمل، أبلغ رد يقضي على ما أشيع عن هزال المسلمين، وكان قول المشركين بعد ذلك هو الدليل على القضاء على الشائعة..

ومثال آخر على مواجهة الشائعات بالحفاظ الدامغة ما حدث في غزوة أحد من إشاعة مقتل النبي ﷺ.. والأثر السيئ الذي تركته هذه الشائعة في المسلمين، ثم رد

(١) الاضطباع: هو أن تدخل الرداء من تحت إبط الأيمن فيبدا سنكك الأيمن وينفضي الأيسر وسمى بذلك: لإبداء الضيعين وهما العضدان ما تحت الإبط.

(٢) الرمي: سرعة المشي والهرولة.

(٣) رواه مسلم - باب استحباب الرمل والطواف والعمره ج ٩ ص ٦٠ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٤) المرجع السابق - الباب نفسه - والحديث رواه أيضاً الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد (ارجع إلى جامع الأصول تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ج ٣/ ١٦٢).

(٥) رواية أبي داود رقم ١٨٨٦ في المناسك باب الرمل.

الرسول القائد ﷺ على إشاعة مقتله أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ويرد إليهم الثقة في أنفسهم.. وقد أتينا على ذكر هذه الحادثة في الفصل الثاني من هذا البحث.. بالإضافة إلى ما ذكرنا من مقاومة الحرب النفسية.. نجد أن الإسلام يوجه أبناءه دائماً إلى الطريق القويم لاستعادة قواهم المعنوية وخاصة بعد الأزمات والضعف النفسية من قبل الأعداء وذلك على الأسس الآتية:

- سرعة الرجوع إلى أصول العقيدة والاعتصام بالكتاب والسنة.

- الاستعانة بالصبر والصلاة.

ومن الأمثلة على النقطة الأولى ما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ فقد استغل المنافقون الموقف على الفور.. وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين لزعزعة إيمانهم وإثارة الفتنة بينهم..

وقول عمر بن الخطاب في المسجد « إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران...»^(١) يظهر هذه البلبلة في الموقف.. لولا أن خرج أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وحسم الموقف بخطبته المشهورة التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « أيها الناس، إنه ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَهِونَ أَنْ يُكْفَرُوا أَوْ قُتِلَ أَوْ قُبِلَ أَنْفَلَنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

وهكذا زایل الغلوب كل شك في أن محمداً قد مات.. ولما كان الغد من ذلك اليوم خطب عمر الناس فقال: « إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلي رسول الله، ولكني قد كنت أرى أن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٣٣٤.

رسول الله سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعنصمتم به هداكم الله لما كان هداه له»^(١).

وعكذا يكون الاعتصام بالكتاب والسنة أقوى أسباب الوقاية من الضلال والاحتراف. وأما النقطة الثانية وهي الاستعانة بالصبر والصلاة لإزالة الضغوط النفسية بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَعْرِفُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْسٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَمَاتِ * وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴿الله ١٥٦-١٥٨﴾ * ﴿لَيَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿إدس ١٥٩﴾

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ النَّسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿الله ١٥٩﴾

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الباب.. فتتصر على حديث واحد متعاً للإطالة : يقول الرسول الكريم ﷺ واصفاً المؤمن: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٣٤١.

(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد).

خاتمة

عرضت في هذا البحث صفحات موجزة عن الحرب النفسية، ماهيتها وتاريخها وأسلحتها الفتاكة، وقد اخترت من هذه الأسلحة أهمها وأشدها أثراً، وهي الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، ثم رأيت الحاجة الماسة في عرض نماذج عملية من الدعايات المعادية ليطلع المسلم على ما يخطط له وما ينفذ سراً وجمهوراً، واخترت من هذه الدعايات أشدها خطراً على الإسلام والمسلمين والمتمثلة بالثالوث العتيق في عداوته، المخادع في معاملته ، وهذه الدعايات هي:

- الدعاية اليهودية.

- الدعاية الشيوعية.

- الدعاية الغربية.

وقد رأينا كيف أن هذا الثالوث الرهيب بنى دعايته، التي هي أمضى سلاح من أسلحة الحرب النفسية على أمس مدروسة ومخططة بشكل دقيق، وعلى مراحل متممة بعضها لبعض، ثم نفذها عملياً وواقعياً في مجتمعاتنا العربية بشكل خاص والإسلامية عامة ، وخاصة ما طبقت منها ضد الحركات الإسلامية المعاصرة، وكيف أنهم حاربوها بكل الأسلحة من دعاية وشائعة وغسيل دماغ.

وقد رأينا كيف أن العدو على علم بطبيعة الحرب النفسية وأساليبها وذلك من خلال التنظيم الدقيق لدعايته الداخلية والخارجية، خصوصاً الدعاية المسمومة الموجهة ضد المسلمين في البلاد العربية خاصة، ويظهر هنا واضحاً في الدعاية اليهودية في فلسطين المحتلة وفي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

إذا عرفنا كل هذا، وعرفنا أن عدونا يقظ دائماً، وهدفه تدميرنا نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فمن النتائج التي تترتب على ذلك ما يلي:

أ- إعادة النظر في إعلامنا ووسائله وأسلوبه وخططه.

ب- دراسة الحرب النفسية دراسة علمية دقيقة.

ج- اهتمام الجامعات بالدراسات العلمية للحرب النفسية، وتخرير الاختصاصيين بها.

د- إنشاء ملاك كامل من الخبرات في الحرب النفسية والإعلام للعمل في وزارة الإعلام.

وحتى نخرج من المجال النظري إلى المجال العملي والتطبيقي للمرد على الحرب النفسية العدو أقترح إنشاء إدارة خاصة في وزارة الإعلام ولها صلة بوزارة الخارجية تسمى « إدارة الحرب النفسية » تُوطد علاقتها بشكل جيد مع :

١- وسائل الإعلام الإسلامية في الداخل والخارج.

٢- السفارات العربية والإسلامية.

٣- المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.

وتتعاون هذه الإدارة مع وزارة التعليم العالي لتأمين ملاكها من الموظفين والمختصين وعلماء النفس والاجتماع وخبراء الإعلام والحرب النفسية .. الذين يقومون عليها.. وقبل أن نبين وظيفة هذه الإدارة لابد أن نشير إلى الأسس والمرتكزات التي بنى عليها الحرب النفسية المضادة التي نطمح أن تشنها هذه الإدارة على الأعداء، وهذه الأسس هي:

(١) العقيدة الإسلامية الصحيحة.

(٢) الشريعة الإسلامية هي نظام الحياة.

(٣) الأخلاق الإسلامية هي أساس المعاملات والعلاقات الإنسانية.

(٤) التخطيط السليم المبني على أسس علمية دقيقة.

وإن النقاط الثلاثة الأولى واضحة في أذهاننا، أما النقطة الرابعة المتممة للنقاط الأولى، مازلتنا لا نراها بوضوح، لذلك تجاهلناها، ولعلنا رأينا من خلال بحثنا للدعاية اليهودية كيف كانت تستند على دراسة وتخطيط في كل مرحلة من مراحلها، ويقوم عليها علماء النفس وخبراء الإعلام ... فمن الغباء مواجهة هذه الدعاية بدعاية ساذجة وارتجالية لا تحوي سوى الصيحات الانفعالية، والخطب الرنانة المتلاعبة بعواطف الناس، فلا بد إذا من التخطيط البناء، للإعلام والدعاية، التخطيط الذي يستند على إيمان يقيني وإسلام صادق وأخلاق قرآنية .. وبهذا الشكل سنؤدي الحرب النفسية المضادة ثمارها بإذن الله.

أما وظيفة هذه الإدارة ، فنذكر منها ما يلي:

- ١- التخطيط للحرب النفسية المضادة قبيل المعارك الفاصلة مع العدو.
- ٢- تقديم حقيقي وعلمي للدعاية الغربية والشبوعية بشكل عام والدعاية اليهودية بشكل خاص.
- ٣- رصد أسلحة الحرب النفسية العدو والرد عليها بالأسلوب الملائم.
- ٤- كشف أساليب الأعداء بالحرب النفسية وتوعية الرأي العام الإسلامي بذلك.
- ٥- إيجاد رأي عام إسلامي واحد تجاه الأحداث الجارية.
- ٦- دراسة دقيقة للرأي العام غير الإسلامي ومعرفة سبل تفكيره ونقاط ضعفه.
- ٧- التعبئة الروحية والفكرية للأفراد والجماعات وذلك بإيقاظ روح الإيمان والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله.
- ٨- تجنيد كل مفكر مخلص وداعية إسلامي في الداخل والخارج والاستفادة من جميع طاقاته لخدمة الإسلام والمسلمين.

٩- تهنيد جميع المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا، لخدمة الإعلام الإسلامي والحرب النفسية المضادة .

هذه بعض الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه الإدارة ، وقد تهمد وظائف أخرى كثيرة لها من خلال العمل الدؤوب والمخلص، والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير المسلمين وعزتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١- كتب التفسير والحديث والسيرة

أ- التفسير:

١- الطبري (محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن دار المعرفة - بيروت
٧٨/١٣٩٨.

٢- الشوكاني (محمد بن علي) فتح القدير دار المعرفة - بيروت (دون تاريخ).

٣- ابن كثير (إسماعيل) تفسير القرآن العظيم دار الفكر - بيروت (دون تاريخ).

٤- قطب (سيد) في ظلال القرآن - دار الشروق - القاهرة ط٤ ٧٧/١٣٩٧.

ب- الحديث:

١- العسقلاني (ابن حجر) فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية .

٢- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر - (دون تاريخ) .

٣- ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول - تحقيق الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - دمشق ١٩٧١/١٣٩١ م.

٤- ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير (١٤٠٣ هـ)، المكتب الإسلامي دمشق.

ج- السيرة:

١- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٨ م.

- ٢- ابن هشام ، السيرة النبوية - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر - (دون تاريخ).
- ٣- أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية ، دار الشروق - جدة ط ١ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٥م.
- ٢- الكتب العربية
- ١- الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير ، مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٧٥م.
- ٢- الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٧٩م.
- ٣- إبراهيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، مكتبة الوحي - القاهرة ١٩٦٤م.
- ٤- أبو الأعلى المودودي، ما هي القاديانية ، دار القلم - الكويت (دون تاريخ).
- ٥- ابن القيم - تحفة المودود بأحكام الملود - تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان - دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧١هـ.
- ٦- أحمد عبد الوهاب - إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، مكتبة وهبة ط ١ ، ١٩٧٢م.
- ٧- الدكتور أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة ١٩٥٣م.
- ٨- أحمد عبد الغفور عطار - محمد بن عبد الوهاب، مكتبة العرفان - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٩- أنور الجندي - مفاهيم العلوم الاجتماعية ، دار الاعتصام - القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

- ١٠- الإسلام في وجه التغريب .
- ١١- الدكتور حامد ربيع - الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٤م.
- ١٢- فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ١٩٧٠م.
- ١٣- الدكتور حامد عيد السلام زهران - علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب ، ط ٤، ١٩٧٧م.
- ١٤- زين العابدين الركابي - محاضرات عام ١٣٩٨هـ في المعهد العالي للدعوة الإسلامية.
- ١٥- سعد جمعة- الله أو الدمار، المختار الإسلامي - القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- ١٦- سعيد حارب - الثقافة والعولمة - الكتاب الجامعي ، العين ٢٠٠٠م.
- ١٧- سيد قطب - معالم في الطريق ، دار الشروق - (دون تاريخ) .
- ١٨- شوقي أبو خليل - عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ، دار الفكر - دمشق ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٩- الإسلام وحركات التحرر العربية ، دار الفكر - دمشق (دون تاريخ).
- ٢٠- الدكتور . جيهان أحمد رشتي - النظم الإذاعة في المجتمعات الاشتراكية، دار الفكر العربي ١٩٧٩م القاهرة.
- ٢١- صلاح نصر - الحرب النفسية (جزءان) دار القاهرة للطباعة والنشر ط ٢ ١٩٦٧م.
- ٢٢- الدكتور صلاح مجمر وعبدو رزق - المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م.

- ٢٣- الدكتور طارق حجي - الشيوعية والأديان ، مطبوعات الاتحاد الدولي للبتوك الإسلامية - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٤- عارف العارف - الفصل في تاريخ القدس ، مكتبة الأندلس في القدس - شوال ١٣٩٠هـ نيسان ١٩٦١م.
- ٢٥- عبد الرحمن الباني - مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - المكتب الإسلامي - دمشق ١٤٠٠هـ.
- ٢٦- عبد الرحمن الميداني - أجنحة المكر الثلاثة ، دار الفلم - دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٢٧- عبد الرحمن النحلوي - المدخل إلى علم النفس، (طبع على الاستنسل) كلية الدراسات الاجتماعية.
- ٢٨- عبد الستار فتح الله سعيد - معركة الوجود بين القرآن والنلمود، دار النصر للطباعة الإسلامية - القاهرة (دون تاريخ).
- ٢٩- د. عبد العزيز القوصي - أسس علم النفس ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م.
- ٣٠- علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، ١٩٦٤م.
- ٣١- أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٩م القاهرة.
- ٣٢- د. عبد الكريم العثمان - الدراسات النفسية عند المسلمين ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- ٣٣- د. عبد الكريم اليافي - تمهيد في علم الاجتماع ، مطبعة الجامعة السورية - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- ٣٤- د. عيد اللطيف حمزة - الإعلام والدعاية - دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٨م.

- ٣٥- د. عبد المنعم الحفني - موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة
مدبولي - القاهرة - ١٩٧٨ م.
- ٣٦- عبد المجيد عيد الرحيم - علم النفس الاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية
١٩٦٩.
- ٣٧- عجيل هاشم - تخطيط الإعلام العربي ، منظمة التحرير الفلسطينية -
بيروت - ١٩٦٨ م.
- ٣٨- علي جريشة - ومحمد شريف الزبيق - أساليب الغزو الفكري - دار
الاعتصام - القاهرة ١٣٩٧ هـ.
- ٣٩- في الزنانة - دار الشروق - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٤٠- غازي القصيبي - أمريكا والسعودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- بيروت ٢٠٠٢ م.
- ٤١- الغزالي (أبو حامد) - إحياء علوم الدين، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ/
١٩٥٧ م.
- ٤٢- الاقتصاد في الاعتقاد ، المكتبة التجارية - القاهرة (دون تاريخ).
- ٤٣- كيمياء السعادة ، من رسائل الغزالي - المطبعة المحمودية التجارية -
القاهرة.
- ٤٤- الغزالي (محمد) - دفاع من العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ،
دار الكتب الحديثة - القاهرة.
- ٤٥- د. فخري الدباغ ، غيب الدماغ ، المؤسسة اللبنانية للنشر ١٩٧٠ م.
- ٤٦- مالك بن نبي - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر - دمشق
١٣٨٩/١٩٦٩ م.

- ٤٧- محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق ، مركز الدراسات النفسية - بيروت ٢٠٠٣ م.
- ٤٨- د. مختار التهامي - الرأي العام والحرب النفسية ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٤٩- محمد جمال الدين محفوظ - النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ، دار الاعتصام - القاهرة (دون تاريخ).
- ٥٠- د. محمد علي العويحيي - الإعلام العربي ، عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٥١- د. محمد عبد القادر - الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام ، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٣ م.
- ٥٢- د. محمد صادق - الدبلوماسية والمكياجية في العلاقات العربية الأمريكية، بيروت - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ٥٣- محمد قطب - الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق - ط - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٥٤- د. محمد بن لطفى الصباغ - الابتعاث ومخاطره ، (دراسة نشرت في اضاء الشريعة العدد ٨-١٣٩٧ هـ) وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة بالرياض.
- ٥٥- د. محمود محمد شاكر - اباطيل وأسمار ، القاهرة - ١٩٧٢ م.
- ٥٦- د. مصطفى السباعي - الاستشراق والمستشرقون ، المكتب الإسلامي - دمشق - ١٣٩٩ / ١٩٧٩ م.
- ٥٧- د. مصطفى الحفناوي - الدعاية السياسية والإعلام ، مطبعة جريدة قناة السويس - القاهرة - ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.
- ٥٨- د. مصطفى سويف - مقلعة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ م.

- ٥٩- د. مصطفى الخالدي وعمر فروج - التبشير والاستعمار ، المكتبة العمرية بيروت ط ٥ - ١٩٧٣ م.
- ٦٠- د. مصطفى النشار ، ضد العولمة / دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٠ م.
- ٦١- د. منذر عتيابي - أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، مركز الأبحاث الفلسطيني ١٩٦٨ م.
- ٦٢- منير وهيبة الخازن - معجم مصطلحات علم النفس ، دار النشر للجاسمين بيروت - (دون تاريخ).
- ٦٣- السنوات الثقافية-المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦ هـ - الرياض . ندوة : الخطر الإسلامي بين الحقيقة والوهم.
- ٣- المراجع المترجمة
- ١- أحمد رضا بك - الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق - ترجمة محمد الصادق الزمرلي ومحمد بورقية ، دار بوسلامة - تونس ١٩٧٧ م.
- ٢- الكسيس كاريل - الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد، دار المعارف - بيروت (دون تاريخ).
- ٣- المهتدية مريم جميلة- الإسلام في النظرية والتطبيق - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٣٩٨ هـ.
- ٤- برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط - ترجمة نيل صبحي ، المختار الإسلامي ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٥- ج - جيلغورد - ميادين علم النفس - ترجمة يوسف مراد ، دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٢ م.
- ٦- رجاء جارودي - الأساطير المزمسة لدولة إسرائيل.

- ٧- رويسر جاكسون - الرجل القرآني - ترجمة أنور الجندي - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ٨- شانثال لمرييه- المسلمون في الاتحاد السوفيتي - ترجمة الدكتور إحسان حقي، مؤسسة الحالة - بيروت - ١٣٩٧هـ.
- ٩- د. ريتشارد ميتشل - الإخوان المسلمون - ترجمة منى أنيس - عبد السلام رضوان ، مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٧٧م.
- ١٠- فرانسيس سنوز سوندرز - الحرب الباردة الثقافية - ترجمة طلعت الشيباب - المجلس الأعلى للثقافة مصر ٢٠٠٢م.
- ١١- كولبانوفسكي وآخرون - علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية - ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق ١٩٨٧م.
- ١٢- لندلي فريزر - الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - ترجمة عبد السلام شحانه ، سلسلة الفكر العالمي ١٩٦٠م.
- ١٣- لوثرروب ستودارد - حاضر العالم الإسلامي - ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ١٤- مايلز كوبلاند - لعبة الأمم - تعريب مروان خير ، مكتبة الزيتونة - بيروت - ١٩٧٠م.
- ١٥- محمد أسد - الإسلام على مفترق الطرق - ترجمة عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٩م.
- ١٦- بروتوكولات حكماء صهيون ، مكتبة دار العروبة - القاهرة ١٩٦١م.
- ١٧- موريس جنز برغ - علم الاجتماع - ترجمة فؤاد زكريا ، (دون تاريخ).

١٨- نعوم تشومسكي - السيطرة على الإعلام - ترجمة أميمة عبد اللطيف - دار الشروق الدولية ط ١ - ٢٠٠٣ م.

١٩- هيربرت شيللر - المتلاعبون بالعقول - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت - ط ٢ ، ١٩٩٩ م.

٤- المقالات

١- « الحرب النفسية ما صنع بها العدو وما صنعنا؟ » للدكتور عبد الله ناصر ، مجلة « العربي » العدد ١١٧ - جادى الأولى ١٣٨٨ هـ آب ١٩٦٨ م.

٢- الرأي العام الدولي والسلوك السياسي مجلة « السياسة الدولية » للدكتور حامد ربيع ٦ أكتوبر ١٩٦٦ م.

٣- « حرب القصاصات » ، مجلة المختار من « ريدرز دايجست » آذار ١٩٤٤ م.

٤- « كذاب حولوه إلى بطل » كذاب اليمن: الأسود العنسي ، مجلة « الإرشاد » الميمنية العددان (٩ و٨) ذو القعدة ١٣٩٩ هـ.

٥- « ما هو المقصود من تأليف الكتاب الأخضر؟ » مجلة « المراند » (آخن - ألمانيا الاتحادية العدد ٤٢ / ١٤١٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٦- حرب الشائعات ضد الحركة الإسلامية - مجلة المجتمع - العدد ٤٨٦ / ٥ رجب ١٤٠١ هـ.

٧- الحركة الإسلامية في الصحافة الغربية - مجلة المجتمع - العدد ٤٣٣ / ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ.

٨- الغارة الإعلامية على العالم الإسلامي - مجلة المجتمع - العدد ٤٨٦ / ١٠ شعبان ١٤٠٠ م.

٩- هل يستطيع الإسلام التكيف مع الثورة الاجتماعية المعاصرة؟ ، مجلة « الإصلاح » العدد ١٦ شعبان ١٣٩٩ هـ.

- ١٠- صحف الغرب نهاجم الإسلام - المجتمع - العدد ٤٨٥ - ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.
- ١١- رباح البعث الإسلامي تقلق العالم - الجلاغ - العدد ٤٦٩ - ١٤ ذو القعدة ١٣٩٨هـ.
- ١٢- الإسلام والاستشراق والغرب (إدوارد سعيد) مجلة الأمان العدد ١٤.
- ١٣- سيكلوجية الإشاعة د. فاخر عاقل مجلة العربي العدد ٩٤ أيلول ١٩٦٦م.
- ١٤- إعرف عن التحليل النفسي - هـ - إيسنك - المختار آذار ١٩٦٠م.
- ١٥- الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد - د. سعد العبيدي - النبأ - ذو الحجة ١٤٢١هـ.

٤ - المذكرات

- ١- المجلات الشهرية:
- ١- البيان ٢ شوال ١٤٢٣هـ .
- ٢- الهلال (القاهرة) عدد ربيع الأول ١٣٩٧هـ.
- ٣- المختار (من ريدرز دايجست) آذار ١٩٤٤ (القاهرة).
- ٤- السياسة الدولية (القاهرة) عدد ٦ أكتوبر ١٩٦٦م.
- ٥- العربي (الكويت) الأعداد ٩٤ و ١١٧.
- ٦- الدعوة (المصرية) الأعداد ٣٢ و ٣٨.
- ٧- الإصلاح (الإمارات) الأعداد ١١ و ١٦.
- ٨- الفكر العربي العدد ٨٩ - صيف ١٩٩٧م.

ب - المجلات الأسبوعية:

- ١- الدفاع (الرياض) العدد ١٣٢ / ١ / ١١ / ٢٠٠٣ م.
- ٢- المجتمع (الكويت) الأعداد: ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٠١، ١٦٠٣.

٣- روز اليوسف ٢٩ / ٦ / ١٩٦٣ م.

٤- الإرشاد (اليمينية) الأعداد: (٢ و ٣) و (٨ و ٩).

٥- الأمان (اللبنانية) الأعداد: ٧٨، ١٤.

٦- البلاغ (الكويتية) الأعداد: ٤٠٦، ٤٦٩.

٧- النبا (المصرية) العدد: ٥٥ ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

ج - الصحف اليومية:

١- الإندبندت البريطانية.

٢- المدينة (السعودية) العدد (٤٥٧٠).

٣- الشرق الأوسط (السعودية) تاريخ ٢١ / ١ / ١٩٧٩ م.

٤- الرياض (السعودية) العدد (٤١٦٩).

٥- القبس (الكويتية) الأعداد: ٣١٨٢ و ٣١٨٥ و ٢٥٣٩.

٦- السياسة (الكويتية) عدد ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٠ م.

٧- المنصور (عمان) ١٦ رجب ١٤٢٤ هـ.

د- دوريات أخرى:

١- الرائد (ألمانيا الغربية - آخن) العدد ٤٢.

٢- قافلة الزيت (السعودية) العدد ١٠ شوال ١٤٠٠ هـ.

٥- مواقع الإنترنت والمجلات الإلكترونية

١- الإسلام اليوم في ١١/١٢ / ١٤٢٣ هـ ، ٤١/١٢ / ١٤٢٤ هـ ، ٢٢/١٢ /

١٤٢٥ .

٢- محيط ٢٨/١٢ / ١٤٢٥ هـ .

٣- مجلة الانتفاضة الإلكترونية - التسميم السياسي ومحو الذاكرة.

٤- الساحة السياسية.

فهرس تفصلي للبحث

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٩	الفصل الأول: ماهية الحرب النفسية
١٠	البحث الأول: علم النفس الاجتماعي
١٠	- مفهوم علم النفس الاجتماعي
١٥	- السلوك الاجتماعي
١٧	- السلوك عند الغزالي وعند المدرسة السلوكية
٢٠	- الدوافع الاجتماعية للسلوك
٢٣	- الغرائز عند مكلوجال وفرويد
٢٧	- نقد نظرية فرويد
٣١	- الغريزة في الإسلام
٣٤	- تعديل الدوافع
٤٣	البحث الثاني : العوامل المؤثرة في السلوك
٤٣	١- التربية
٤٧	٢- العقيدة
٤٩	٣- الرأي العام
٥٣	٤- الإعلام

الصفحة	الموضوع
٦١	المبحث الثالث : علم النفس العسكري والحرب النفسية
٦١	أولاً: علم النفس العسكري.....
٦٦	ثانياً: الحرب النفسية.....
٧٣	الفصل الثاني: نظرة تاريخية.....
٧٤	المبحث الأول: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي
٧٤	أولاً: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام.....
٨٥	ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية.....
٨٦	١- المرحلة المكية.....
١٠٣	٢- المرحلة المدنية.....
١٢٢	المبحث الثاني: صور من الحرب النفسية.....
١٢٢	أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ.....
١٢٨	ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما.....
١٤٠	ثالثاً: صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية.....
١٤٠	١- صور من الحرب النفسية الصهيونية.....
١٤٣	٢- صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية ١٩٥٢م.....
١٤٤	٣- صور من الحرب النفسية في حرب الخليج.....
١٤٥	٤- صور من الحرب النفسية في العراق.....
١٤٧	٥- صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني.....
١٤٩	٦- صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة.....

الصفحة	الموضوع
١٥٥	الفصل الثالث: أسلحة الحرب النفسية.....
١٥٦	البحث الأول: أسلحة الحرب النفسية.....
١٥٦	أولاً: الدعاية.....
١٥٦	١ - مفهوم الدعاية.....
١٥٩	٢ - تعريف الدعاية.....
١٦٠	٣ - أنواع الدعاية.....
١٦٣	٤ - وسائل الدعاية.....
١٦٣	٥ - نفسية (سيكولوجية) الدعاية.....
١٦٥	ثانياً: الشائعة.....
١٦٦	١ - تعريف الشائعة.....
١٦٦	٢ - أهداف الشائعة.....
١٦٧	٣ - تصنيف الشائعات.....
١٦٨	٤ - نفسية الشائعة (سيكولوجية).....
١٧٣	٥ - الرأي العام والشائعة.....
١٧٥	٦ - مقاومة الشائعات.....
١٧٩	ثالثاً: غسيل الدماغ.....
١٧٩	١ - مفهوم غسيل الدماغ.....
١٨٠	٢ - الأسماس النفسي لغسيل الدماغ.....
١٨٤	٣ - طريقة غسيل الدماغ.....

الصفحة	الموضوع
١٩٤	٤- مقاومة غسل الدماغ والوقاية منه
١٩٨	المبحث الثاني: نماذج من الدعاية المعادية.....
١٩٩	أولاً: الدعاية النصارونية.....
١٩٩	١- مراحل الدعاية اليهودية.....
٢١٦	٢- المرتكزات الأساسية لتخطيط الدعائي اليهودي.....
٢١٨	٣- الدعاية اليهودية والإسلام.....
٢٢٢	٤- الدعاية أئيهودية وتسخيرها للنصرانية.....
٢٢٤	٥- مصادر الدعاية اليهودية ووسائلها.....
٢٣٤	ثانياً: الدعاية الشيوعية.....
٢٣٢	(١) نشأة الدعاية الشيوعية.....
٢٣٤	(٢) أسلوب الدعاية الشيوعية.....
٢٣٩	(٣) وسائل الدعاية الشيوعية.....
٢٤٦	(٤) الدعاية الشيوعية والإسلام.....
٢٦٥	ثالثاً: الدعاية الغربية.....
٢٦٥	١- أسس الدعاية الغربية.....
٢٦٧	٢- الدعاية الغربية والإسلام.....
٢٦٨	٣- مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام.....
٢٩٤	٤- أسلوب الدعاية الغربية ووسائلها.....
٣٠١	٥- صورة المسلم في الإعلام الغربي.....

الصفحة	الموضوع
٣٠٥	الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية.....
٣٠٦	المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر.....
٣٠٦	أولاً: أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم.....
٣٠٨	ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية.....
٣١١	١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.....
٣١٤	٢- السيطرة على الإعلام.....
٣١٦	٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي.....
٣٢٠	٤- العولمة .. والمهيمنة على العالم.....
٣٢٤	٥- استهداف الإسلام بدعوة الحرب على الإرهاب.....
٣٢٧	٦- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية.....
٣٣٢	٧- إظهار الحركات الهدامة والتعقيم على الفكر الإسلامي الصحيح.....
٣٣٧	المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام.....
٣٣٧	أولاً: أسس الحرب النفسية في الإسلام.....
٣٣٧	(١) أعداد القوة البشرية والمادية الرهبة للعدو.....
٣٤٣	(٢) مدد الله للمؤمنين بقلف الرعب في قلوب أعدائهم.....
٣٤٤	(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متخفي.....
٣٤٤	أ- الدعاية.....
٣٤٥	١- الشعارات والهاثافات والمرجز.....

الصفحة	الموضوع
٣٤٧	٢- الدعاية بالأعمال الرمزية.....
٣٤٩	ب- العمل على الفرقة بين الأعداء.....
٣٥٠	ج- الشائعات.....
٣٥٣	ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية - وطرقها.....
٣٥٣	١- الإيمان الصادق بالله.....
٣٥٦	٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.....
٣٥٨	٣- كتمان الأسرار ومنع ترويح الشائعات.....
٣٦٠	٤- التصدي للقوى المضادة المشترة.....
٣٦١	٥- مواجهة الشائعات والدعاية بالحقائق الواضحة.....
٣٦٥	خاتمة.....
٣٦٩	مراجع البحث.....
٣٨١	فهرس تفصيلي للبحث.....

المؤلف الدكتور فهمي النجار

• المؤلفات:

- مواليد دير الزور - سورية ١٩٣٨ م .
- أمانة التعليم العامة - حلب ١٩٦١ م .
- ليسانس الآداب - قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية - جامعة دمشق ١٩٦٨ م .
- ماجستير الإعلام - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٣ هـ .
- دكتوراه الفلسفة - جامعة يهاولبور - باكستان ١٩٩٤ م .

• الخبرة والعمل:

- التدريس مدة ١٧ عاماً - دير الزور - سورية - من عام ١٩٦١ - ١٩٧٦ م .
- الإشراف الاجتماعي والثقافي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- مركز البحوث - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- رئيس مركز البحوث - وكالة الناقد الدورية للإعلام .
- باحث متعاون في مركز الدراسات المتخصصة - الرياض .
- التعاون مع بعض المؤسسات الثقافية - الرياض .

• المؤلفات :

- زاد الطالب من أوضح المسالك - أربعة أجزاء (ط ٥) .
- الإعلام والبيت المسلم (ط ٢) .
- قواعد الإملاء في عشرة دروس سهلة (ط ٣) .
- الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية - ١ - العقل (ط ١) .
- فلسفة العلامة محمد إقبال وعلاقاته الثقافية بالعالم العربي (مخطوط) .
- الحرب النفسية - (أضواء إسلامية) - (ط ١) .
- ملامح أدبية وفلسفية واجتماعية ودينية (٥٨ مذهباً) نشرت ضمن موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض .
- دراسات ومقالات لغوية ونفسية وتربوية وتراجم (٢٨ دراسة) ومقال نشرت في المجلات الثقافية والأدبية .

مَجْمُوعَةُ الطَّبَعِ مَحْمُودِيَّةٌ

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ - ص. ب. ٥١١٤٢

تليفون ٢٣٣٢٠٦٣